

حياة النساء

تأليف
ابن قيم الجوزية
٦٩١-٧٥١ هـ

معرض وتحقيق
الدكتور منار رضا

منقولات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان

أَخْبَارُ النِّسَاءِ

تَأَلَّفَ

ابن قسيم الجوزية

٦٩١ - ٧٥١ هـ.

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر الزرعي
الدمشقي الحنبلي المعروف بابن قسيم الجوزية

شرح وتحقيق

الدكتور منير زازر رضا

منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان

1985

أَخْبَارُ النِّسَاءِ

كلمة الناشر

تعود قراء العربية أن يروا « دار مكتبة الحياة للنشر » سباقة في ميدان نشر الذخائر ، مجلية في مضار إظهار التراث ، فقرأوا لها في مدة وجيزة : كتاب « جمع البيان في تفسير القرآن » للطبرسي وكتاب « الأغاني » لأبي الفرج الاصبهاني وكتاب « محاضرات الأدباء » لأبي القاسم حسين محمد الراغب الاصبهاني و « جمع الأمثال » للميداني و « شرائع الإسلام » للمحقق الحلي ، وكتاب « صورة الأرض » لابن حوقل و « طبقات الأطباء » لابن أبي أصيبعة و « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد . عدا عشرات الكتب الأخرى . وأصبح معروفاً عن هذه المؤسسة أنها تحمل الأعباء الثقيل ، وتبذل التضحيات الكبار غير عابثة بما تعانيه من المشاق ، ولا ملتفتة إلى ما تكابده من عناء في سبيل تيسير أغلى النفائس العربية للقارئ العربي ومن أجل هذه الغاية ، وفي سبيل الهدف ، أنشئت الدار ، ووضعت أول لبنة فيها ، وصدر عنها ما صدر من كتب التراث العربي الخالد .

والآن ، وتمشياً مع النهضة الثقافية التي تعم بلاد العرب ، مشرقاً ومغرباً ، رأت الدار أن تعهد إلى لجنة من الأدباء والمحققين ، بالإشراف على إخراج طائفة من نوادر المصنفات ولطائف الرسائل والكتب والمؤلفات للمشاهير والعظماء من أئمة الأدب والتاريخ والشعر والبيان . وكان من هذه المؤلفات كتاب « أخبار النساء » وهو كتاب أشهر من أن يعرف بين كتب التراث العربي .

وتجدد الإشارة إلى أن بين يدي اللجنة ثبت حافل بالمصنفات التي ستعمل على إخراجها على التوالي . والله تعالى هو الموفق والهادي والنصير .

محمد ابن قيم الجوزيه

هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن ايوب بن سعد بن حريز الزرعي - وذلك نسبة زرع (إزرع اليوم) في حوران - والمعروف بابن قيم الجوزية لأن أباه كان قيماً على مدرسة الجوزية بدمشق من علماء القرن الرابع عشر الميلادي الثامن الهجري .

فقيه حنبلي من أشهر فقهاء الحنابلة . ولد في دمشق سنة ٦٩١ هـ (١٢٩٢ م) . تتلمذ على الإمام ابن تيمية وأصبح من أحظى مرديه يقول بقوله ويردد افكاره وكلماته مع المشاركة في الرأي والعمل . قاوم الفلاسفة والنصارى واليهود . وكان شديد التزمتم والكراهية لكل من خرج عن دينه ومذهبه . وقد قال بأن ثواب الجنة ابدى وعذاب النار موقت .

جارى استاذة في كل أموره يدعو له وينشر فتاويه ويناضل في سيده حتى أنه سجن معه في قلعة دمشق سنة ٧٢٦ هـ . (١٣٢٦) واحتمل العذاب والإهانة من اجله .

ولما توفي أفرج عنه فعكف على مؤلفاته تهذيباً وشرحاً وكان دائم المطالعة مولماً بجمع الكتب مكباً على نسخ ما يراه قصيداً حتى اصبحت لديه مكتبة حافلة يضاف إليها مصنفاته حتى أربت على الثلاثين بين مصنف كبير وصغير في التصوف والجدل منها ما هو مطبوع ومنها لم يزل مخطوطاً فالخطوطة هي : « كتاب الفروسية » ، و « طب القلوب » ،

و «رسالة اختيارات قمي الدين بن تيمية» ، و «مسائل ابن تيمية التي
جمعها ابن قيم»

وأما المطبوعة فهي .

بلوغ السؤل في أفضية الرسول ، زاد المعاد في هدي خير العباد ،
أعلام الموقعين عن رب العالمين ، إغاثة اللهفات في حكم طلاق الغضبان
الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، اجتماع الجيوش الإسلامية على
غزو المعطلة والجهمية ، التبيان في اقسام القرآن ، الكافية الشافية وتعرف
بالقصيدة النونية وعلى شرح لأحمد بن عيسى النجدي اسمه شرح نونية
ابن القيم ، كتاب الروح في التصوف ، الطرق الحكيمة في السياسة
الشرعية ، الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة ، مفتاح دار السعادة
ومنشور لواء العلم والإرادة ، روضة المحبين ، حادي الأرواح إلى بلاد
الأفراح ، أخبار النساء وقيل أنه لابن الجوزي ونسب خطأ لابن القيم
الجوزية ، الوايل الصيب من الكلم الطيب ، هداية الحيارى من اليهود
والنصارى ، طريق المهجرتين وباب السعادتين ، عدة العابرين وذخيرة
الشاكرين ، الصلاة وأحكام تاركها ، شفاء الغليل في مسائل القضاء والقدر
والحكمة والتعليل ، الفوائد المشوقة إلى علم القرآن علم البيان ، كتاب الروح .

وكانت وفاة ابن القيم الجوزية سنة ١٣٥٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا كتاب ذكرت فيه اخبار النساء فاقول ومن الله تعالى القبول

(باب في أوصاف النساء)

★ قال معاوية^(١) لصعصعة^(٢) : أي النساء أحب إليك ؟ قال :
المواتية لك فيما تهوى . قال : فأين أبغض إليك ؟ قال : أبعدهن لما
ترضى . قال معاوية : هذا النقد العاجل . فقال صعصعة : بالميزان العادل .

★ وقال معاوية : ما رأيت نهماً في النساء إلا عُرف ذلك في وجهها .
شكت امرأة الى زوجها قلة اتيانه^(٣) إليها ، فقال لها : أنا وأنت على
قضاء عمر^(٤) . قالت : قضى عمر أن الرجل إذا أتى امرأته في كل
طهر فقد أدّى حقها .

(١) هو ابن أبي سفيان كان والياً على دمشق زمن الخليفتين عمر وعثمان . مؤسس
الدولة الاموية في سوريا سنة ٦٨٣ .

(٢) من المشاهير في علم أنساب العرب .

(٣) المضاجعة .

(٤) الخليفة الثاني من الخلفاء الراشدين . زوج ابنته حفصة من النبي . وعرف
بساد الرأي والحكمة .

★ وقع بين امرأة وزوجها شر فجعل يكثر عليها بالجماع ، فقالت له : أبعدك الله ! كلما وقع بيننا شر جثتني بشفيح لا أطيق رده .

★ جاء رجل إلى علي ^(١) ، رضي الله عنه ، فقال له : إن لي امرأة كلما غشيتها ^(٢) تقول قتلتنني . فقال : اقتلها وعليّ إثمها .

★ غزا ابن هبيرة الغساني الحرث بن عمر فلم يصبه ^(٣) في منزله ، فأخرج ما وجد له ، واستاق امرأته فأصابها ^(٤) في الطريق ، وكانت من الجمال في نهاية ، فأعجبت به ، فقالت له : انج فوالله لكأني به يتبعك كأنه بعير أكل مراراً ^(٥) . فبلغ الخبر الحرث فأقبل يتبعه حتى لحقه فقتله ، وأخذ ما كان معه ، وأخذ امرأته . فقال لها : هل أصابك ؟ فقالت : نعم ، والله ما اشتملت ^(٦) النساء على مثله قط . فلطمها ثم أمر بها فوثقت بين فرسين ثم أحضرها ^(٧) حتى تقطعت . ثم أنشد :

كلُّ أنثى وإن بدا لك منها آية الودِّ حبُّها خيتِّعور ^(٨)
إنَّ من غره النساء بودَّ بعد هذا لجاهل مغرور

(١) ولد في مكة سنة ٦٠٠ ابن عم النبي وصره وبطل الاسلام وهو من أفضل الخلق بعد رسول الله .

(٢) ضاجعتها . (ن . ر) .

(٣) أصاب : وجد .

(٤) بنفس المعنى ولكن بالمعنى المجازي واطأها وقال منها ما يريد .

(٥) حمض أو شجر مزّ (تسميه العامة الموية) إذا أكلته الإبل قلصت مشافرها فبنت أسنانها .

(٦) التفت واحتضنت .

(٧) جعلها يسرعان في الصدر .

(٨) كل شيء يتلون ولا يدوم على حال كالسراب الذي يظهر من الهواء في شدة الحر ، أبيض الخيوط أو كنسيح العنكبوت .

★ قال بعض الحكماء : لم 'تنه قط امرأة عن شيء إلا فعلته .
للفنوي :

ان النساء متى ينهين عن خلق فإنه واقع لا بد مفعول
ولغيره :

لا تأمن الأنثى حَبَّتْكَ^(١) بودها إن النساء وداذهن مُقَسَّم
اليوم عندك دلُّها وحديثها وغداً لغيرك كَفُّها والمِعَصَم

★ سئل أعرابي عن النساء ، وكان ذاهم بهن ، فقال : أفضل النساء
أطولهن إذا قامت ، وأعظمن إذا قعدت ، وأصدقهن إذا قالت ، التي
إذا غضبت حملت ، وإذا ضحكت تبسمت ، وإذا صنعت شيئاً جَوَّدت ؛
التي تطيع زوجها ، وتلزم بيتها ؛ العزيزة في قومها ، الذليلة في نفسها ،
الولود ، التي كل أمرها محمود .

★ طلق رجل امرأته ، فقالت له : أَبْعَدَ صُحْبَةَ خَمْسِينَ سَنَةً قَالَ ؟
مالك عندنا ذنب غيره .

★ قال عبد الملك^(٢) بن مروان : من أراد ان يتَّخِذَ جاريةً للمتعة ،
فليتخذها بربرية^(٣) ، ومن أرادها للولد فليتخذها فارسية^(٤) ؛ ومن أرادها

(١) أعطتك بلا جزاء ولا مَن (ن . ر) .

(٢) الخليفة الاموي (٦٤٦ - ٧١٥) المؤسس الثاني لدولة بني أمية جلس على
العرش سنة ٦٨٥ وعرب الدولة وعم استعمال اللغة العربية في جميع البلاد الاسلامية .

(٣) نسبة الى البربر وهم سكان افريقيا الشمالية الأصليين من الجنس الأبيض .

(٤) نسبة الى بلاد فارس وهي تدعى اليوم إيران .

للخدمة فليتخذها رومية^(١) .

★ قال الاصمعي : بنات العم أصبر ، والغرائب أنجب . وما ضرب
رؤوس الابطال كابن عجمية .

★ ذكر أن معاوية بن أبي سفيان جلس ذات يوم بمجلس كان له
بدمشق على قارعة الطريق ، وكان المجلس مفتوح الجوانب لدخول النسيم ،
فبينما هو على فراشه وأهل مملكته بين يديه ، إذ نظر إلى رجل يمشي
نحوه وهو يسرع في مشيته راجلاً حافياً ، وكان ذلك اليوم شديد الحر ،
فتأمله معاوية ثم قال لجلسائه : لم يخلق الله من أحتاج إلى نفسه في مثل
هذا اليوم . ثم قال : يا غلام سر إليه وأكشف عن حاله وقصته فوالله
لئن كان فقيراً لأغنيته ، ولئن كان شاكياً لأنصفته ، ولئن كان مظلوماً
لأنصرنه ، ولئن كان غنياً لأفقرنه . فخرج إليه الرسول متلقياً^(٢) ، فسلم
عليه فرد عليه السلام . ثم قال له : ممن الرجل ؟ قال : سيدي أنا
رجل إعرابي من بني عذرة^(٣) ، أقبلت إلى امير المؤمنين مشتكياً إليه
بظلامه^(٤) ، نزلت بي من بعض عماله . فقال له الرسول : أصبحت يا إعرابي
ثم سار به حتى وقف بين يديه فسلم عليه بالخلافة ثم انشأ يقول :

معاوي ، ياذا العلم والحلم والفضل ، وياذا الندى والجود والنايل الجزل
أتيتك لما ضاق في الأرض مذهبي ، فياغيثُ لا تقطع رجائي من العدل
ووجد لي بانصاف من الجائر الذي شواني شيئاً كان أيسره قتلي

(١) في الأصل رومية وهذا خطأ نسبة الى الروم وهو اسم أطلقه العرب
على البيزنطيين .

(٢) مستقبلاً .

(٣) قبيلة يمانية مشهورة بالعشق والعفة . (٤) ما يؤخذ منك من الحق .

سَبَانِي سَعْدِي وَأَنْبَرَى لِحُصُومَتِي ، وَجَارٍ وَلَمْ يَعْدِلْ ، وَأَغْصَبَنِي أَهْلِي
قَصَدْتُ ، لِأَرْجُو نَفْعَهُ فَأَثَابَنِي ^(١)

بسجن ، وأنواع العذاب مع الكَبَل ^(٢)

وَهَمَّ بِقَتْلِي ، غَيْرَ أَنْ مَنَيْتِي تَأَبَّتْ ، وَلَمْ أُسْتَكْمَلِ الرِّزْقَ مِنْ أَجْلِي
أَغْنَيْ ، جِزَاكَ اللَّهُ عَنِّي جِنَّةً ، فَقَدِ طَارَ مِنْ وَجْدِ بَسُوعْدِي لَهَا عَقْلِي

فلما فرغ من شعره قال له معاوية : يا إعرابي إني أراك تشتكي
عاملاً من عمالنا ولم تسمه لنا ! قال : أصلح الله أمير المؤمنين ، هو
والله ابن عمك مروان بن الحكم عامل المدينة . قال معاوية : وما
قصتك معه يا أعرابي . قال : أصلح الله الأمير ، كانت لي بنت عم
خطبتها إلى أبيها فزوجني منها . وكنت كلفاً ^٣ بها لما كانت فيه
من كمال جمالها وعقلها والقراية . فبقيت معها يا أمير المؤمنين ، في أصلح
حال وأنعم بال ، مسروراً زماناً ، قرير العين . وكانت لي صرمة ^٤ من
إبل وشويها ، فكنت أعوها ونفسي بها . فدارت عليها أفضية الله
وحوادث الدهر ، فوقع فيها داء فذهبت بقدره الله . فبقيت لا أملك
شيئاً ، وصرت مهيناً مُفكِّراً ، قد ذهب عقلي ، وساءت حالي ،
وصرت ثقلاً ^٥ على وجه الأرض . فلما بلغ ذلك أباهما حال بيني وبينها ،

(١) جازاني .

(٢) القيد أو أعظم ما يكون منه .

(٣) ولِماً .

(٤) القطعة من الابل والشاة وقد اختلف في تقديرها وهي لا تقل عن العشر

ولا تتجاوز الخمسين (ن . ر) .

(٥) أي حلاً ثقيلًا .

وأنكرني ، وجحدني ، وطردي ، ودفعا عني . فلم أقدر لنفسي بجيلة ولا نضرة . فأتيت إلى عاملك مروان بن الحكم مشتكياً بعمي ، فبعث إليه ، فلما وقف بين يديه ، قال له مروان : يا أيها الرجل لِمَ حلت بين ابن أخيك وزوجته ؟ قال : أصلح الله الأمير ، ليس له عندي زوجة ولا زوجته من ابنتي قط . قلت أنا : أصلح الله الأمير ، أنا راض بالجارية ، فإن رأى الأمير أن يبعث إليها ويسمع منها ما تقول ؟ فبعث إليها فأتت الجارية مسرعة ، فلما وقفت بين يديه ونظر إليها وإلى حسنها وقعت منه موقع الإعجاب والاستحسان ، فصار لي ، يا أمير المؤمنين خصماً وانتهرني ، وأمر بي إلى السجن . فبقيت كأني خررت من السماء في مكان سحيق ، ثم قال لأبيها بعدي : هل لك أن تزوجها مني ، وأنقدك الف دينار^(١) ، وأزيدك أنت عشرة آلاف درهم^(٢) تنتفع بها ، وأنا أضمن طلاقها ؟ قال له أبوها : ان أنت فعلت ذلك زوجتها منك . فلما كان من الغد بعث إليّ ، فلما أدخلت عليه نظر إليّ كالأسد الغضبان ، فقال لي : يا أعرابي طلق سعدى . قلت : لا أفعل . فأمر بضربي ثم ردني إلى السجن ، فلما كان في اليوم الثاني قال : علي بالاعرابي . فلما وقفت بين يديه ، قال : طلق سعدى . فقلت : لا أفعل . فسלט عليّ يا أمير المؤمنين خدامه فضربوني ضرباً لا يقدر أحد على وصفه ، ثم أمر بي إلى السجن ؛ فلما كان في اليوم الثالث قال : عليّ بالاعرابي ، فلما وقفت بين يديه قال : عليّ بالسيف والنطع^(٣) وأحضر السيف ، ثم قال : يا اعرابي ، وجلالة ربي ، وكرامة والدي ، لئن لم تطلق سعدى لافرقن بين جسدك وموضع لسانك . فخشيت على نفسي القتل فطلقتها طليقة واحدة على طلاق السنة^(٤) ، ثم أمر بي إلى السجن فحبسني

(١) عملة ذهبية قديمة وزنه مثقال أو ٣,٤٣٦ غ .

(٢) عملة فضية قديمة وزنه سبعة أعشار المثقال أي ٢,٤٠٥ غ .

(٣) بساط من الأديم .

(٤) وهي الطليقة التي يجتئ للمطلق الرجوع عنها قبل مضي العدة على المرأة .

فيه حتى تمت عدتها^(١) ثم تزوجها ، فبنى^(٢) بها ، ثم أطلقني . فأتيتك
مستغيثاً قد رجوت عدلك وانصافك ، فارحمني يا أمير المؤمنين . فوالله
يا أمير المؤمنين لقد أجهدي الأرق ، وأذابني القلق ، وبقيت في حبها
بلا عقل ، ثم انتحب حتى كادت نفسه تفيض . ثم أنشأ يقول :

في القلب مني نارٌ والنارُ فيه الدمارُ
والجسم مني سقيمٌ فيه الطيب يَحَارُ
والعين تهطل دمعاً فدمعها مِذْرَارُ^(٣)
حَمَلْتُ منه عظيماً فما عليه اصطبار
فليس لي ليلاً ولا نهاراً
فارحم كثيراً حزينا فؤاده مستطار^(٤)
ارْدُدْ عليَّ سُعادي يثيبك الجبار

ثم خر مغشياً عليه بين يدي أمير المؤمنين كأنه قد صعق به قال :
وكان في ذلك الوقت معاوية متكئاً ، فلما نظر إليه قد خر بين يديه
قام ثم جلس ، وقال : انا لله وانا اليه راجعون . اعتدى والله مروان
ابن الحكم ضرراً^(٥) في حدود الدين ، وإحساراً^(٦) في حرم المسلمين : ثم قال :
والله يا أعرابي لقد أتيتني بجديث ما سمعت بمثله . ثم قال : يا غلام عليّ

(١) أي طهرها بعد ثلاث حيضات .

(٢) زفتها إليه .

(٣) مطَّال ساكب .

(٤) مذعور .

(٥) الجزء على الضرر بضرر مثله « ن . ر » . (٦) انكشافاً .

بدواة وقرطاس . فكتب الى مروان : « أما بعد ، فانه بلغني عنك أنك اعتديت على رعيته في بعض حدود الدين ، وانتهكت حرمة لرجل من المسلمين . وإنما ينبغي لمن كان والياً على كورة أو اقليم أن يفض بصره وشهواته ، ويذجر نفسه عن لذاته . وإنما الوالي كالراعي لغنمه ، فإذا رفق بها بقيت معه ، وإذا كان لها ذنباً فمن يحوطها بعده . ثم كتب بهذه الابيات :

وُلِّيت ، ويحك أمراً لست تُحْكِمه فاستغفر الله من فعلِ امرىء زاني
 قد كُنتَ عندي ذا عقلٍ وذا أدبٍ مع القَرَاطيسِ^(١) تماثلاً وفرقان^(٢)
 حتى أتانا الفتى العذريُّ مُتَّحِجاً يشكو إلينا بيث ثم أحزان
 أعطى الآلةَ يميناً لا أكفرُها حقاً ، وأبرأ من ديني ودياني^(٣)
 إن أنت خالفتني فيما كتبت به ، لأجعلنك لحماً بين عقباني
 طلق سعاد ، وعجلها مجهزة مع الكميت ، ومع نصر بن ذبيان
 فما سمعت ، كما بلغت في بشر ، ولا كفعلك حقاً ، فعل إنسان
 فاختر لنفسك إيماناً أن تجود بها أو أن تلاقى المنايا بين أكفان

ثم ختم الكتاب . وقال : علي بن نصر بن ذبيان والكميت صاحبي البريد^(٤) . فلما وقفا بين يديه قال : اخرجنا بهذا الكتاب الى مروان

(١) واحدها قرطاس وهي الجارية البيضاء المديدة القامة .

(٢) الذي يفرق بين الحق والباطل .

(٣) الخالق .

(٤) أي الذين ينقلون رسائل الملك أو الخليفة إلى جميع الولاة والامصار .

ابن الحكم ولا تضعاه إلا بيده . قال فخرجا بالكتاب حتى وردا به عليه ،
 فسما ثم ناولاه الكتاب . فجعل مروان يقرأه ويردده ، ثم قام ودخل
 على سعدة وهو باك ، فلما نظرت اليه قالت له : سيدي ما الذي
 يبكيك ؟ قال كتاب امير المؤمنين ، ورد علي في أمرك يأمرني فيه أن
 أطلقك وأجهزك وأبعث بك إليه . وكنت أود أن يتركني معك حولين
 ثم يقتلني ، فكان ذلك أحب إلي . فطلقها وجهزها ثم كتب الي معاوية
 بهذه الابيات .

لا تَعَجَّلَنَّ أميرَ المؤمنين فقد أوفي بنذكرك في رفق واحسان
 وما ركبت حراماً حين أعجبتني فكيف أدعى باسم الخائن الزاني
 أعذير ، فإنك لو أبصرتها لجزت منك الأماقي على أمثال إنسان
 فسوف يأتيك شمس لا يعادلها عند الخليفة إنس لا ولا جان
 لولا الخليفة ، ما طلقتها أبدا حتى أضمن في لحد وأكفان
 على سعادٍ سلامٌ من فتى قلبي حتى خلّفته بأوصاب وأحزان^(١)

ثم دفعه إليها ، ودفع الجارية على الصفة التي حدث له^(٢) . فلما
 وردا على معاوية فك كتابه وقرأ أبياته ثم قال : والله لقد أحسن في
 هذه الابيات ، ولقد أساء إلى نفسه . ثم أمر بالجارية فادخلت إليه ،
 فإذا بجارية رعبوية لا تبقى لناظرها عقلاً من حسنها وكالها . فعجب
 معاوية من حسنها ثم تحول إلى جلسائه وقال : والله إن هذه الجارية

(١) المرض والوجع الدائم ونحول الجسم .
 (٢) هكذا في الأصل والأصح حُدَّت « بالتاء » .

لكاملة الخلق فلئن كَمَلت لها النعمة مع حسن الصفة ، لقد كَمَلت
 النعمة مالاكها . فاستنطقها ، فإذا هي افصح نساء العرب . ثم قال :
 عليّ بالاعرابي . فلما وقف بين يديه ، قال له معاوية : هل لك عنها من
 سلو ، وأعوضك عنها ثلاث جوار أبكار^(١) مع كل جارية منهن ألف
 درهم ، على كل واحدة منهن عشر خلع من الخبز^(٢) والديباج^(٣) والحرير
 والكتان ، وأجري عليك وعليهن ما يجري على المسلمين ، وأجعل لك
 ولهن حظاً من الصلات والنفقات ؟ فلما أتم معاوية كلامه غشي^(٤) على
 الاعرابي وشق شهقة ظن معاوية أنه قد مات منها . فلما أفاق قال له
 معاوية : ما بالك يا أعرابي ؟ قال : شر بال ، وأسوأ حال ، أعوذ بذلك
 يا أمير المؤمنين من جور مروان . ثم أنشأ يقول :

لا تجعلني هَدَاك الله من ملكٍ كالمستجيرِ من الرمضاء^(٥) بالنار
 أُرِدُّ سَعَادَ عَلِيٍّ حَرَّانَ^(٦) مَكْتَبِ
 يُمِسي وَيُصبح في هَمٍّ وَتَذْكار
 قد شَفَه^(٧) قلُق ما مِثْلُه قلُقٌ وَأُسْعَرَ^(٨) القَلْبَ منه أي اسعار

(١) جمع بكر وهي العذراء .

(٢) الحرير .

(٣) نسيج من الأبريسم - الحرير أو الخام منه - ملون الوان . « فارسي معرب
 حدياي أو ديوان - أي نساجة الجن . »

(٤) أغشى عليه .

(٥) شدة وقع حرّ الشمس على الأرض -

(٦) من فعل حرّ كبدته : عطش ويقال حرّ صدر الشيخ حتى صلى أي التهب

الحرارة في صدره حتى سمع لها صليل فهو حرّان .

(٧) لذع قلبه أو أذهب عقله .

(٨) هاج واشتمل .

والله ، والله ، لا أنسى محبتها حتى أُغَيَّبَ في قبري وأحجاري
كيف السلوُّ وقد هام الفؤاد بها ؟ فإن فعلت فإني غير كَفَّار^(١)
فأَجْمَلُ بفضلك وافعلْ فعلَ ذي كرم

لا فعلَ غيرك ، فعلَ اللؤم والعار

ثم قال : والله يا أمير المؤمنين لو أعطيتني كل ما احتوته الخلافة ما
رضيت به دون سعدى . ولقد صدق مجنون بني عامر حيث يقول :

أبى القلب إلاَّ حبَّ ليلي وبُغْضَتِ إليَّ نساءُ ما لهن ذنوب
وما هي إلاَّ أن أراها فجاءةً فأُبهتُ^(٢) حتى لا أكاد أُجيب

فلما فرغ من شعره ، قال له معاوية : يا أعرابي ؟ قال : نعم يا أمير
المؤمنين . قال : إنك مُقِرٌّ عندنا أنك قد طلقتها ، وقد بانَتْ^(٣) منك
ومن مروان ، ولكن نخيرها بيننا . قال : ذلك إليك ، يا أمير المؤمنين .
فتحول معاوية نحوها ثم قال لها : يا سعدى أيُّنا أحبُّ إليك : أمير
المؤمنين في عزه وشرفه وقصوره ، أو مروان في غضبه واعتدائه ، أو
هذا الاعرابي في جوعه وأطواره^(٤) ؟ فأشارت الجارية نحو ابن عمها
الاعرابي ، ثم أنشأت تقول :

(١) مبالغة كافر .

(٢) أدمش وأتخبر (ن . ر)

(٣) انفصلت عنك بطلاق بان الطلاق الذي لا يملك معه المطلق إرجاع المطلقة .

(٤) واحدها طمرٌ وهو الثوب الخلق البالي أو من غير الصوف .

هذا وإن كان في جوع وأطار أعزُّ عندي من أهلي ومن جاري
وصاحب التاج أو مروان عامله وكلّ ذي درهمٍ منهم ودينار

ثم قالت : لست ، والله ، يا أمير المؤمنين لحدثان الزمان بخاذلته ،
ولقد كانت لي معه صحبة جميلة ، وأنا أحق من صبر معه على السراء
والضراء ، وعلى الشدة والرخاء ، وعلى العافية والبلاء ، وعلى القسَمِ
الذي كتب الله لي معه . فمَجِب معاوية ومن معه من جلسائه من عقلها
وكألها ومروءتها وأمر لها بعشرة آلاف درهم وألحقها في صدقات بيت
المسلمين .

قال أبو الخطاب : كان عندهما رجل أحذب فصقط في بئر فذهبت
جدبته وصار آدرأ^٢ فدخل عليه جيرانه يهنئونه فقال : الذي جاء شر
من الذي مر^٣ .

ذكر أعرابي رجلا جميلا فقال : والله لو أبصرته العيدان لتحركت
أوتارها ، ولو رأته عاتق^٣ الخدر^٤ لطار خارها^٥ .
وقال بعض الاعراب .

ماذا تظنُّ سُلَيْمِيَّ إن ألمَّ بنا ^٦ مرَّجلُ^٦ الرأسِ ذو بُرْدَيْنِ مزاحُ

(١) الحظ والنصيب .

(٢) المصاب بالأدرة وهي انتفاخ الحصى والافتقار في إحدى الحصى .

(٣) الجارية الشابة اول ما أدركت أو البكر التي لم تتزوج أو التي بين الإدراك

والنفيس .

(٤) الستر يضرب للجارية في ناحية البيت .

(٥) النصيف ، أي ما تغطي به المرأة رأسها .

(٦) المشوط الشعر .

خَزُّ عِمَامَتِهِ ، حَلْوُ فُكَاهَتِهِ ، فِي كَفِّهِ مِنْ رُقَى ابْلِيسِ مِفْتَاحُ

★ وَيُرَوَّى ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، خَطَبَ امْرَأَةً مِنْ كَلْبٍ ^(١) فَبِعَثْ عَائِشَةَ ^(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَنْظُرَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ لَهَا : كَيْفَ رَأَيْتِهَا ؟ قَالَتْ : مَا رَأَيْتِ طَائِلًا ^(٣) . قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتِ طَائِلًا ، وَلَقَدْ رَأَيْتِ حَالًا تَجْدِينَهَا حَتَّى أَقْشَعَتْ كُلَّ شَعْرَةٍ فِيكَ . فَقَالَتْ : مَا دُونَكَ سَتْرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ .

★ وَيُرَوَّى عَنْ حِيَانَ بْنِ عَمِيرٍ أَنَّهُ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى قَتَادَةَ بْنِ مَلْحَانَ فَمَرَّ رَجُلٌ فِي أَقْصَى الدَّارِ فَرَأَيْتُ صُورَتَهُ فِي وَجْهِ قَتَادَةَ ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَسَحَ وَجْهَهُ .

★ وَعَنْ عُونَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَّهُ قَالَ : مَنْ كَانَ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ ، وَنَسَبٍ ^(٤) ، وَحَسَبٍ ^(٥) ، وَوَسَعٍ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ ، كَانَ مِنْ خُلَصَاءِ ^(٦) اللَّهِ .

★ وَيُرَوَّى عَنْ عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّهَا قَالَتْ : يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَأَهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً ، فَأَصْبَحَهُمْ ^(٨)

(١) مِنْ كَبْرِيَّاتِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ .

(٢) أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ زَوْجَةُ الرَّسُولِ وَابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ .

(٣) فَضْلًا .

(٤) شَرَفُ الْأَصْلِ فِي الْإِبَاءِ .

(٥) شَرَفُ الْأَصْلِ فِي الْأُمَّهَاتِ .

(٦) أَصْفِيَاءَ .

(٧) تَقَدَّمَ وَكَانَ لَهُمْ إِمَامًا .

(٨) أَشْرَقَهُمْ وَأَجْلَلَهُمْ .

وجهاً . وعن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
النظر إلى الوجه الجميل البصر ؛ والنظر إلى الوجه القبيح يورث الفلج .

★ قال حُلَيْلانُ المغنِّي : دخلت دار هارون الرشيد^(١) فإذا أنا
بجارية خماسية^(٢) ، أحسن الناس وجهاً ، على يدها سطران مكتوبان
بالغالية^(٣) ، فقرأتها فإذا هما مما عمل في طران الله^(٤) ، فتنة لعباد
الله وقال بعضهم : سمعت يحيى بن سفيان يقول : رأيت بمصر جارية
بيعت بألف دينار ، فما رأيت وجهاً قط أحسن من وجهها صلى الله
عليها . قال : فقلت له : يا أبا زكريا ، مثلك يقول هذا مع ورعك
وفقهك ؟ فقال : وما تنكر عليّ من ذلك ؟ صلى الله عليها وعلى كل
مليح : يا ابن أخي الصلاة رحمة .

★ قال : خرج شامة بن لؤي بن غالب من مكة حتى نزل بعُمان
على رجل من الأزدي .

وكان شامة بن لؤي من أجمل خلق الله ، فقراه^(٥) وبات عنده .
فلما أصبح قعد يستن^(٦) فنظرت إليه زوجة الأزدي فأعجبها ، فلما رمى ،
مضت إلى سواكه فأخذتها فمصتها ، فنظر إليها زوجها ، فحلب ناقة
وجعل في اللبن سماً وقدمه إلى شامة ، فغمزته المرأة ، فأراق اللبن
وخرج يسير . فبينما هو في موضع يقال له خرق الجميلة أهوت ناقته في

-
- (١) أعظم الخلفاء العباسيين عمر الرعية بإحسانه مع ما عرف عنه من عدل .
 - (٢) طولها خمسة أشبار .
 - (٣) طيب معروف ، أخلاط من مسك وعنبر تغلى على النار .
 - (٤) غضب .
 - (٥) أضافه .
 - (٦) ينظف أسنانه .

عرفجة؟ فانتشلها وفيها أفعى فنهشت مشفرها فحككتها على ساق شامة
فمات . فقالت الأزدي :

إذا ناقتي حلّت بليلٍ ففارقت جميلة لما أنبتت منها قرينها
فقلت لها حثي قليلاً فإنني وإياك نخفي عبرة سترينها
غدرت بنا بعد الصفاء وخنثنا وشره مصافي خلة من يخونها

★ قال سليمان بن أبي سمخ تزوج رجل من تهامة امرأة من نجد
فلما نقلها إليه ، قالت له : ما فعلت ربح من نجد كانت تأتينا يقال لها
الصبا مارأيتها هنا؟ فقال : يحجزها عنا هذان الجبلان . فأنشأت تقول .

أيا جبلي نعمان بالله خلياً نسيم الصبا يُخلص اليّ نسيمها
فإن الصبا ريحٌ إذا ما تنفّست على قلبٍ محزون تجلّت همومها
أجد بردها أو يُشف مني حرارةً على كبدٍ لم يبق إلا صميمها

★ قال الزبير حدثني ابي ، قال : كان عندنا بالمدينة رجل من قرين
كانت له امرأة تعجبه ويعجبها ، وكانت تحول بينه وبين طلب الرزق ،
وكل ذلك يحتمله لشدة محبته إياها فلما ساءت حاله وكثر دينه قال :

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه شكى الفقر أو لام الصديق فأكثر
وصار على الأذنين كلاً^(١) وأوشكت

قلوبُ ذوي القرابي له أن تنكرا

(١) التثليل لا خير فيه .

فسر في بلادِ اللهِ والتمسِ الغِنَى
تَعِشْ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتَ فَتُعْذِرَا
ولا ترضَ من عيشِ بَدُونٍ ، ولا تَتَمَّ ،

وكيف ينامُ الليلَ مَنْ كان مُعْسِراً؟^(١)

وما طالبُ الحاجاتِ من حيث يبتغي

من الناسِ إلا مَنْ أَجَدَّ وَشَمَّرَا

فلما اصبح قال لامرأته : أنا ، والله ، أحبك ، ولا صبر لي على ما نحن فيه من ضيق العيش ، فجهزيني . فجهزته ، فخرج حتى قدم على معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) فقام بين الصفيين ، فاخبره بحاله ، وأنشده الشعر . فرق له ، وأمر له بالف دينار وقال له : لقد دلتني حالك على محبتك لاهلك وكراهيتك لفراقهم فخذ وانصرف اليهم . فأخذها وانصرف راجعاً .

وانشد الزبير بن بكار : لجليل بن معمر^(٢) .

إن* كان في حبِّ الحبيبِ حبيبه
حدود^(٣) لقد حلتَّ عليَّ حدود
ألا أيها الغيرانُ بي أن أحبها
بسخطِكَ ينمو حبُّها ويزيد

* (مكذا في الأصل والأصح لئن .

١) صاحب العُقر وهو قلة ذات اليد .

٢) شاعر عروبي من بني عذرة ويكنى يحميل بثينة نسبة الى معشوقته ، توفى في مصر سنة ٧٠١ .

٣) جمع حد وهو يقع على المذنب المتجاوز لحدود الله أي العقوبة .

فلومتُ كان الموت يخلف الهوى لها في فؤادي وجد وهو جديد *
وتحسب نسوانٌ إذا جتُ زائراً بثينةَ أني بَعْضُهُنَّ أريد
فَتُخْبِرُكُمْ عَنَّا جَنُوبٌ (١) مُضِلَّةٌ وَتُخْبِرُنَا هَتَفَ الْعَشِيِّ بُرُودٌ
إِذَا بَلَغْتُمْ حَاجَةً رَجَعَتْ لَنَا إِلَيْكُمْ بِأُخْرَى مِثْلَهَا فَيَعُودُ

وأنشد أيضاً لجميل بن معمر العذري .

تمتعت منكم يا بثين بنظرة على عجل والناعجات (٢) وقوف
فيا حبذا أم الوليد ومربع لنا ولها بالمنحني (٣) ومصيف
بَثْنَتَانِ (٤) يسترن الوشاح عليهما وبطن كطي السابري لطيف
وأنشده في مثل ذلك أيضاً :

بثينة قالت يا جميل وسودت مجال القذى (٥) منها بثينة بالكحل

* هكذا في الاصل وربما كان على هذه الصورة .

فلومت كان الموت يخلف الهوى لها في فؤادي الوجد وهو جديد
(١) الجنوب ريح عن يمين القبلة ويقال لها التعمامى جهتها بين مطلع سبيل الى مغربه
(ن . ر) .

(٢) جمع فاعجة وهي من النوق أو النساء البيضاء .

(٣) موضع قرب مكة .

(٤) البثنة المرأة الحسناء اللبضة .

(٥) ما يقع في العين من ذباب أو تبن أو وسخ وهنا يريد بمجال القذى العين
بأجفانها .

اتصرم حبلي يا جميل وقادني إليك الهوى قيد الجنينة^(١) بالحبل
وقالت لقينا ما لقيت من الهوى فامس رأسي من دهان ولا غسل

★ قال علي بن المغيرة كانت زينب بنت يوسف بن الحكم بن ابي عقيل اخت الحجاج بن يوسف لاييه وامها الفارعة بنت همام بن عروة ابن مسعود الثقفي عند المغيرة^(٢) بن شعبة فرآها يوماً تتخلل بكرة فقال لها انت طالتي والله لأن كان هذا من غذاء لقد جشعت ونهمت ، وان كان من عشاء لقد انتنت وقذرت ، فقالت قبح الله الذواق المطلاق ولا يبعد الله ، والله ما هو الذي ظننت ، ولكنه استمسك بين اسناني شظية من السواك . وكان سبب قول النميري فيها : ان اباهما يوسف بن الحكم مرض ، وكان يزيد^(٣) معاوية قد ولاه صدقات الطائف^(٤) وارض الشراة^(٥) ، فنذرت ان الله عافاه أن تمشي الى الكعبة معتمرة من الطائف ، وبين الطائف ومكة يومان وليلتان ، فمشت ذلك في اثنين وأربعين يوماً ، وكانت جميلة وسيمة فلقبها النميري ، وهو محمد بن عبد الله بن نير الثقفي ، بطن نعمان^(٦) فقال :

تَضَوَّعُ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ إِذْ مَشَتْ

به زينبُ في نسوةٍ عَطِرَات

-
- (١) النقاداة الطائفة .
 - (٢) صحابي نجفي كوفي ولاه عمر البصرة ثم عزله وحمل مع معاوية .
 - (٣) الخليفة الثاني الاموي اشتهر بتهتكه ومجونه .
 - (٤) منطقة وبلد بالحجاز جنوبي شرقي مكة فيها العنب العذب واشتهرت بزبيها .
 - (٥) موضع بين دمشق والمدينة . (ن . ر)
 - (٦) له نعمان الاراك وهو واد وراء عرفة .

تهادين ما بين المحصب^(١) من ميني^(٢)

وأقبلن لا شعناً^(٣) ولا غبرات^(٤)

مرون بفع رائحاتٍ عشيّةً يُلبّين للرحمن مؤتجرات

لها أرج بالعنبر الورد فاغم^(٥) تطلّع رياه من الفترات

يُخبّين أطرافَ البنان من التقى ويمشّين شطرَ الليلِ مُعتمرات

وليست كأخرى أوسعت جنبَ درعها

وأبدت بنان الكف للجمرات

ومالت تراهى من بعيدٍ فأفتنت برويتها من راح من عرفات^(٦)

تقسمن لي يومَ نعيانٍ إنني بليتُ بطرفٍ فاتك اللحظات

يظاهرن أستاراً ودوراً كثيرة ويقطعن دور اللهب بالحجرات

ولمارات ركب النميري أعرضت وكن من أن تلقينه حذرات

دعت نسوةً شَمَّ العرائين^(٧) كاللدا أوانس^(٨) ملء العين كالظبيات

١) موضع رمي الجمار بمنى في الحج .

٢) قرية بمكة بينها ثلاثة أميال ، بها تنحر الاضاحي .

٣) مغبرات الشعر متلبداته .

٤) عليهن الغبار .

٥) فغم الورد : انفتح . و - المرأة : قبلها .

٦) موقف الحاج يوم عرفة .

٧) واحدا عرنين وهو الانف كله أو ما صلب من عظمه ويكنى بشم العرائين

عن الانفة .

٨) واحدا آنسة وهي الجارية الطيبة النفس تحب قربك وحديثك .

فأبدَيْنَ لِمَا قَنَ يَحْبِبُنْ زِينَا
فقلت: يعافيرُ^(١) الظباءِ تَنَاولت
فلَمْ تَرَ عيني مثل ركبِ رأيتُهُ
وَكُدتُ اشتياقاً نحوها وَصَبَابَهُ
وَعَادرتُ من وَجْدِي بزينبِ غَمْرَةٍ
وظل صحابي يُظهِرون ملامتي
فراجعت نفسي والحفيظة إنما
وقد كان في عصياني النفس زاجرٌ
بطوناً لطافَ الطي مضطمرات
يَناعَ غُصُونِ الوردِ مهتصرات
خرجن من التعمير^(٢) معتمرات
تَقطَعُ نفسي إثرها حشرات
من الحُبِّ إن الحُبِّ ذو غَمَرَات
على لوعةِ الأشواقِ والزَّفَرَات
بللت رداء الغضب بالعبرات
لذي عَبرَةٍ لو كُنَّ مُعْتَبِرَات

★ قال مسلم بن جندب الهلالي كنت مع عبد الله بن الزبير^٣
بنعمان وغلّام ينشد خلفه ، وهو يشتمه أقبح الشتم . فقلت له : ما
هذا ؟ فقال : دعه فاني تشببت باخت هذا الحجاج بن يوسف . فلما
قتل الحجاج عبد الله بن الزبير دعا الناس إلى البيعة ، فتأخر محمد^٤
حتى قام في آخر الناس ولم يجد من الحضور بدأ . فلما دنا منه قال :
أمحمد ؟ قال نعم . قال : أنشدني ما قلت . فأنشدته قصيدتي هذه فقال :
لولا أن يقول قائلٌ لضربت عنقك ، أنج لا نجوت ولا تعد فقال : لا

(١) واحدها يعفور وهو الطي بلون التراب اسم عام في الظباء .
(٢) الاحرام بالعمرة وهي من مناسك الحج وهي زيارة البيت الحرام بالشروط
المحفوظة المعروفة (ن . ر)
(٣) هو ابن أسماء بنت أبي بكر . لما مات يزيد بويع له بالخلافة ثم حاصره
الحجاج بمكة وقتله سنة ٦٩٣ .
(٤) محمد بن عبدالله بن نير الثقفي الشاعر (ن . ر)

تعرضت لاسم زينب ما بقيت . قال : ولما خاف النميري من الحجاج عاذ بأبيه يوسف بن الحكم . فلما أرسل عبد الملك الحجاج لقتال ابن الزبير ، قام إليه يوسف بن الحكم وقال له : يا أمير المؤمنين إن فقي منا فكر زينب بما يذكر به العربي ابنة عمه ، وقد علمت أن هذا لم يزل يتقلب عليه . قال عبد الملك : أليس النميري ؟ قال : بلى ، قد سمعت شعره فما سمعت مكروهاً ! ثم أقبل على الحجاج وقال : لا تعرض له . ويقال أن عبد الملك لما بلغه شعر النميري كتب إلى الحجاج : قد بلغني ما كان من قول النميري ، فلا تدنه فتقطعهُ ، ولا تقصه فتغره . ولكن أهمله والله عنه . فلم يهجه الحجاج ومن قوله فيها :

تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف
أكرم بتلك موافقا ويزينب من واقف

ومن شعره فيها أيضاً :

وما أنسَ من شيءٍ ، فلا أنسَ شاديا بمكة مكحولاً أسيلاً مدامعه
تشربه لونُ الزارفي في بياضه أو الزعفرانُ خالطَ المسكَ أدرعهُ

★ قال الزبير^(١) بن بكار .

حكى الحسن بن علي مولى بني أمية قال : خرجت الى الشام فلما كنت بالسماة ودنا الليل رفع لي قصر فاهويت اليه ، فاذا أنا بامرأة لم أر قط مثلها حسناً وجمالاً . فسلمت ، فردت عليّ السلام ، قالت : بمن

(١) هو ابو عبد الله الزبير بن بكار أحد علماء المدينة (٧٨٦ - ٨٧٠) تولى القضاء في مكة . (ن . د)

أنت ؟ قلت : من بني أمية . قالت : مرحباً بك ، انزل ، فأنا امرأة من أهلك . فأنزلتني أحسن منزل وبت أحسن مبيت . فلما أصبحت قالت : إن لي اليك حاجة . تلت : ماهي ؟ فأشارت الى دير ، وقالت : إن في ذلك الدير ابن عمي ، وهو زوجي ، وقد غلبت عليه نصرانية في ذلك الدير ، فتمضي اليه وتمعه . فخرجت حتى انتهت إلى الدير ، فإذا برجل في فئائه من أحسن الرجال وأجلهم . فسلمت عليه ، فرد وسأل . فأخبرته من أنا ، وأين بت ، وما قالت المرأة . فقال : صدقت ، أنا رجل من أهلك من أهل الحرث بن الحكم . ثم صاح : يا قسطا . فخرجت اليه نصرانية عليها ثياب حبرات وزنانير ما رأيت قبلها ولا بعدها احسن منها . فقال : هذه قسطا ، وتلك أروى ، وأنا الذي أقول :

وبدلت قسطا بعد أروى وحبها كذاك لعمرى يذهب الحب بالحب
وما هي ، أما ذكرها بنبطية كبدر الدجى أوفى على غصن رطب

★ قال الزبير بن بكار .

حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال كانت بنت أبي عبيدة بن المنذر ابن الزبير عند أبي بكر بن عبد الرحمن من محرمه وكان يخدمها وكانت ذات مال ، ولا مال له . وكانت ترض عنه ، فخرج يريد الشام بطلب الرزق ، فلما كان ببعض الطريق رجع فمر يجلسائه بالمصلى فقالوا : زاد خير . ثم دخل عليها فقالت له : أبحير رجعت ؟ فقال لها :

بينما نحن من بلاكث^(١) فالقا ع^(٢) سراعا ، والعيس تهوي هويًا ،

(١) موقع في بلاد العرب .

(٢) موضع قرب زباله - وهي موقع أيضا .

خَطَرَتْ خَطْرَةً عَلَى الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرِكَ وَهَنًا ، فَمَا اسْتَطَاعَ مُضِيًّا .
قُلْتُ : لِيَبِيكَ ، إِذْ دَعَانِي لِكَ الشُّوقِ قُ وَالْحَادِيَيْنِ حُبُّ الْمَطِيَّاتِ
قَالَتْ لَهُ : لَا جَرَمَ (١) وَاللَّهِ لَا شَاطِرَ فَنَكِ مَا لِي فَشَاطِرْتَهُ أَيَاهُ وَلَمْ تَدْعَهُ
لِلسَّفَرِ بَعْدَ .

★ روى ابراهيم بن حسن بن يزيد ، عن شيخ من ساكني العميق (٢)
قال : اني لواقف بالعميق ، وقد جاء الحاج ، اذ طلعت امرأة على راحلة
وحولها نسوة ، فنظرنا اليها ، فاعجبتنا حالها . فلما كانت حذاء قصر
سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان ، عدلت الينا ، ونحن ننظر .
فنزلت قصرأ من تلك القصور فأقامت فيه ساعة ثم خرجت ، فركبت
ومضت ، وان عينها لتنقطان دموعأ . فقلت : لأنظر ما صنعت هذه
المرأة ؟ فدخلت القصر ، فإذا كتاب يواجهني في الجدار ، فقرأته
فإذا هو :

أليس كفى حزناً لذي الشوق أن يرى ،

منازلَ مَنْ يهوى معطلةً قفراً ؟

بلى ، إن ذا الشوقِ الموكَّلِ بالهوى ،

يزيدُ اشتياقاً كلما حاولَ الصبراً .

وتحتة مكتوب : وكتبته أمنة بنت عمر بن عبد العزيز . وكان

(١) أي لاجمالة ولا بد او حقاً وهي هنا بمعنى القسم .
(٢) واد قرب مكة كان منتزهاً في الشتاء والربيع لما فيه من العشب واكثر ذكره
الشعراء . (ن . ر)

سفيان ابن عاصم زوجها فتوفي عنها .

★ ذكروا عن عائشة ^(١) ، رضي الله عنها ، انها لما قدمت البصرة خطبت وبجهرتها الاحنف ^(٢) بن قيس وموسى بن طلحة ورجال من وجوه العرب . فقالت بعقب ذلك : « إني أتيت اطلب بدم الامام المذكُور برمته الحرمات الاربع . فمن ردنا عنه بحق قبلناه ، ومن ردنا عنه بباطل قاتلناه . فربما نصر الظالم على المظلوم والعاقة للمتقين » . قال لها موسى بن طلحة : « قد فهمنا كلامك ، فما الاربع حرمات ؟ » فقالت : « حرمة الشهر ، وحرمة البلد ، وحرمة الامامة ، وحرمة الختونة ^(٣) ، لا يصلح امرؤ بعده ابدأ » . فقال لها الاحنف رحمه الله : « إني سائلك ومغلظ لك في المسألة فلا تجدين ^(٤) علي . اعندك عهد من رسول الله في خروجك هذا ؟ » قالت : « لا » . قال لها : « أفعدك عهد من رسول الله انك معصومة من الخطأ ؟ » قالت : « لا » . قال لها : صدقت ، أن الله رضي لك المدينة فأبيت الا البصرة ، وأمرك بلزوم بيت نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت بيت الحرسه الضيي ^(٥) . الا تخبريني يا أم المؤمنين أللحرب قدمت أم للصلح ؟ » قالت : بل للصلح . « فقال لها : والله لو قدمت وما بينهم إلا الحقق بالنعال والقذف بالحسبا . ما اصطلحوا على يديك ، فكيف والسيوف على عواتقهم ؟ » قالت : « لقد استغرق حكم الأحنف هجاه أياي ، إلى الله أشكو عقوق أبنائي » .

١) من أمهات المؤمنين زوج النبي محمد وابنة ابي بكر الصديق اشتهرت يوم الجمل في محاربة الامام علي بن ابي طالب . وقبرها في البقيع في المدينة .

٢) احد أنصار علي في وقعة صفين .

٣) المصاهرة .

٤) تغضيب من وجد يجد ويجد وجداً عليه اذا غضب .

٥) احد شيوخ بني ضبّة بن أدمى قبائل العرب قتل منهم سبعون رجلاً في الدفاع عن عائشة يوم الجمل (ن . ر)

★ ذكروا ، انه لما قتل الحجاج عبد الرحمن^(١) بن الاشعث ، وأسر من معه ، أمر بضرب رقابهم . فقال رجل منهم : « ايها الامير إني أتيت إليك بشيء » . قال : وما هو ؟ قال : « إني كنت جالساً يوماً عند عبد الرحمن فأخذ في عرضك ، فناضلته عنك . » قال : « ومن يشهد لك بذلك ؟ » فقام رجل من الجماعة يشهد له بما قال فقال : « اتركوه . » ثم قال للرجل : « أفلا كنت مثله ؟ » قال له : بغضي فيك لم يدعني اتكلم فيك بمثل ذلك . » فقال : « واتركوا هذا لصدقه » ثم قام رجل اخر فقال : « ايها الامير لئن كنا أسأنا في الخطأ لما أحسنت في العفو . » فقال الحجاج : أف لهذه الجيف ، أما والله لو كان فيكم من يتكلم والله ما قتل منكم احد . »

١ (قائد عربي من كندة سيره الحجاج بالجيش الى سجستان واغلظ له القول فانقلب عليه بالثورة لكنه انكسر في رقعة دير الجماجم ورمى نفسه من مشارف حصن فيات .

باب يذكر فيه من صيره العشق إلى الاخلاط والجنون

★ قال بعضهم : مررت بفورك الجنون وقد أتاه أهله بطبيب ، يقال له عبد العزيز ، ليعالجه . فسلمت وقلت : ما خبرك يا أبا محمد ؟ فقال : خبري والله مع هؤلاء المجانين ظريف . أنا عاشق وهم يظنون بي جننة^(١) وقد أتوني بهذا الطبيب ليعالجي . ثم انشأ يقول :

أتوني بالطبيبِ فعالجوني على أن قيل مجنونٌ غريبٌ
طبيب الأجرِ فيه عساه يوماً من الأيام يعقلُ أو يتوب
وما صدقوا الفتى محوي قلبي أجلُّ من أن يعالجه الطبيبُ
وما بي جننةٌ لكن قلبي به دائمٌ تموت به القلوبُ
وما عبدُ العزيز طيب قلبي ولكنَّ الطبيبَ هو الحبيبُ

★ وقال آخر : مررت بمجنون بيده قصة وفيها عذبة^(٢) ، وهو يقول :

إذا ما راية رُفعت بنجد تلقاها عرابةً باليمين

(١) الجنون .

(٢) خرقة تشد على أعلى الرمح .

قال فأخذت بيد الغلام الذي كان يتعشقه فوقفت بين يديه ، فقال له : كيف أصبحت يا ابا عبد الله ؟ فقال في ساعة بدهية :

أصبحت منك على شفا جُرفٍ متعرضاً لموارد التلّف
وأراك نحوي غير ما ثقة متحرفاً من غير منحرف
يا من أطال بصدّه اسفي كلّفني عليك اشد من اسفي

★ وقال بعضهم : اجتزت بنفورك المحنون وهو في جماعة من الصبيان راكب قصبه ، وهو يقول : مَنْ كان عاشقاً منكم فليقف في الميمنة ، ومن كان معشوقاً فليقف في الميسرة . ووقف هو في القلب ، ففكر وقال :

إلى من اشتكيك إلى مَنْ إلى كم ترى في قصتي غير مُحسن
إلى كم يدومُ الهجرُ والعتبُ بيننا سألتك بالرحمن ألا رَحمتني
فيا لائمي في أحد لو رأيتَه لما لمتني في حبه ، وعذرتني
أتعجبُ أن قالوا بنفوركِ جنة بنفسي ومالي من هواه أجنتني

ثم قال : احملاوا على بركة الله . فحملت الميمنة على الميسرة ، وأخذ كل عاشق معشوقه .

قال ولقيته في يوم خميس في جماعة من الصبيان ، منصرفاً من تشييع غلام كان يحبه ، وهو يحدثهم ويلطم خده ويقول : ما أحرّ الفراق ! ؟ فقلت : يا ابا محمد ، من أين اقبلت ؟ قال : من تشييع الحجاج . وبكى ، وقال :

هم رحلوا يوم الخميس عشية فودعتهم لما استقلوا^(١) وودعوا
فلما تَوَلَّوْا وَلَّتِ النَّفْسُ مَعَهُمْ ،

فقلت : إرجعي قالت : إلى أين أرجع ؟

إلى جسد ما فيه لحم ولا دم ولا فيه إلا أعظم تتقعق^(٢)
وكذبت فيك الطرف ، والطرفُ صادقٌ

وأسمعت أذني فيك ما ليس أسمع

★ قال الحسن بن رفاعة : رأيت علوية المجنون يوماً وفي عنقه حبل
والصبيان يحرونه ، فلما رأني قال : يا ابا علي بماذا يعذب الله اهل
الجرائم يوم القيامة ؟ قلت : بأشد العذاب . قال : فانا ، والله ، في أشد
من عذابه . لو عذب الله اهل جهنم بالحب والهجر والرقباء لكان أشد
عليهم ، ثم قال :

انظر الى ما صنع الحُبُّ لم يبق لي جسم ولا قلبُ
انحل جسمي حبُّ مَنْ لم يَزَلْ من شأنه الهجرانُ والعتبُ
ما كان أغناني عن حبِّ مَنْ مِنْ دُونِهِ الأستارُ والحُجْبُ

قال : وحضرته وقد اتوه بطبيب يعالجه ، والطبيب يعاتبه ويقول
له : لو تركتني لعالجتك ورجوت أن تبرأ ، فقال في ذلك :

(١) ارتحلوا .

(٢) تصوت .

أنا منك أعلم أيها المتكلم ما بي أجلُّ من الجنون وأعظم
أنا عاشق ، فان استطعت لعاشق براً مَنْنَتَ به وأنت مُحَكِّمٌ
هيات ، أنت لغير ما بي عالم وسواك ، بالذاء الذي بي أعلمُ
دائي دسيس^(١) ، قد تضمنه الهوى ، تحت الجوانح ناره تتَضَرَّمُ

قال : ومررت ببعض المجانين وهو جالس وحده متفكراً ، فقلت :
ما خبرك ؟

أقول بأعلى الصوت ما بي جِنَّةٌ وما بي إلا حُبٌّ من ليس يُنصِفُ
وما بي جنونٌ غير أنْ بليتي إذا انكشفت منه أرق وألطف
بنفسي وأهلي ، من أرى الموت جهرة ،
إذا ما بدا منه البنان المطرَّف^(٢)

قال : وكان فورك يتعشق غلاماً يسمى غلباً فأناه بعضُ إخوانه
فقال : إني خارج نحو غلب ، فهل من حاجة ؟ فقال :

نعم أوصيك إن أبصرت غلباً فقبِّلْ وَجْنتيه وإن تأبى
وقلْ هذي وصية مستهام إليك قتلته سُغفراً وَحُبّاً

★ ودخل مهدي على بعض ولاة اليمامة ، فسأله الوالي عن مجلسه مع

(١) الذي لا يؤثر فيه دواء .

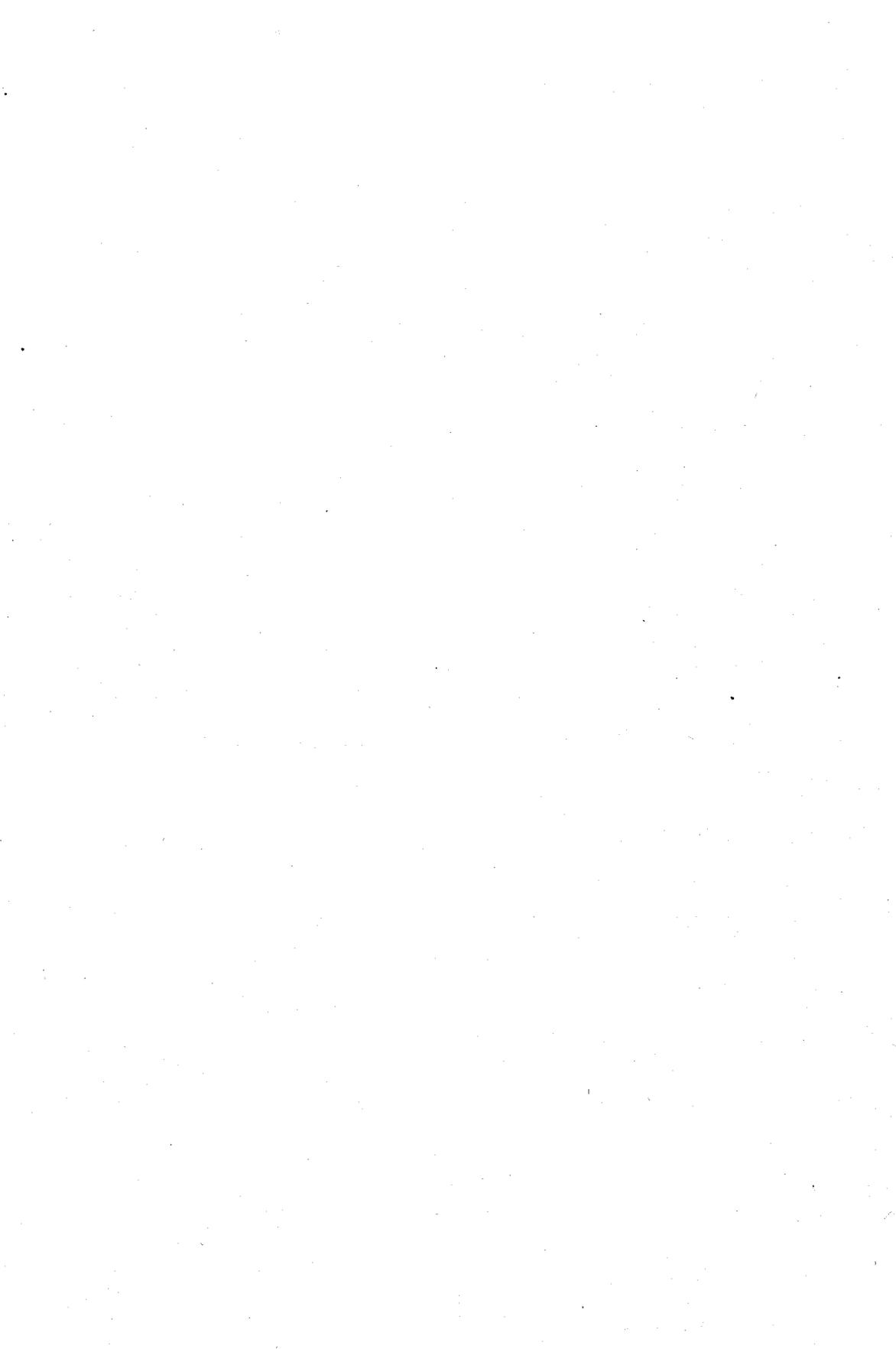
(٢) الخضب بالحناء .

ظبية، واستنشه ما قال فيها من الشعر . وكان ابن ظبية حاضراً ،
فأنشده مهديّ بيتين يصفها فيها بالعفاف . فقام ابنها فززع عن نفسه
جبة خز ووشاحاً ألقاهما على مهدي لما وصف أمه بالعفاف .

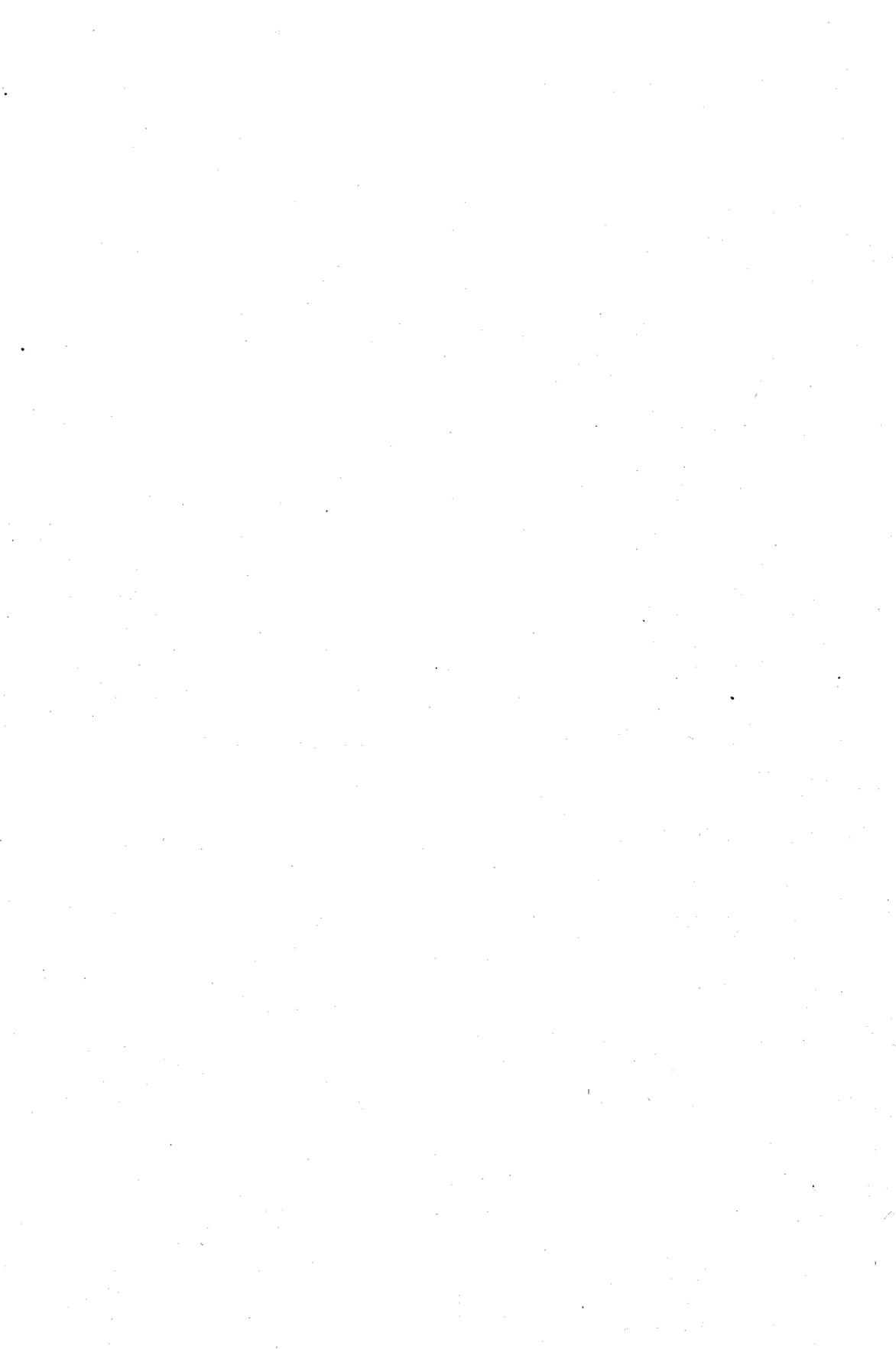
★ قال احمد بن -محي : كان القيطنون متملكا على اهل المدينة ، وكان
قد سامهم خسفاً ، وشرط عليهم انه لا تدخل امرأة على زوجها حتى
يبدأ بها . فتزوج مالك بن عجلان الخزرجي أخته . فلما جهزها واراد
اهدائها الى زوجها ، وهو قاعد في مجلس الخزرج ، إذ خرجت أخته
على الحي سافرة . فغضب مالك ، ووثب اليها ليتناولها بالسيف ، وقال
لها : فضحتي ، ونكست رأسي ، وأغضضت بصري . فقالت له : الذي
تريد بي انت شر من هذا وأقبح وافضح . ان كنت تهديني إلى غير بعلي
فيصيني ، فهذا شر من خروجي سافرة حاسرة ! فقال مالك : صدقت ،
وأبيك . وسكت عنها ، فلما رجعت الى خدرها دخل اليها ، فقال لها :
هل فيك من خير ؟ فقالت : أي خير عند امرأة إلا أن تناك ؟! فقال
لها : اكتمي ما أريده . قالت : نعم . فشرح لها ما عزم عليه . فلما
أتمت أتها رسل القيطنون ليأتوه بها ، فلبست وتعطرت وتحملت ، ولبس
معها وتعطر واشتمل على السيف ومضى معها في جملة نساءها إلى قصر
القيطنون . فلما خلا بها في مشربة^(١) له ، ودنا منها تنحى نساؤها عنها
إلا مالك وحده ، فقالت للقيطنون : بحق التوراة ألا امهلتي ساعة حتى
ترجع نفسي فيها الي ، وتركت أختي هذه تؤانسني عندك ، فإني الفتها
من بين أهلي ؟ فقال : نعم . فلما هدأت ساعة ، قال : تقدمي إلى فراشك
حتى الحقك . فقام القيطنون إلى باب مشربته فأغلقه ، وأتى فراشه .
وكشف مالك عن السيف ثم ضربه به حتى برد . فاجتمع الحيان من

(١) الغرفة التي يشربون فيها .









★ قيل لاعرابي : ما كنت تصنع لو ظفرت بمن تهوى ؟ قال : كنت أمتع عيني في وجهها ، وقلبي من حديثها ، وأستر منها ما لا يحبه الله ولا يرضى بكشفه إلا عند حله . قيل : فان خفت أن لا تجتمعا بعد ذلك ؟ قال : أكِلُ قلبي الى حبها ، ولا أصير بقبيح ذلك الفعل الى نقض عهدها .

★ ويروى عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : سبعة يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل الا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه متعلق بالمسجد حتى يعود اليه ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ، ورجل طلبته ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقه فلم تعلم شماله ما تسريره بينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه .

★ وعن عبد الملك بن قريش الاصمعي^(١) قال : بصرت الزباء بعمر ابن أبي ربيعة^(٢) ، وهو يطوف بالبيت ، فتنكرت له وفي كفها خلوق^(٣) ، فسحته بثوبه ، فقال :

أدخل الله رب موسى وعيسى جنة الخلد من ملائي خلوقا
مسحت كفها بجيب^(٤) قميصي حين طفنا بالبيت مسحاً رقيقاً

(١) أحد أئمة اللغة الأقدمين من البصريين حفظ لغة البدو ولهجاتها . عهد إليه هارون الرشيد بتعليم الأمين له عدة مؤلفات ولولاه لذهبت أكثر دواوين العرب .
(٢) من شعراء الغزل العربي لطيف الاسلوب كان يتعرض لمسئسات العرب وتاب في أواخر أيامه . وشعر أكثر من النوع القصصي يدع الحبيبة تتغزل به .
(٣) ضرب من الطيب يتخذ من زعفران وغيره أو هو الزعفران . (ن . ر)
(٤) الجيب من القميص : طوقه .

لو تجازى القلوب بالودِّ أمسى قلبها مائلاً إلينا شفيقاً

فنظر إليه عبد الله^(١) بن عمر في تلك الحالة ينشد الابيات ، فقال :
ما هذا زي المحرم وما يحل للمحرم أن يقول مثل هذا القول في هذا
الموضع ! فقال : يا أبا عبد الرحمن قد سمعت مني ما سمعت ، فو رب
هذه البنية ، ما حلت إزارى على حرام قط .

★ قال الهيثم بن عدي دخلت ليلي بنت عبد الله الاخيلية^(٢) على
الحجاج^(٣) وعنده وجوه الناس وأشرفهم . فاستأذنته في الانشاد ، فأذن
لها ، فأنشدته قصيدة مدحته بها . فلما فرغت من انشادها ، قال الحجاج
لجلسائه : أتدرون من هذه الجارية ؟ قالوا : لا نعلم ، اصلح الله الامير ،
ولكننا لم نر امرأة أكمل منها كلاً ، ولا أجمل منها جلالاً ، ولا أطلقت
لساناً ، ولا أبين بياناً ، فمن هي ؟ قال : هذه هي ليلي الاخيلية صاحبة
توبة^(٤) بن الحمير الذي يقول فيها :

(١) من عيون الصحابة والفرسان ، حارب تحت امرة سعيد بن العاص في طبرستان
حكم في أمر الخلافة بين علي ومعاوية فلم يبت الحكم قبل أن يأخذ رأي الجماعة .
ولكن هواه لم يكن مع علي .

(٢) شاعرة عربية مشهورة لها عدة مرثي ومن أقوالها :

لعمرك ما باللوت عار على الفتى إذا لم تصبه في الحياة المنابر
وما أحد حياً وإن عاش سالماً بأخلد ممن غيبتة المقابر

(٣) الحجاج بن يوسف أحد ولاة الأمويين على الحجاز وعند ثورة مصعب بن
الزبير رمى الحجاج مكة بالنجنيق . ثم تولى على العراق فأخذ الفتن بقسوة . ويعد من
أكبر طغاة الولاة . وله خطب مشهورة .

(٤) شاعر من عشاق العرب المشهورين أحب ليلي الاخيلية . خطبها من أبيها فلم
يزوجه بها لأنه شذب بها واشتهر حبه لها . وهذا ما يأنف منه العرب .

نَأْتِكُمْ بِلَيْلِي دَارُهَا لَا تَزُورُهَا وَشَطَّ^(١) نَوَاهَا وَاسْتَمَرَّ مَرِيرُهَا^(٢)

ثم قال لها : يا ليلي ما الذي رآه^٣ من سفورك حيث يقول :

وكنت إذا ما زرت ليلي تبرقت فقد رأيت منها الغداة سفورها

قالت : أصلح الله الأمير ، لم يرني قط الا متبرقة وكان أرسل إلي رسولا أنه يلم بنا ، ففطن الحي لرسوله ، فاعدوا له وكنوا ، وفطنت لذلك ، فلم يلبث ان جاء ، فألقيت ، برقي وسفرت له ، فلما رأى ذلك أنكره وعرف الشر ، فلم يزد أن سلم عليّ وسأل عن حالي وانصرف راجعا . فقال الحجاج لها : لله درك فهل كانت بينكما ريبة ؟ قالت : لا ، والذي أسأله أن يصلحك ! الى أن قال مرة قولاً طنتت أنه خضع لبعض الامر ، فقلت له مسرعة هذا الشعر . وأنشأت وهي تقول

وذني حاجة قلنا له لا تبح بها فليس إليها ما حيت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحب و خليل

فلا ، والذي أسأله صلاحك ، ما كلني بشيء بعدها استرته حتى
فرق الدهر بيني وبينه .

★ قال أبو عثمان : قد ترى الاعرابي ، وظاهره ظاهر الجفاء ، فما

(١) بعدت .

(٢) استحکم عزمها .

(٣) أرقمه في الشك والريبة . (ن . ر)

هو إلا أن يعشق حتى تجده أرق من الماء ، وأطف من الهواء . ومع ذلك يلقي أحدهم عشيقته فيترشفها^(١) ويعانقها من دون الثياب ويمسك التكرم ويحجزه الورع^(٢) عن وطنها^(٣) وان أمكنته . قال ابن هرمة^(٤) .

ولرب لذة ليلة قد نلتها وحرامها لخلها مدفوع

ويقتصرون على الحديث والقبل واللمس .

★ قال العتبي^(٥) : قيل لبعض الاعراب ، ما الذي ينال أحدكم من عشيقته اذا خلا بها ؟ قال : اللمس والقبل والحديث . قال : فهل يطؤها ؟ قال : بأبي أنت وأمي ليس هذا عاشقاً هذا طالب ولد .

قال : وكان الشرط بين العاشق ومعشوقه اذا خلوا أن يكون له نصفها الاعلى من سرتها الى قمة رأسها يصنع فيه ما شاء ، ولبعلمها من سرتها الى أخمصها . وأنشد ابن الاعرابي^(٦) في مثل ذلك :

فَلْيَلْخِلْ^(٧) شَطْرُ مَطْلُوقٍ مِنْ عِقَالِهِ وَلْيَبْغِلْ^(٨) شَطْرُ مَا يِرَامُ مَنِيعُ

وأنشد ابو عمرو بن العلاء^(٩) في نحوه :

-
- (١) . ترشف : مَصَّ . (٢) التقوى . (٣) مجامعتها .
 - (٤) شاعر نشأ في المدينة في العصر العباسي الأول .
 - (٥) لعله أبو نصر محمد العتبي المؤرخ الحجة (٩٦١ - ١٠٣٦) .
 - (٦) لعله ابن الاعرابي الكوفي أحد أئمة اللغة ومن مؤلفاته « النوادر » و « الأنوار » .
 - (٧) الصديق الودود .
 - (٨) الزوج .
 - (٩) من أئمة النحو البصريين .

لها نصفان من حل وبل ونصف كالبجيرة^(١) ما يهاج

يقول نصفها الاعلى لعشيقها طلق ، ونصفها الآخر عليه كالبجيرة
- فانها كانت في الجاهلية حراماً لا تهاج ولا تركب ولا تمنع من كلاً
ولا ماء - وأنشد الاصمعي لبعض ظرفاء العرب يخاطب بعل عشيقته :

فهل لك في الببدال أبا زنيم وأقعع بالاكارع^(٢) والعجوب^(٣)

قال ابراهيم بن بشارة النظام : قد يمكن الرجل ان يحتجر عن
ذلك ما دام ليس له هنالك الا الحديث والقبلة ، فاما اذا ترشفا وعانقها
من دون ثيابها فلا بد ان ينعظ^٤ وينشط ، واذا انعظ وهو في الازار
معه انتقض العزم ، كما قال عبد الرحمن بن ام الحكم :

وكأس ترى بين الاناء وبينها قذى العين قد نازعت أم ابان
ترى شاريها حين يعتورانها ميلان أحياناً ويعتدلان
فما ظن ذا الواشي بأبيض ماجد وبيضاء خود حين يلتقيان
دعنتي أخوا أم عمرو ولم أكن أخاها ولم أرضع لها بلبان
دعنتي أخاها بعد ما كان بيننا من الأمر ما لا يفعل الاخوان

(١) الناقة أو الشاة تنتج عشرة أبطن فيتركونها بلا راع .

(٢) واحدها كراع وهو ما دون الركبة من مقدم الساق .

(٣) واحدها عجب وهو أصل الذئب عند رأس العصص وكنى بالاثنين عن
نصف المرأة السفلي .

(٤) انتشر ذكروه . (ن . ر)

★ وقد ذكرنا : أن اهل طبرستان ^(١) لا تتزوج الجارية منهم حتى يستظهر ^(٢) بها حولا كاملا محرماً ثم يقدم بها فيخطبها الى أهلها ثم يتزوج بها ، ويزعمون مع ذلك انهم يجدونها بكرًا ، وقد عانقها في ازار واحد سنة تامة وهو لا يستظهر بها ، ويحتمل وحشة الاغتراب ، وانقطاع الاسباب إلا من عشق غالب . ولا يجوز أن تؤاويه الجارية الا وبها شبه الذي به . وان من أعجب العجب ان يمكننا متعاقبين في لحاف واحد ثم يحتجران عن الزنا تكريماً وتحرماً ! وهذا التكرم عند علوج طبرستان من المعجائب .

★ ومن قول سهيل بن ^(٣) هرون : ثلاثة من المجانين وان كانوا عقلاء : النفضان ، والعزبان ، والسكران . فقال له ابو عبدالله الخليلع : والمنعظ يا ابا عمرو؟ فقال : والمنعظ . وضحك وأنشد :

وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصحبينا

★ قال الاصمعي : كان فقي من ثقيف ^(٤) شديد الحياء ، كريماً اديباً . فبينما هو جالس ، اذ مرت به امرأة من أجمل النساء فلم يتالك أن قام من الحياء من مجلسه ليعلم من هي ، وأين تريد . وقد كلف بها واشتد عشقه لها ، فاتبعها حتى دخلت منزل اخيه فاذا هي امرأته ، فضاق به الامر ولم يدر ما يصنع ، وكنتم شأنه ، وجعل ما به يزداد كل يوم حتى

(١) بلاد واقعة جنوبي بحر قزوين وشمالى جبال ألبرز .

(٢) احتاط واستوثق .

(٣) شاعر ونثر عربي والى البرامكة وحفظ التقاليد المأخوذة عن الفرس وهو من اهل الشعوبية .

(٤) لقب قبيلة اسمها قسي . كانت في الطائف واشتركت في الفتوحات الاسلامية وانحازت الى بني امية فتمزق شملها . (ن . ر)

نحل جسمه ، فانكر شأنه اخوه واهله وسألوه عما به . فلم يخبرهم بشيء من امره . فدعا اخوه الاطباء فعالجوه فلم يغنوا عنه شيئاً ، فلما اعيام ما به ، وزاد سقمه ، سلمه اخوه الى الحرث بن كلدة^(١) وكان من اطباء العرب فنظر اليه الحرث فلم ير به داء ينكر ، غير انه ظن انه عاشق . فخلا به الحرث فسأله ، فأبى ان يقر له بشيء . فلما أعيأ الحرث جعل يسأل عن اسمائهم واسماء نساءهم ، والفتى ملقى بين يديه ، كلما سميت امرأة منهم نظر الحرث وجه المريض حتى جاء اسم امرأة اخيه فارتاح وتنفس ، واغرورقت عيناه بالدموع . فعلم الحرث امره ، وقال لاخيه : اذهب فاجثني بجميع اهليكم ، ولا يتخلف عني احد منهم امرأة ولا رجلاً ، فإني قد وقعت على دائه . فخرج اخوه حتى اتى اهله ، فجمعهم في منزل ونقل الحرث المريض اليهم ، وقال : لا أيغيبن عنه امرأة ولا رجل . فلما نظر الرجل الى امرأة اخيه خف عنه بعض ما كان يجده . فعرف الحرث ذلك منه ، فأمر بشاة فذبحت ، واخرج كبدها فوضعها على النار ، ثم اطعمه منها فأكل ثم مزج له شربة خفيفة فسقاه ، وفعل ذلك به اياماً يزيد في كل يوم شيئاً قليلاً في مطعمه ومشربه . فحسنت حاله ، ورجع اليه بعض جسمه . فلما رأى الحرث انه قوي بعض القوة صنع له طعاماً وهياً له شراباً ثم احضر الفتى وأخاه قطعما وشراباً ، وأمر الحرث اخاه ان ينصرف وقام هو ووكل هو بالفتى من يسقيه ويغنيه ، وقال : احفظ حديثه ، وكل ما يتكلم به ، وحدثه كل حديث تعرفه في العشق واخبار العشاق ، واشعارهم . فلما اخذ الشراب في الفتى تغنى :

أهل ودي ، ألا اساموا وقفوا كي تكلموا :

(١) عاشق في الجاهلية أصله من الطائف . طبيب من أطباء العرب وكان يضرب العود .

أخذ الحي حظه من فؤادي وأنعم ،
فهمومي كثيرة ، وفؤادي متميم ،
وأخو الحب جسمه أبد الدهر يسقم .

فلما أصبح الحرث ، دعا الموكل بالفتى فسأله ، فعرّفه بكل شيء ، فحدثه
وأنشد الأبيات التي تغني بها . فدعا أخاه فعرّفه إنه عاشق لامرأته . فقال له :
يا أخي أنا أنزل لك عنها ، وتزوجها . فلما سمعه الفتى استحيا وخرج هارباً على
وجهه ، فلم يقفوا له على خبر إلى اليوم فسمي فقيد ثقيف .

★ وروى نافع مولى ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : بينا ثلاثة نقر يمشون إذ اخذهم المطر فأووا إلى غار^(١) في
جبل . فانحط عليهم من الجبل صخرة فانطبقت عليهم ، وقال بعضهم :
انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة ، فادعوا الله بها . فدعوا الله ، تبارك
وتعالى ، فقال احدم :

« اللهم انك تعلم انه كان لي ابوان شيخان كبيران ، وامرأة وصبيان ،
فكنت أرعى عليهم فاذا رحمت اليهم حلبت ، وبدأت بالودي اسقيها
قبل بني . واني لم آت يوماً حتى أمسيت ، فوجدتها قد ناما ، فحلبت
كما كنت احلب ، فقميت عند رؤوسها اكره أن أوقظها من نومها ،
وأكره أن ابدأ بالصبية قبلها ، فجعلوا يتضاغون^(٢) تحت قدمي ، فلم يزل
ذلك دأبهم حتى طلع الفجر . فإن كنت تعلم اني فعلت ذلك ابتغاء
وجهك ، فأفرج عنا فرجة نرى منها السماء . » ففرج الله له فرجة .

(١) الكهف .

(٢) من ضفاً ضفواً : استخذي أو استغاث أو صوت .

وقال الآخر : « اللهم انك تعلم انه كانت لي ابنة عم فاحببتها كاشد ما يحب الرجال النساء ، فطلبتُ اليها نفسها فأبَت حتى آتيتها بمائة دينار ، فسعيت حتى جمعت مائة دينار فجئتُ بها ، فلما قعدتُ بين رجلها ، قالت : « يا عبد الله ، اتق الله ولا تقضن الخاتم (١) الا بحقه . فقمت عنها فإن كنت تعلم اني فعلت ذلك إبتغاء وجهك ، فافرج عنا فرجة نرى منها السماء » . ففرج الله جل ثناؤه فرجة .

وقال الآخر : « اللهم انك تعلم أني استأجرت أجيراً فلما قضى عمله ، قال : أعطني حقي . فأعرضت عنه وتركته ، ثم اشتريت بحقه بقرأ وراعياً لها فجاءني بعد حين ، فقال لي : « اتق الله ولا تظمني ، واعطني حقي . فقلت له : إذهب إلى تلك البقر وراعياها . فأخذها وذهب ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج لنا ما بقي . » ففرجها الله عنهم .

★ قال الأصمعي : قلت لإعرابية من بني عذرة : أنتم أكثر الناس عشقاً فما تعدون العشق فيكم ؟ قالت : الغمزة والقبلة والضمة . ثم قالت :

ما الحب إلا قبلة ، وغمز كف ، وعضد .

ما الحب إلا هكذا ، إن نكح الحب فسد .

ثم قالت : وأنتم يا حضر ، كيف تعدون العشق فيكم ؟ قلت : يقعد بين رجلها ويجهد نفسه . فقالت : يا ابن أخي ، ما هذا عاشقاً هذا طالب ولد .

(١) كناية عن البكارة .

★ وروى عن عبد الرحمن بن عوف (١) ، عن النبي ﷺ أنه قال :
إذا صلت المرأة خمسا ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ، دخلت
الجنة .

★ عرض الحجاج سجنه يوماً ، فأتي برجل فقال له : ما كان
جرمك ؟ قال : أصلح الله الأمير ، أخذني العَسَس (٢) وأنا مخبرك
بخبري ، فإن يكن الكذب ينجي فالصدق أولى بالنجاة . فقال : ما
قصتك ؟ قال : كنت أختاً لرجل فضرب الأمير عليه البعث (٣) الى
خراسان (٤) ، فكانت إمرأته تجدي وأنا لا أشعر ، فبعثت إلي يوماً
رسولاً قد جاء كتاب صاحبك فہلم فلتقرأه . فمضيت إليها ، فجعلت تشغلي
بالحديث حتى صلينا العشاء ، ثم أظهرت لي ما في نفسها ، ودعتني الى
السوء ، فأبيت ذلك . فقالت : والله لئن لم تفعل لأصبحن ولأقولن أنك
لص . فلما أبيت عليها صرخت فخرجت هارباً . وكان القتل أهون علي
من خيانة أخي . فلقيني عسس الأمير فأخذوني . وأنا أقول متمثلاً :

رُبَّ بِيضَاءَ ذَاتِ دِلٍّ وَحُسْنٍ قَدْ دَعَتْنِي لَوْصَلِهَا فَأَبَيْتُ
لَمْ يَكُنْ شَأْنِي الْعَفَافُ وَلَكِنْ كُنْتُ نَدْمَانًا (٥) زَوْجَهَا فَاسْتَحَيْتُ

فعرِفَ صَدَقَ حَدِيثَهُ وَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ .

١ (أحد المشرة الذين بشرهم النبي بالجنة . كان في الهجرتين في الحجاز والحبشة . وقاد
القتال في دومة الجندل فتزوج ابنة أميرها .

٢ (الذين يطوفون في الليل يجرسون الناس ويكشفون أهل الريبة .

٣ (الجيش أو كل قوم بعثوا .

٤ (بلاد قديمة في آسيا تنقسمها اليوم إيران وأفغانستان ومقاطعة تركمانيا السوفياتية .
فيها حشد أبو مسلم جيوشه ضد الامويين .

٥ (المتادم على الشراب أي جليس المرء في شرابه . (ن . ر)

★ قيل لبعض الاعراب ، وقد طال عشقه لجارية : ما أنت صانع لو ظفرت بها ولا يراك غير الله ؟ قال : إذا ، والله لا أجعله أهون الناظرين ، لكنني أفعل بها ما أفعل بحضرة أهلها ، حديث يطول ، ولحظ كليل^(١) وترك ما يكرهه الرب ، وينقطع به الحب .

★ قال محمد بن عبيد الزاهد^(٢) : كانت عندي جارية فبعتها ، فتبعتها نفسي ، فسرت إلى مولاهما مع جماعة إخوانه ، فسأله أن يقبلي ويربح عليّ ما شاء ، فأبى ، فانصرفت من عنده مهموماً مغموماً ، فبت ساهراً لا أدري ما أصنع ، فلما رأيت ما بي من الجهد ، كتبت اسمها في راحتي ، واستقبلت القبلة . فكل ما طرقتني طارق من ذكرها رفعت يدي إلى السماء وقلت : يا سيدي هذه قصتي . حتى إذا كان في السحر من اليوم الثاني ، إذا أنا برجل يدق الباب ، فقلت : من هذا : أنا مولى الجارية . ففتحت ، وإذا بها . فقال : خذها بارك الله لك فيها ! فقلت : خذ مالك والريح . فقال : ما كنت لآخذ ديناراً ولا درهما . قلت : فلم ذلك ؟ قال : أتاني الليلة في منامي آت فقال : رد الجارية على ابن عبيد الله ، ولك الجنة .

★ وكان عبد الرحمن بن ابي عمار فقيه اهل الحجاز قد مرّ بنخّاس^(٣) معه فتيات ، فنظر اليهن ، فتعلق بواحدة منهن ، فاشتد وجده بها ، واشتهر بذكرها ، حتى أتى إليه عطاء^(٤) ومجاهد^(٥) يعذلونه .

(١) ضعيف .

(٢) لعله ابو عمر محمد الزاهد أحد نحوي الكوفة اشتهر بحافظته وتعصبه للأمويين .

(٣) تاجر العبيد .

(٤) لعله عطاء بن أبي رباح وهو فقيه محدث نشأ في مكة وتولى فيها الافتاء .

(٥) هو علي بن مجاهد الكابلي حدث عن موسى بن عبيدة وعتبة ، وحدث عنه

احمد بن حنبل .

فلم يكن جوابه الا ان قال :

يلومني فيك أقوام أجالسهم فما أبالي أطال اللوم أم قصرا

فانتهى خبره إلى عبدالله بن جعفر^(١) فخرج حاجاً بسببه ، وبعث إلى مولى الجارية واشتراها منه بربيعين الفاً ، وأمر قيّمة^(٢) جواريه فحلتها وزينتها . وبلغ الناس قُدومه ، فدخلوا اليه للسلام عليه وفيهم عبد الرحمن بن أبي عمار . فلما أراد الشخصوس استجلسه ، فقال له : ما فعل حب فلانة ؟ قال : مشوب باللحم والدم والمخ والعظم والعصب . وأمر بالجارية فأخرجت اليه ، وقال : هي هذه ؟ قال : نعم ، أصلحك الله . قال : إنما اشتريتها لك ، فوالله ما دنوت منها ، فشانك بها ، فهي لك مباركة . وأمر له بمائة الف درهم ، وقال له : خذ هذا المال لثلاثهم بها وتهم بك . قال ، فبكى عبد الرحمن فرحاً وقال : يا اهل البيت قد خصكم الله بأشرف ما خص به احداً من صلب آدم ، فلتهنثكم هذه النعمة ، وبارك لكم فيها . فكان هذا الفعل بعض ما اشتهر به عبدالله بن جعفر من الجود .

★ وقيل لأعرابي : أتعرف الزنا : قال : وكيف لا . قيل : فما هو ؟ قال : مص الريقة^(٣) ، ولثم العشيقة ، والأخذ من الحديث بنصيب . قيل : ما هكذا نعدده فينا ! قال : فما تعدونه ؟ قيل : التق الشديد أن تجمع بين الركبة والوريد ، وصوت يوقظ النوم ، وفعل يوجب كثيراً من الآثام . قال : لله ما يفعل هذا العدو البعيد ، فكيف الصديق الودود .

(١) هو ابن اخي علي ولد في الحبشة وجاء مع أبيه الى المدينة . لقب ببحر الجود لكرمه . (ن . د)

(٢) متولية . (٣) لماب الفم .

★ وقيل لآخر : ما كنت صانعا لو ظفرت بمن تهوى ؟ قال : كنت أطيع الحب في لثامها ، وأعصى الشيطان في آثامها ، ولا أفسد بضع عشرة سنين فيما يبقى ذميا عاره ، وينشر قبيحه أخباره في ساعة تفقد لذتها . إني إذا لثيم ، ولم يلدني كريم .

★ وقيل لآخر : ما انت صانع ان ظفرت بمن تحب ؟ قال : أحلل ما يشتمل عليه الحمار^(١) واحرم ما كتفه الازار^(٢) ، وأزجر الحب عما يفضب الرب .

★ وقيل لليلي^(٣) هذا قيس^(٤) مات لما به من عشقك . قالت : ولقد خفت والله أن أموت بذلك منه . قيل لها : فما عندك حيلة تخفف ما به ؟ قالت : صبري ، وصبره ، أو يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

★ وقيل لعفراء^(٥) ، وقد بلغها ما نزل بعروة^(٦) ، فكادت تبوح بسرها فقيل لها : أما عندك له حيلة تخفف ما به ؟ فقالت : والله ، لأننا أسرنا بذلك وأشوق اليه منه ، ولكن لا سبيل إلى احتمال العار ، ودخول النار .

-
- (١) ما تستر به المرأة رأسها وكنى بذلك عن القسم الاعلى من الجسد .
 - (٢) ما يؤتزر به أي اللباس وكنى به عن القسم الأسفل ما هون الصدر من الجسد .
 - (٣) ليلي العامرية حبيبة قيس .
 - (٤) هو قيس بن الملوح الشاعر الذي جن بحب ليلي وتاه في الصحراء يتغنى بحبه لها إلى أن مات . ولعل أخباره من الاساطير .
 - (٥) هي حبيبة عروة .
 - (٦) شاعر من شعراء الحب والجمال وقيل أن لا وجود له .

★ وقيل لمية^١ ، بعد موت قابوس^٢ : ما كان يضرك لو أمتعته
بوجهك قبل موته ؟ قالت : منعني من ذلك خوف العار ، وشماتة الجار .
ولقد كان بقلبي منه أكثر مما كان بقلبه ، غير أنني وجدت ستره أبقى
لنا لما في الصدر من المودة ، وأحمد للعافية .

★ وقيل لابنة ملك من ملوك الفرس ، وقد أجهدتها عشق رجل
من أساورة أبيها : لو رَوَّحْتُ^٣ عن قلبك بالاجتماع معه ، كف ذلك
من وجدك . قالت : إن الامر على ما تصفون ، ولكن ما عذري إذا
هتكت ستري ، وأظهرت أمري ، عند من لا يلزمه عاري ، ويرغمه
اشتهاري ، والله لا كان هذا أبدا .

★ وحكى السري بن المطلب قال : كان الحرث بن الشريد يعشق
عفراء بنت أحر . فلما عيل صبره كتب إليها :

صَبَرْتُ عَلَى كَيْثَانِ حُبِّكَ بَرَهَةً

وَبِي مِنْكَ فِي الْأَحْشَاءِ أَصْدَقُ شَاهِدِ

هُوَ الْمَوْتُ إِنْ لَمْ يَأْتِنِي مِنْكَ رَقْعَةٌ تَقُومُ لِقَلْبِي فِي مَقَامِ الْعَوَائِدِ

فلما وصلت الرقعة كتبت إليه :

كُفَيْتَ الَّذِي تَحْسَى وَصَرْتَ إِلَى الْمُنَى وَنَلْتَ الَّذِي تَهْوَى بِرَغْمِ الْحَوَاسِدِ

(١) لعلها مية بنت عاصم إحدى نساء العرب خطبها ذو الرمة الشاعر فأبت
التزوج به وكثيراً ما يتشبه الشعراء باسمها .

(٢) لعله غيلان بن عقبة الملقب بندي الرمة .

(٣) رست أو أرحت أو انتعشت . (ن . ر)

فوالله لولا أن يقال تظننا بي السوء ، ما جانبت فعل العوائد

فلما وصلت الرقعة اليه وضعها على وجهه ، فلما شم رائحة يدها شفق شهقة ففضى نحيبه . فقيل لعفراء: ما كان يضرك لو روحت عن قلبه وأجبتَه بزورة؟ قالت: منعني من ذلك قولكن عفراء قد صبّت إلى الحرث! فوالله لاقتلن نفسي إثره من حيث لا يعلم بي احد إلا الله . فلحقت به سريعاً .

★ قال العتيبي : عشق كامل بن الرضين اسماء بنت عبدالله بن مسافر الثقفية ، وهي ابنة عمه ، فلم يزل به العشق حتى صار كالشنن^(١) البالي . فلما اشتد ما به ، شكا ابوه إلى أبيها فزوجها له ، فحمل إلى دارها وفيه رمت ، فلما دخل الدار ، قال : أو أنا بموضع تسمع اسماء كلامي؟ قيل : نعم . فشفق شهقة قضى مكانه . فقيل لها : يا اسماء ، قد مات بغصة . قالت : والله لأموتن بمثلها ، ولقد كنت على زيارته قادرة فمنعني قبح ذكر الريبة ، وسماجة الغيبة . وسقطت في المرض ، فلما اشتد بها ، قالت لاخص نساءها : صوري لي صورته ، فإني أحب ان ازوره قبل موتي . ففعلت . فلما رأت الصورة اعتنقتها وشهقت شهقة قضت نحبها . فدفنت مع الفتى في قبر واحد . وكتب على قبرهما :

بنفسي هما ما مُتُّعا بهواهما على الدهر حتى غُيبًا في المقابر
أقاما على غير التزاورِ برهَةً فلما أصيبا قُرْبًا بالتزاورِ
فيا حُسْنِ قَبْرِ زارِ قَبْرًا يُحِبُّه ويا زورةً جاءت برب المقادر

(١) القرية الخلق ، البالية .

★ قال العتيبي : قال أعرابي : إن لم يكن العشق ضرباً من السحر
انه لَسَعَةٌ من الجنون .

★ وسئلت إعرابية عن الهوى ، فقالت : هو الهوان غلط باسمه ،
وإنما يعرف ما نقول من ابكته المعارف والطلول .

★ وسئلت إعرابية عن صفة الهوى ، فقالت :

الحب أوله مَيْلٌ تهيم به نفسُ المحبِ فيلقى الموت كاللعب
يكون مبدؤه من نظرة عَرَضَتْ أو مزحةٍ أشعلت في القلب كاللَّهبِ
كالنار مبدؤها من قدحٍ ، فإذا تضرمت أحرقت مستجمع الحطب
وانشد لابي جعفر الطربنخي .

ليس خطب الهوى بخطب يسير لا يُنبِّئك عنه مثلُ خير
ليس أمرُ الهوى يدبُّ بالراً ي ولا بالقياس والتفكير
إنما الحب والهوى خطراتٍ محدثات الأمور بعد الأمور

★ وقال إعرابي : إن الصبر على الهوى اشد من الصبر على البلاء ،
كما أن الصبر على المحبوب اشد من الصبر على المكروه .

★ ولیم بعض الحكماء على الهوى ، فقال : لو كان لذي هوى اختيار
لاختار أن لا هوى . وانشد لمجنون ليلى :

أَصْلِي فِلا أَدْرِي إِذا ما ذَكَرْتُها أَثْنَتَيْنِ صَلَّيْتُ الضَّحَى أَمْ ثَمَانِيَا

أراني إذا صليتُ أقبلتُ نحوها
وما بي إشرارك ولكن حبها
بوجهي وإن كان المصلى ورائيا
وعُظْمَ الجوى أعياء الطبيب المداويل

وانشد لابي العتاهية :

لا بارك الله فيمن كان يخبرني
لموتة تأخذ الانسان واحدة
أن المحبين في لهوٍ ولذات
خير له من لقاء الموت مرات

وانشد لأعرابي :

وللحب أغصان تراها نضيرة
رأيتُ المنايا في عيونِ أوانسٍ
وفي طعْمِها للعاشقين ذعاف^(١)
تقتلن أرواحاً وهنّ ضعاف

وانشد :

رأيتُ الحب نيراناً تَلْظَى
فلو كانت ، إذا فنت تقضت ،
قلوبُ العاشقين لها وقود
كاهل النار إذ فنت جلود
أعيد من الشقاء لهم جلود

★ وركبت سكينه^٢ بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله

(١) السم الذي يقتل من ساعته .

(٢) كانت من أجل النساء وأحسنهن وأجبرهن على الألم وكانت ذواقة للأدب والشعر .

عنهم مع جواريتها ، فمرت بعروة بن أذينة الليثي ، وهو في فناء قصر ابن عتبة ، فقالت لجواريتها : من الشيخ ؟ فقلن لها : عروة . فعَدلت إليه فقالت له : يا أبا عامر ، تزعم أنك لم تعشق قط وأنت تقول ؟ :

قالت : وأبثنتها وجددي فبحث به ؛ قد كنت عندي تحت السترفاستر
ألسـت تبصر مَن حـولي ؟ فقلـت لها :

غـطي هـواك وما ألقى عـلى بـصري .

كلُّ ما تَرَى حـوالي مـن جـواري أحرار إن كان خـرج هـذا الكـلام
مـن قلب سـليم .

★ وأما أهل الدعاوي الباطلة ، التي ليست أجسامهم بناحلة ، ولا ألوانهم بمائلة ، ولا عقولهم بذاهية ، فهم عند ذوي الفراسة يكذبون ، وعند ذوي الظرف محرومون . فمن ذلك ما روى العباس بن الأحنف ^(١) ، قال : بينا أنا أطوف ، إذ بثلاث جوار أتراب ^(٢) ، فلما أبصرني ، قلن : هذا العباس . ودنت إلي إحداهن ، فقالت : يا عباس أنت القائل ؟ :

ماذا لقيت من الهوى وعذابه طَلَعَت عـلي بـلية مـن بابـه

قلت : نعم . قالت : كذبت يا ابن الفاعلة ، لو كنت كذلك كنت
كأنا . ثم كشفت عن أشاجع ^(٣) معرأة من اللحم ، فأنشأت تقول :

(١) هو ابو الفضل العباس بن الأحنف شاعر هارون الرشيد اكثر قصائد ديوانه في الغزل .

(٢) صديقات في عمر واحد .

(٣) واحدها أشجع وهي أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف وكني بها عن يديها . (ن . ر)

ولما شكوت الحب ، قالت : كذبتني ،

فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا !

فلا حُبَّ حتى يلزق الجلدُ بالحشا وتخرَسَ حتى لا تجيب المناديا .

★ ومن ذلك ، ما روي عن ابراهيم بن المهدي^(١) قال : دخل علي المأمون^(٢) فقال : بالله يا عم ، هل عشقت قط ؟ فقلت : نعم ، يا أمير المؤمنين ، وأنا الساعة عاشق . قال : وانت على هذه الجثة والجسم الكبير عاشق ؟ فأنشأ يقول :

لأنه اصفر منحول وجه الذي يعشق معروف

الى أن قال :

ليس كمن تلقاه ذا جثة كأنه للذبح معلوف

فأجابه ابراهيم :

وقائل لست بالمُحِبِّ . وُلُو كُنتَ مُحِبًّا لَذَبْتَ مَذْزَمَن
أَحَبُّ قَلْبِي ، وَمَا دَرَى بَدَنِي ، وَلَوْ دَرَى ، مَا أَقَامَ فِي السَّمَنِ

وهذان قد ادعيا المحبة ففضحها شاهد النظر ولم يجوز إدعاؤهما على ذوي المعرفة والنظر . وقول ابراهيم « أحب قلبي وما درى بدني » من

(١) عم المأمون واخو هارون الرشيد تعاطى الغناء والقرب والملاهي وحسن المنادمة .
(٢) الخليفة العباسي ابن هارون وأمه جارية فارسية ازدهرت في عصره العلوم ونقلت مؤلفات اليونان الى العربية .

كثرة المحال أن يتعلق القلب لسبب فيسلم الجسم منه على حاله ولكنه
لاستحيائه من ادعائه اعتذر ، فقبح في اعتذاره . وانشدني بعض المشايخ :

وقائلة : ما بال جسمك لا يرى سقيماً وأجسام المحبين تسقم ؟
فقلت لها : قلبي بجبك لم يَبِحْ جسيمي ، فجسيمي بالهوى ليس يعلم !

والعرب تمدح أهل النحول ، وتذم أهل السمن والجسوم ، وتنفيهم
عن الأدب ، وتنسب أهل النحول إلى المعرفة وحسن البيان ، وأهل
السمن إلى الغباوة وبعد الأذهان .

★ زعموا أن من غلب عليه البلغم^(١) غلظ جسمه ، وكبر شحمه ، وزاد
لحمه ، وقل فهمه ، وطال نسيانه ، وتمقّد لسانه ، لغلبة البلغم على قلبه
والرطوبة على لبه . ومن كان أغلب مزاجه المرة^(٢) جفّ جسمه ، وقل لحمه ،
وصح ذهنه ، ودق فهمه . وانه يستدل بها على حسن أدب ذوي الألباب ، وصحة
أذهان ذوي الآداب . لا تكاد تخطي به الفراسة ، ولا تكذب فيه الدلالة لما
أخبرتكم من غلبة أحد المزاجين على صاحبه واستقراره في مركبه . وربما انجب
السمن ، وخاب الهزال . ولا يكون ذلك إلا في الفرد النادر من الرجال
ومن أمثلة العرب في ذلك : البطنة تذهب الفطنة .

★ قال علي^(٣) بن الجهم : لما أفضت الخلافة الى جعفر^(٤) المتوكل على

(١) خلط من اخلاط البدن في عرف الأقدمين . وهو أحد الطبائع الاربعة .

(٢) مزاج من أنزجة البدن .

(٣) شاعر هجا الشيعة وهجا المتوكل فحبسه .

(٤) الخليفة العباسي العاشر كان متقلباً يتبع هواه أراد نقل العاصمة من بغداد الى
دمشق ولكنه لم يحتمل بردما فرجع الى بغداد .

الله ، أهدى إليه ابن طاهر^(١) من خراسان هدية جليلة فيها جوار ،
منهن جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف ، وكان لها مولى
قد عنى بها ، فبرعت في فنون الأدب ، وأجادت الشعر . وكانت راوية
ظريفة ، مجيدة للغناء . فقربت من قلب المتوكل . وغلبت عليه . قال :
فخرج عليّ يوماً ، وقال لي : يا علي ، دخلت الساعة على قَيْنَة وقد
كتبت بالمسك على خدهما جعفرا ، فما رأيت أحسن منه ، فافعل فيه الساعة شعراً .
فأخذت الدواة والقرطاس ، فانتقل عليّ ، حتى كأني ما عملت بيتاً قط
فقلت : يا أمير المؤمنين ، لو أذنت لمحبوبة أن تقول شيئاً عسى أن
ينفتح لي . فأمرها ، فقامت مسرعة ، وأخذت العود فجسته ، وصاغت
لحناً ، واندفعت وغنت :

وكاتبة بالمسك في الخد جعفرا ، بنفسي خط المسك ، من حيث اثرا .
لئن أودعت سطر آمن المسك خدها ، لقد أودعت قلبي من الشوق اسطرا .
فاعجب لمملوك يظل مليكه مطيعاً له فيما أسر واجهرا .

قال علي : وغضب عليها مرة ، وكان لا يصبر عنها ، فأمر جوارى
القصر أن لا تكلمها واحدة منهن . فكانت في حجرتها أياماً ، وقد تنغص
عيشه لفراقها ، فبكرت عليه يوماً ، فقال : يا علي . قلت : لبيك يا أمير
المؤمنين . قال : رأيت الليلة في منامي كأني رضيت عن محبوبة فصالحتها
وصالحتي . فقلت : خيراً يا أمير المؤمنين ، أقر الله عينك وسرك . إنما
هي عبيدتك ، والسخط والرضا بيدك ، فوالله ، إنا لفي حديثنا إذ
جاءت وصيفة ، فقالت : يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة

(١) أحد أمراء بني طاهر السلالة التي أسسها طاهر بن الحسين قائد المأمون
وكان شاعراً وأديباً . (ن . ر)

محبوبة . قال : فقم بنا يا علي ننظر ما تصنع ، فنهضنا حتى أتينا حجرتها ، فإذا هي تضرب العود وتغني .

أدور في القصر ، لا أرى احداً أشكو إليه ، ولا يُكلمني
كأنني قد أتيت معصيةً ، ليست لها توبةٌ تخلصني .
فهل شفيع لنا ، الى ملك ، فد زارني في الكرى فصالحني ،
حتى إذا ما الصباحُ لاح لنا ، عاد الى هجره فصادمني .

قال : فصاح أمير المؤمنين ، وصحت معه . فتلقته وأكبّت على رجله
تقبلها ، فقال : ما هذا ؟ فقالت : يا مولاي رأيت في ليلتي هذه كأنك
صالحتي ، فتعللت بما سمعت . قال : فأنا والله قد رأيت مثل ذلك .
وقال : يا علي أرأيت أعجب من هذا وكيف اتفق ورجعنا الى الموضع
الذي كنا فيه . واصطاح . ومازالت تغنيه هذه الأبيات يومنا ذلك .
وازدادت حظوتها عنده حتى كان من أمره ما كان . فتفرقت جواريه ،
فصارت محبوبة الى الوصيف الكبير ، فما زالت باكية حزينة ، فدعاها
يوماً مع من صار اليه من جوارى المتوكل فأمرهن فغنن . ثم أمرها
فاستغفته فأبى ، فقلن لها : لو كان في حزننا فرح لطلال حزننا معك .
وجيء بعود فغننت به ؟

أبي عيشٍ يَلدُّ لي لا أرى فيه جَعْفراً
كل من كان ذا ضناً وسقامٍ فقد برأ
غير محبوبة التي لو ترى الموت يُشترى

★ ومن ذلك ما حكى جميل بن معمر العذري : أنه دخل على عبد الملك بن مروان ، فقال له : يا جميل حدثني ببعض أحاديث بني عذرة . فانه بلغني انهم أصحاب أدب وغزَل . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، اعلمك أن آل بئينة انتجعوا عن حيهيم ، فوجدوا للنجعة بموضع نازح فظعنوا ، فخرجت أريدهم ، فبينما أنا أسير إذ غلظت الطريق وأجنتني^(١) الليل فلاحت لي نار ، فقصدتها حتى وردت على راع في أصل جبل قد انحنى عنه الى كهف فيه ، فسلمت ، فرد علي السلام ، وقال : أظنك قد غلظت الطريق ؟ فقلت : أجل . فقال : انزل وبت الليلة ، فاذا أصبحت وقفت على القصد . فنزلت فرحّب بي ، وأكرمني ، وذبح شاة ، وأجج ناره ، وجعل يشوي ويلقي بين يدي . ويحدثني في خلال ذلك . ثم قام بإزار كان معه فوضع به جانب الحبا ومهد لي محلا خاليا فنمت . فلما كان في الليل سمعته يبكي إلى شخص كان معه ، فأرقت له ليلتي . فلما أصبحت طلبت الاذن فأبى ، وقال : الضيافة ثلاث . فجلست وسألته عن اسمه ونسبه وحاله ، فانتسب فإذا هو من بني عذرة ، من أشرفهم . فقلت : وما الذي جاء بك إلى هذا ؟ فأخبرني انه كان يهوى ابنة عم له ، وأنه خطبها من أبيها فأبى أن يزوجه إياها لقلّة ذات يده ، وانه تزوجها رجل من بني كلاب وخرج بها عن الحي ، وأسكنها في موضعه . وأنه رضي أن يكون لزوجها راعيا حتى تأتيه ابنة عمه فيراها . وأقبل يشكو قديم عشقه لها ، وصاباته بها حتى أتى المساء ، وحن وقت مجيئها . فجعل يتقلقل^(٢) ويقوم ويقعد ، ثم وثب قائما على قدميه ، وأنشأ يقول :

ما بال مَيَّةَ لا تأتي كعادتها أعاجبا^(٣) طَرَبٌ أو صَدَّها سُغَل

(١) سترني وأخفاني .

(٢) يتحرك .

(٣) أوقفها .

لكنّ قلبي عنكم ليس يُشغله حتى الممات وما لي غيركم أملٌ
لو تعلمين الذي بي من فراقكم لما اعتذرتِ، ولا طابت لك العِلالُ
نفسى فداؤك، قد أحللت بي سقما تكاد من حرّ الاعضاء تنفصل
لو أن ما بي من سقم على جبل لزال وانهدّ من أركانه الجبل

ثم قال لي : اجلس ، يا اخا بني عذرة ، حتى اكشف خبر ابنة عمي . ثم مضى فغاب عن بصري ، فلم ألبث أن اقبل وعلى يديه محمول ، وقد علا شقيقه ونحيبه ، فقال : يا اخي هذه ابنة عمي ارادت - زيارتي فاعترضها الاسد فأكلها ثم وضعها بين يدي ، وقال : على رسلك (١) ، حتى اعود اليك . فغاب عن نظري فابطأ ، حتى آيست من رجوعه ، فلم ألبث أن اقبل ورأس الاسد على يديه فوضعه ثم ، قال : يا اخي انك ستراني ميتاً فاعمد إلي وإلى ابنة عمي فادرجنا (٢) في كفن واحد ، وادفنا في قبر واحد ، واكتب على قبرنا هذين البيتين :

كنا على ظهرها والعيش في مهلٍ والشملُ يجمعنا والدارُ والوطنُ
ففرّق الدهرُ بالتّصريف (٣) إلفتنا فصار يجمعنا في بطنها الكفن

ورُدَّ الغنم إلى صاحبها ، واعلمه بقصتها .

ثم عمد إلى خناق وطرحه في عنقه ، فناشدته الله لا تفعل ، فأبى

(١) على مهلك وتأن .

(٢) دَرَجَه : طواه ولفه .

(٣) التقلب أو هي من تصاريف الدهر أي نوائبه ونوازله .

وخنق نفسه حتى مات . فلما أصبحت كفنيتها ودفنتها ، وكتبت الشعر كما امر ، ورددت الغم إلى صاحبها وأعلمته بقصتها ، فحزن حزناً خفت عليه الهلاك اسفاً على ما فرط من عدم اجتماعها .

★ وقد رُوِيَ عن محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : كنا عند عروة ^(٤) ابن الزبير وعنده رجل من بني عذرة . فقال له : يا عُدْرِي بلغني أن فيكم رقّةً وغَزْلاً فاخبرني ببعض ذلك ؟ فقال : لقد خلف في الحِي ثلاثين مريضاً ما بهم داء إلا الحب قد خامر قلوبهم وإن فيه من المرارة والنكد والكدم ما هو مستعذب عند أربابه ، مستحسن عند أصحابه ، حلولا تعدله حلاوة ، ومر لا تعدله مرارة . قال الكيث بن زيد في ذلك :

الحب فيه حلاوة ومرارة سائل بذلك من تطعم أو ذق
ما ذاق بؤس معيشةٍ ونعيمها فيما مضى أحدٌ إذا لم يعشق
وقال آخر :

يا أيها الرجلُ المعذبُ بالهوى إني بأحوال الهوى لعليم
الحبُّ صاحبه بيتٌ مسهداً فيطير منه فؤاده ويهم
والحبُّ دائمٌ قد تضمّنه الحشا بين الجوانح والضلوع مقيم
والحب لا يخفى وإن أخفيته إن البكاء على الحبيب يدوم
والحب فيه حلاوة ومرارة والحب فيه شقاوة ونعيم
والحب أهون ما يكون مبرحٌ والحب أصغر ما يكون عظيم

(٤) تابعي وأحد فقهاء المدينة السبعة وهو حجة في رواية الحديث (ن. ر)

وأشدني احمد بن يحيى :

سَلَنِي عَنِ الْحَبِّ يَا مَنْ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مَا أَطْيَبَ الْحَبِّ لَوْلَا أَنَّهُ نَكَدٌ
طَعْمَانٌ حَلْوٌ وَمُرٌّ لَيْسَ يَعْدِلُهُ فِي حَلْقٍ ذَائِقَهُ مَرٌّ وَلَا شَهْدٌ

وأشد ابو الطيب (١) :

سَلَنِي عَنِ الْحَبِّ يَا مَنْ لَيْسَ يَعْلَمُهُ عِنْدِي مِنَ الْحَبِّ إِنْ سَاءَلْتَنِي خَبْرٌ
أَنِي أَمْرٌ بِالْهَوَى مَا زِلْتُ مُشْتَهَرًا لَأَقِيتَ فِيهِ الَّذِي لَمْ يَلْقَهُ بَشَرٌ
الْحَبُّ أَوْلَاهُ عَذْبٌ مَذَاقَتُهُ لَكِنْ آخِرُهُ التَّنْغِيسُ وَالْكَدْرُ

★ وذكر ابن عتيق ، قال : بينا انا اسير في ارض بني عذرة ،
إذ أنا ببیت جدید ، فدنوت منه ، فإذا بمجوز^١ تعلل شاباً قد نهكته
العلة ، وبانت عليه الذلة . فسألته عن خبره ، فقالت : هذا عروة بن
حزام . فدنوت منه ، فسمعتة يقول :

من كان من اخواني باكياً لغد فاليوم ، أني أراني اليوم مقبوضاً

فقلت : انت عروة بن حزام ؟ قال : نعم ، الذي اقول ؟

جعلت لعراف اليامة حكمه وعراف نجد إن هما شفياني

(١) ولد في عملة كندة من الكوفة (٩١٥ - ٩٦٥) وقتل أثناء عودته من فارس امتدح سيف الدولة ثم كافور . وكان متكبراً شجاعاً طموحاً وهو امير الشعر للعربي .

فقالا : نعم ، تشفى من الداء كله .
 وقاما مع العواد يبتدراني
 فما تركا من سلوة يعلمانها ،
 ولا شربةٍ إلا وقد سقياني .
 فقال : شفاك الله ، والله مالنا ،
 بما حملت منك الضلوع ، يدان .
 فويلي على عفراء ويلاً كأنه
 على النحر والاحشاء حد سنان ،
 فعفراء أصفى الناس عندي مودةً ،
 وعفراء عندي المعرض المتواني .

ثم شق شقة توهمت انها غشية فتنجيت عنه ، ودنت العجوز
 فوجدته قد قضي نجه . فما برحنا حتى دفناه .

★ وبلغ العشق ايضاً مجنون عامر إلى ما ذكرناه في موضعه . قال
 بعضهم : سمعت اعرابية تطوف وهي تقول اللهم مالك يوم القضا ،
 وخالق الارض والسماء ، ارحم اهل الهوى ، وأنقذهم من عظيم البلا ،
 فانك تسمع النجوى ، قريب لمن دعا . ثم انشأت تقول :

يا رب إنك ذو منٌ وذو سعةٍ دَارِكٌ بعافيةٍ مِنْكَ المحبينا
 لذاكرين الهوى من بعدما رقدوا حتى نراهم على الأيدي مكبينا

فقلت لها : يا هذه أيقال هذا في الطواف ؟ فقالت : إليك عني ،
 لا يرهقك الحب . فقلت : وما الحب ؟ فقالت : جل أن يخفى ، ودقَّ
 على أن يُرى : له كُمُونٌ كَكُمُونِ النار في الحجر ، إن قدحته
 اورى ^(١) ، وأن تركته توارى . قال : فتبعتها حتى عرفت منزلها ، فلما

(١) أخرج ثاره .

كان من غدٍ جاء مطر شديد فمررت ببابها وهي قاعدة مع اترابٍ لها ،
وهن يقلن لها : أضرَّ بنا المطر ، ولولا ذاك لخرجنا إلى الطواف .
فانشأت تقول :

قالوا أضرَّ بنا السحابُ بَقَطْرِهِ^(١) لما رأوها بعبرتي تحكي ،
لا تعجبوا بما ترون ، فانما تلك السماء لرحمتي تبكي .

وقد زعم قوم انه لا ذنب على اهل الهوى ، ولا وزر على ذوي الضنا . إن خطاياهم تنمحي عنهم لطول بلائهم ، وكثرة شقائهم ، ولما بَلَقُون من القلق ، ويعانون من الارق .

★ ابو الحسن المدايني عن الاصمعي قال : عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو أدركت عفراء وعروة ، لجمعت بينهما .

★ قال الزبير بن بكار : كان العرجي وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان^(٢) بن عفان ، رضي الله عنه ، يعشق ام الاوقص الخزومي القاضي ، وهي امرأة من بني تميم^(٣) ، فكان يتعرض لها ، فاذا رأتة رمت بنفسها وتسترته منه . فمر بها يوماً وهي في بعض نسوة وهن يتحدثن ، فعرفها فأحب أن يراها من قرب ، فعدل عنها ولقي اعرابياً راكباً معه لبن رطب ، فدفع دابته وثيابه واخذ قَعُودَهُ^(٤) ولبسه ، ولبس ثيابه ، ثم

(١) المطر .

(٢) ثالث الخلفاء الراشدين تزوج بابنتي النبي فسمي ذا النورين . قتل في ثورة المسلمين عليه بسبب استسلامه لأنسابه آل مروان .

(٣) قبيلة عربية أنجبت فحول شعراء الجاهلية ولغتها حجة بين لغات القبائل (ن . ر)

(٤) البكر من الابل إلى أن يُثني ، أو ما يقتعد الراعي في كل حاجة .

اقبل على النسوة . فصحن يا اعرابي : عندك لبن ؟ قال : نعم ومال
اليهن ، وجلس يتأمل التميمية وينظر احياناً إلى الارض كأنه يطلب
شيئاً . وهن يشربن من اللبن ، فقالت له امرأة منهن : اي شيء تطلب
يا اعرابي اضاع منك في الارض ؟ قال : نعم قلبي : فلما سمعت التميمية
كلامه نظرت اليه ، وكان أزرق ، فعرفته ، وقالت : ابن عمر ، ورب
الكعبة . ووثبت فسترها نساؤها ، وقلن له انصرف عنا ، لاجابة لنا
إلى لبنك . فضى منصرفاً .

★ قال العتيبي : سمعت اعرابية تقول : مسكين العاشق ، كل شيء عدوه :
هبوب الريح تقلقه ، ولمعان البرق يؤرقه ، ورسوم^(١) الديار تحرقه ،
والعدل يؤلمه ، والتذكير يسقمه . إذا دنا الليل منه هرب النوم عنه ،
ولقد تداويت بالقرب والبعد فما انجح فيه دواء . ولقد احسن الذي يقول :

بِكُلِّ تداوينا فلم يشف ما بنا على أن قرب الدار خيرٌ من البُعد

★ وقال أعرابي : إن لي عيناً دموعاً ، وقلباً مروعاً ، فماذا يصنع
كل واحد منها بصاحبه مع أن داءهما دواؤهما ، وسقمهما شفاؤهما .

★ وذكر أعرابي وَجَدَهُ بامرأةٍ فقال : ما ازدادت مني بعداً إلا
ازددت بها قرباً .

★ وذكر أعرابي امرأةً كان يواصلها في شبابه ، فقال : ما كانت
أيامي معها إلا كباهم^(٢) القطا^(٣) قِصراً ، ثم طالت بعدها شوقاً إليها ،

(١) واحداً رَسَم وهو ما كان لاصقاً بالارض من آثار الدار .
(٢) جمع إِيْهام وهو اكبر أصابع اليد أو الرجل .
(٣) جمع قِطاة وهي طائر مشهور يشبه الحمام أو هو ضرب منه .

وأسفًا عليها ، فالיום بعدها دهر ، والساعة شهر .

★ قال ابو بكر^(١) بن دريد : كانت امرأة من لحم^(٢) يقال لها سعدى تهوى ابن عم لها ، يقال له عيسى . فلما خشي اهلها الفضيحة قالوا لها : إن نطقت فيه بشعر قطعنا لسانك . فعندها قالت :

خليلي إن أصدعتما أو هبطتما بلاداً هوى نفسي بها فاذا كرانيا
ولا تدعا إن لآمني ثم لآئم على سَخَطِ الواشين أن تعذرانيا
فقد شف جسمي بعد طول تجلدي

احاديثُ عن عيسى تشيب التواصيا^(٣)

سأرعى لعيسى الودما هبت الصبا وإن قطعوا في ذلك عمداً لسانيا .

★ طلق أعرابي امرأته : فقالت : لما طلقنتي ؟ فقال ؟ لأنك واسعة الثقبه^(٤) ، حديدة الركبة خفيفة الوثبة . فقالت له : وأنت سريع الاراقة ، بطيء الافاقة ، ثقيل بين اليدين^(٥) ، خفيف خفيف بين الرجلين^(٦) .

★ وطلق قيس بن الذريح^(٧) امرأته لبني فندم على ذلك ، وقال :

(١) لعله اللغوي والنحوي والشاعر المعروف بابو دريد . وكانوا يقولون أنه أعلم الشعراء وأشعر العلماء . .

(٢) من قبائل العرب أصلهم من اليمن شادوا مملكة لحم في الحيرة . وكانوا أخصاماً لبني غسان .

(٣) شعر مقدم الرأس .

(٤) واسعة الفرج .

(٥) أي ثقيل الصدر . (٦) أي يُبني سريعاً .

(٧) أحد شعراء العرب الغزليين وانكروا وجوده .

فَوَا كَبْدِي عَلَى تَسْرِيحِ لُبْنِي فكَانَ فِرَاقُ لُبْنِي كَالْخِدَاعِ
تَكْنِفْنِي^(١) الْوَشَاةُ فَأَزْعَجُونِي فَيَاللنَّاسِ لِلْوَاشِيِ الْمَطَاعِ
فَأَصْبَحْتَ الْغَدَاةُ أَلُومٌ نَفْسِي عَلَى أَمْرٍ وَليْسَ بِمَسْتَطَاعِ
كَمَغْبُونٍ يَعْضُّ عَلَى يَدِيهِ تَبِينُ غَبْنُهُ بَعْدَ الْبِيَاعِ

★ وتزوج الحجاج ابنة عبد الله بن جعفر ، فلما دخلت عليه نظر إليها وعبرتها تجود على خدها ، فقال لها : يا بني وأمي ، مِمَّ تَبْكِينَ ؟ فقالت : من شرف اتضع ، ومن ضعة شرففت . فلما كتب إليها عبد الملك بن مروان بطلاقها ، قال لها : إن أمير المؤمنين امرني بطلاقك . قالت : هو والله أبرُّ بي ممن زوجك إياي . فلما مات أبوها لم تبك عليه ، فقيل لها في ذلك ، فقالت : والله إن الحزن ليبعثني ، وإن الغيظ ليصمتني .

★ وكانت زينب بنت مرة عند ابن عم لها يقال له المغيرة فجرى بينها عتاب فطلقها ثلاثا فقالت :

يَا أَيُّهَا الرَّابِكُ الْغَادِي مَطِيْتَهُ عَرَجَ أُبْتُكَ عَنْ بَعْضِ الذِّي أُجِدُّ
مَا عَالَجَ النَّاسُ مِنْ وَجْدٍ وَمِنْ كَمَدٍ إِلَّا وَجَدْتُ بِهِ فَوْقَ الذِّي وَجَدُوا
حَسِي رِضَاهُ ، وَانِي فِي مَسْرَتِهِ وَوَدَّ آخِرَ الْأَيَّامِ اجْتِهَدُ .

★ كانت عند رجل امرأة يقال لها أم مالك وكان بها معجبا . فاقسمت عليه امه أن يطلقها ، فذهب عقله ، ونحل جسمه . فحضره

(١) أحاطني (ن . ر)

الموت ، فدخلت عليه ام مالك تعوده ، فلما ولت قال لامه : يا عَجُوزَ
لِئِنَّكَ فَقَدْتُ ابْنَكَ فِي الدُّنْيَا ، وَالْآثِمُ لَكَ فِي الْآخِرَةِ . ثُمَّ انْشَأَ يَقُولُ :

لَنَا حَاجَةٌ فِي آلِ مِرْوَانَ دُونَهَا مِنْ النُّفْرِ الْغُرِّ الْوَجُوهُ قَبِيلٌ
فَتُّ كَمَدًّا إِنْ كَانَ يَوْمُكَ قَدْ أَتَى أَوْ اصْبِرْ عَلَيَّ مَا خَيَّلَتْ قَلِيلٌ

فلما خرجت عنه ، فاضت نفسه . وما وصلت إلى منزلها حتى سقطت ميتة .

★ قال ابراهيم بن عقبة : طلق اعرابي امرأته وحمله على ذلك عقله
فندم . وانشأ يقول :

إِذَا ذَكَرْتَ لَيْلِي تَرْقُوقَ دَمْعِهِ كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ عَيْنٌ بِهَا قَبْلَ قُرَّتِ
وَإِنْ ثَلَاثًا مِنْكَ لَوْ تَعَلَّمِنَهُ دَنْتُ دُونَ حُلُوِّ الْعَيْشِ حَتَّى أُمِرَّتِ

حكى ابو العيناء^(١) ، عن ابي حمزة الفسائي قال : نزل اعرابي من بني
اسد^(٢) بيت اعرابية من بني تميم ضيفاً ، فأنته بـقِرِيٍّ^(٣) حاضر ، وماء
بارد . فجعل ينظر اليها من وراء الستر ، ثم راودها عن نفسها ، فقالت
له : يا هذا أَمَا يَقْرَعُكَ^(٤) الاسلام والكرم ؟ كَلِّ ، وَإِنْ أَرَدْتَ غَيْرَ
ذَلِكَ فَارْتَحِلْ . فقال لها : زوجيني إذاً نَفْسَكَ . فقالت : الاولياء
يزوجونك . فخاف أن لا يزوجه للعداوة بين الحيين ، فانتسب إلى

(١) محمد بن القاسم الهاشمي ولد في الامواز وتوفي في البصرة . (٨٠٥ - ٨٩٦)
وهو أديب وشاعر رويت عنه الأخبار في الأغاني .

(٢) قبيلة من مضر .

(٣) ما يقدم للضيف .

(٤) عنَّف .

بني عذرة فزوجوه فأقام عندهم زماناً . ثم علموا انه أسدي فقالوا له : والله انك لكفء كريم ، ولكن نكره ان تنكح فينا وأنت حرب لنا ، فحل عن صاحبتنا . وكان يحبها حباً شديداً فطلقها ، وقال :

احبك يا عم حُبَّ الحياة ونيلَ المنى وبلوغَ الظَّفَرِ
ويعجبني منك عند اللقاء ، حياءَ الكلام ، وموت النظر
ونائي الجبين ، شديد البياض ، كثيف الجوانب ، مثل القمر .
له وهج كضرام الحريق ، يكاد يمزق جلد الذكر

قال ابو ذكوان : لم تقل العرب فيما يريده الرجال من النساء احسن من هذا .

★ قال : خرج محمد بن المشيري الخارجي إلى البصرة في طلب ميراث له ، وبها نفر من قومه . فأقام بها حولا ينشدهم ويحدثهم . وكانت امرأة منهم ذات جمال ومال لا يطمع فيها احد . فقالوا له : يا ابا سلمان هل لك في امرأة منا ، سيدة في قومها جمالاً وعقلاً ، وعفافاً ، ورأياً ؛ قد سمعت بمقدمك ، فذكرت لها ، فزعت أنك طلقت زوجتك التي خلفتها في بلدك فرغبت فيك ، فإن احببت اقمت عندنا فيما ترى من طيب بلادنا وربعنا ، وعلينا صداقك ، وما تحتاج اليه ؟ فاقبلوا به وأدبروا واجتهدوا فأبى عليهم ، وقال في ذلك :

أسائل بالعراق فراق سَعْدِي ولا تبدي ولا يرَها الفراق
لئن ربح الفراق لهجر سَعْدِي علي أشد ما ربحَ الفراق

إذا عدلوا أقول لهم : لسعدى خلّاتق لا يحل لها الطلاق
حرام ان يقول نساء قوم تركتك أو تحدث بي الرفاق

★ سمعت اعرابية تقول لزوجها : يا مفلس ، يا قرنان . فقال لها :
ان كان ما ذكرت حقاً فواحدة من الله ، وأخرى منك ، يا زانية ،
وانت طالق ثلاثاً .

★ خاصمت امرأة زوجها ، فطلقها فقالت له : يا هذا ، لم طلقيني
وقد كنت لك ناصحة ، وعليك شفيقة ، وما في عيب إلا ضيق يجبهتي ؟
فقال لها زوجها : لو كان الضيق في حرك^١ ما طلقتك ابداً !

★ كانت لرجل في الاهواز^٢ ضيعة بالبصرة ، وكان يتعاهدها في
حين الانتفاع بالثمار . فتزوج بها امرأة^٣ ، وانتهى الخبر إلى امرأته
الاهوازية فاستخرقت^٤ كتاباً على لسان بعض اخوانه بالبصرة يعزیه في
البصرية ويقول : إلحق المال الذي خلّفت ولا تتأخر . وأعطت الكتاب
لبعض الملاحين وجعلت له جُعلاً^٤ . فلما وصل الكتاب إلى زوجها
وَجَدَ لموتها وجداً عظيماً ، وقال للاهوازية : اصلحي لي سفرتي ، فاني
راكب إلى البصرة . ففعلت ، فلما اصبح الغد ركب فرسه ، واعطته
السفرة ، ثم قبضت على عنان فرسه وقالت له : ما تكثر اختلافك إلى
البصرة الا ولك بها امرأة تزوجتها ؟ فقال لها : والله مالي بالبصرة امرأة .

(١) الفَرَج .

(٢) من أقاليم الدولة العباسية يسمى اليوم خوزستان وهو في إيران وفيه مدينة
عبادان مركز النفط العظيم .

(٣) اختلقت كذباً .

(٤) ما جعلته للعامل على عمل خاص أي الاجرة .

للذي وقف عليه من الكتاب . فقالت له : لست أدري ما تقول ؛ وإنما تحلف وتقول كل امرأة لي غيرك طالق ثلاثاً بقول جميع المسلمين ؟ فللذي وقف عليه الرجل من موت البصرية قال في نفسه : تلك ماتت ، فلم أُغَيَّر صَدْرُ هذه : فقال لها : كل امرأة لي غيرك في جميع الاقاليم فهي طالق ثلاثاً بقول جميع المسلمين . فقالت له : لا تتعبن فقد طلقت الحبيبة . فندم الرجل ، وأسقط ما في يديه .

★ ولما تزوجت ليلي صاحبة قيس بن الملوح ، هام على وجهه مع الوحش ، وكان يقول :

وللناس في ذاك المكان عشير ^(٢)	لها في سواد القلب ^(١) تسعة أسهم
مِنَ الناسِ إلا أن يقول كثير .	ولست بِمُخْصٍ حب ليلي لسائلٍ
فوت نفسي مرة ونشور .	وتُتَشَّرُ نفسي بعد موتي لذكرها ،
فكادت في الأرض البراح ^(٣) تمور ^(٤)	أتاني بظهر الغيب أن قد تزوجت ،
تلاق ، وعيني بالدموع تفور :	فقلت ، وقد أيقنت ان ليس بيننا
لأفقر مني انني لفقير .	لئن كان تبدي بُرد ايمانها العلي
فهل يأتيني بالطلاق بشيرٌ ؟	فما أسرع الأخبار أن قد تزوجت ،

(١) حبته أو دمه .

(٢) هو عُشْر المُشْر أي جزء من مائة ويصح إطلاقه على السنتي ١٠٠/١ إطلاقاً . (ن . د)

(٣) المتسع من الأرض لا نبات فيه ولا شجر .

(٤) تتحرك وتضطرب .

★ حكى ابراهيم بن محمد بن عرفة قال : كانت ام عبد الملك بن سعيد ابن خالد بن عمرو ، عند الوليد^(١) بن يزيد بن عبد الملك . فمرض سعيد ، وهو بالبادية ، فعاده ، فدخل عليه وعنده اختها سلمى ، فستروها ، فرأى منها لحة ثم قامت ، فرأى طولها فطلق اختها وخطبها ، فلم يزوجه اياها وكانت اختها ام عثمان عند هشام^(٢) بن عبد الملك ، فبعث إلى ابيها : اياك أن تزوج الوليد ، تريد أن تتخذه فحلاً لبناتك يطلق واحدة ويتزوج اخرى ؟ فأبى ان يزوجه . فقال الوليد : العجب من سعيد ، خطبت اليه فردي ، ولو قد مات هشام واستخلفت لزوجنيها ، فان زوّجتها فهي طالق ، وان كنت اهوأها . وقد ذكرنا حديثه مستقصى في موضعه من هذا الكتاب .

★ خاصمت امرأة زوجها إلى المطلب بن حبط الخزومي قاضي المدينة ، وكانت قالت له : أسأت الي وأوجعتني ، ووالله ما استطيع ، فإن بنتك تسي من الجوع والجهد وما اقن الا على الوطن^(٣) . فقال : انت طالق ان كان لا يقمن إلا على الوطن ! فاخبرت القاضي بما قالت ، وبما قال . فقال القاضي : بطلب المقادير ، ورب الكعبة ، إن الأيئل^(٤) ليكون بالمكان الجذب الحسيس المرعى فتقيم فيه بحب الوطن . فقال الزوج : كأن المسألة ، اصلح الله القاضي ، اشكلك عليك هي طالق الف مرة .

★ وطلق علي بن منظور امرأته فندم عليها ندماً شديداً ، فقال :

-
- (١) الخليفة الأموي الحادي عشر انهمك في اللهو وكان شاعراً قتل سنة ٧٤٤ .
(٢) خليفة اموي حارب البيزنطيين ووصلت جنوده الى بحر قزوين . على أيامه غزا عرب افريقيا فرنسا توفي في الرصافة (٧٢٤ - ٧٤٣) .
(٣) مريض الغنم والبقر التي تأوي إليه . (ن . ر)
(٤) الوعل أو ذكر الاوعال وهو جنس من ذوات الظلف لذكورها قرون متشعبة لا تجويف فيها وهي تنسلخ عنها كل سنة .

ما للطلاق فقدته وفقدت عاقبة الطلاق
طلقت خير خليلة تحت السموات الطبايق

★ وأحبت امرأة الأعرابي أن تفارقه فقال :

تَمَّيْنِ الطَّلَاقَ وَأَنْتِ مَنِّي بعيش مثل مشرفة الجمال

★ قال خالد بن صفوان^(١) : ما بت ليلة احب الي من ليلة طلقت
فيها نسائي ، فارجع والستور قد هتكت ومتاع البيت قد نقل . فبعثت
الي بنتي سُليَّةَ فيها طعام ، وبعثت الاخرى الي بفراش اثم عليه .
وقيل لامرأة كانت تُطَلِّقُ كثيراً : مالك تطلقين ابداً ؟ قالت
يريدون الضيق ، ضيق الله عليهم قبورهم .

★ وقال اعرابي لامرأته :

أَنَوَّهْتُ بِاسْمِي فِي الْعَالَمِينَ وَأَفْنَيْتُ عَمْرِي عَاماً فَعَاماً
فَأَنْتِ الطَّلَاقُ وَأَنْتِ الطَّلَا ق وَأَنْتِ الطَّلَاقُ ثَلَاثًا تَوَاماً

حكى عروة بن الزبير ، عن عائشة ، رضي الله عنها : ان امرأة رفاعة
انت إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله إن رفاعة
طلقتني ، فبت طلاقي ، واني تزوجت بعده بعبد الرحمن بن الزبير وما
معه الا مثل هدبة الثوب ، فتبسم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،

(١) نديم أبي العباس السفاح ومستشاره اتخذته لأنه استحسن ادبه .

وقال : أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة ! لا ، حتى تذوق عسيلة^١
الزوج الثاني ويدوق عسيلتك .

★ دخل مدني البصرة ، فزوّج فيها امرأة : ثم حصل بينها شر ،
فقال لها : انت طالق عدد شعر استك . فقالت : قاتلكم الله يا اهل
المدينة تسرعون الطلاق وتؤثرون الخلاق .

★ قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت^٢ لعطاء بن صيفي الثقفي :
لو اصبحت ركة مملوءة خمرأً بالبيع ما كنت صانعاً بها ؟ قال : افرقها
في بني النجار فانها لا تعدوم . ولكن اخبرني ، أيها اكبر جدك ثابت
أم جدتك فريعة ؟ قال لا ادري . قال عطاء : الفريعة كانت اكبر ،
وقد تزوجها قبله أربعة ازواج كلهم يلقاها بمثل ذراع البكر ثم يطلقها .
ف قيل لها : يا فريعة ، لم تطلقين وأنت بمثل هذا الجمال ؟ قالت : يلتمسون
الضيق ، ضيق الله عليهم .

★ وطلق اعرابي زوجته ، فقيل له : ألا تتزوج بعدها ؟ فقال :
مكابدة العفة ، ايسر من الاحتيال بمصلحة العيال .

★ تزوج الفضل بن قطن الحارثي ابنة المهلب بن ابي صفرة^٣ .
فجلس يوماً معها يشرب ، فاراد الاقتحار عليها فقال :

(١) حلاوة الجبّاع . هنا مجال للتأويل فاذا كانت الحاء مفتوحة كانت الكلمة بمعنى
الحظ والنصيب الوافر من الخير . واذا كانت مكسورة كان المعنى : ضرب من الطيب
يتخذ من زعفران وغيره أو هو الزعفران .

(٢) حسان بن ثابت من الشعراء المخضرمين لقب بشاعر النبي ويعد شعره من مصادو
تاريخ تلك الحقبة في حياة الاسلام .

(٣) من كبار قواد بني امية حمل بالحرب الى بلاد أفغانستان والهند ثم الى سمرقند
ناصر عبد الله ابن الزبير ثم بايع عبد الملك وظفر بالخوارج الازارقة .

إن كنتِ ساقيةً يوماً على كرم كَأَسِ المَدَامِ^(١) فأسقيها بني قطن^(٢)

ثم انه تحرك فصرط . فقالت : وأسقي هذه بني قطن ايضاً ؟ فخبجل وقال : اذمي فأنت طالق .

★ وطلق عطية بن أشجع محبوبة بنت عبد الله ، امرأته فزوجت رجلاً دميماً فقال في ذلك :

لعمرى أبي سامى ، ولست بشامت بسامى ، فقد أمست بها النعل زلت .
وليس لمغفورٌ لسامى ذنوبها وإن هي صامت كل يوم وصلت ،
ولوركبت ما حرم الله لم يكن بأعظم عند الله مما استحلّت ؟

★ كانت لبعض الصالحين امرأة تبغضه ، فكان إذا نهاها عن امر دعت الله ان يريحها منه ، وان يعجل طلاقها ، فاضجرته يوماً فطلقها ، فسجدت لله شكراً ، فقال الرجل : اللهم إنها وضعت اليك فما كاذباً ، ووجها وقاحاً ، ورفعت استأ مجاهرة بالفحشاء فاجرة . فوثب سنور في البيت فافزعها ، فصرطت ، فقال : الحمد لله الذي سهل فرقتك وعجل فضيحتك .

(١) المدام : الحمر .

(٢) حي من ضمير .

باب ما جاء في الغيرة

★ يروى عن عروة بن الزبير، عن أسماء^١ بنت ابي بكر، قالت سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول وهو على المنبر: لا شيء أغَيْرُ من الله. وعن عبد الله بن مسعود^٢ انه قال: أن الله ليغار للمسلم فليغر وعنه، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، انه قال: ليس شيء أغير من الله، من اجل ذلك حرم الفواحش. وعن كعب بن مالك^٣ أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: الغيرة، غيرتان: فغيرة يحبها الله، وغيرة يكرهها الله. قلنا: يا رسول الله، ما الغيرة التي يحبها الله؟ قال: ان يغار أن يأتي معاصي الله، وينتهدك محارمه. قلنا وما الغيرة التي يكرهها: قال ان يغار احدكم في غير كنهه. وعن عبد الملك بن عمير بن عبد الله بن بكار انه قال: الغيرة غيرتان: غيرة يصلح بها الرجل اهله، وغيرة تدخله النار.

١) الاخت الكبرى لمائشة ومن السابقات في الاسلام زوجها الزبير بن العوام وابنها عبد الله. لقببت بذات النطاقين لأنها شقت رداءها لتحمل قرية الماء وكيس الحيز الى النبي وأبيها عند الهجرة.

٢) صحابي هو سادس من أسلم وكان في خدمة النبي وحجة في القرآن والحديث. أخذ الناس عنه تفسيره المتسامح في تحريم الخمر. (ن. ر)

٣) صحابي داوى النبي لما جرح في احدى المعارك. وهو من سكان المدينة.

ويُروى : ان سارة^١ كانت تحب ابراهيم^٢ خليل الرحمن . فكثت معه دهرأ لا تترزق ولدا ، فلما رأت ذلك وهبت له هاجر^٣ ، وكانت أمة لها قبطية^٤ ، فولدت لابراهيم اسمعيل ، صلى الله عليها ، فغارت من ذلك سارة ووجدت في نفسها ، وعتبت على هاجر . فحلفت لتقطعن عضواً من اعضائها فقال لها ابراهيم ، صلى الله على نبينا وعليه : هل لك ان قברי يمينك ؟ قالت : كيف اصنع ؟ قال : اثقي اذنيها وخصفها . والخصف هو الخياطة . ففعلت ذلك بها ، فوضعت في اذني هاجر قرطين فازدادت حسنا . فقالت سارة : اني إنما زدتها جمالاً : فلم تتركه على كونها معه . ووجد بها ابراهيم وجداً شديداً ، فنقلها إلى مكة وكان يزورها في كل وقت من الشام لشغفه بها ، وقلة صبره عنها .

★ وعن ابن أبي مليكة : ان ابن عمر سمع امرأته تكلم امرأة من وراء جدار ، بينها وبينها قرابة لا يعلمها ابن عمر ، قال : فجمع لها جرائد^٥ ثم اتى فضرها بها .

★ وعن علقمة : أن معاذ بن جبل^٦ كان يأكل تفاحة ومعه

(١) امواة ابراهيم الخليل ووالدة اسحق جد الإسرائيليين (حوالي ٢٠٠٠ ق. م)
(٢) هو خليل الرحمن وابو المؤمنين تلقى الوحي في أور و تزح منها الى بلاد كنعان وهو ابو اسحق واسماعيل جد العرب .

(٣) جارية سارة زوجتها من زوجها ابراهيم فولدت له اسماعيل واختلف مع سارة بعد مولد اسحق . وعندما هاجرت أرسل الله الملك جبرائيل ففتح لها بئراً للشرب منه مع ولدها اسماعيل وتسمى هذه البئر ببئر زمزم . وقد طمست آثارها فاكشفها عبد المطلب جد النبي .

(٤) من الأقباط وهم سكان مصر الاصليون احتفظوا بلقمتهم الاصلية في مختلف لهجاتها وهم اليوم طائفة من المسيحية .

(٥) قضبان النخل مادام عليها الخوص وإلا فهي سعة (ن ، ر)

(٦) صحابي أنصاري . أرسله النبي الى اليمن ليدعو أهلها الى الاسلام . حارب في أجدان واليرموك . وهو فقيه مات بالطاعون في عمواس .

امراته فدخل عليه غلام ، فناولته امرأته تفاحة قد اكلت منها
فاوجعها ضرباً .

★ وقال بعضهم : لذة المرأة على قدر شهوتها ، وغيرها على قدر لذتها .
واستدل بافراط غيرتها على افراط حرصها . وهذا القول خطأ قد علمنا
ان الرجل اشد غيرة على المرأة من المرأة على الرجل . وربما كان الذي
يبدو من المرأة عند تسري زوجها بالسراري وترويجه المبهرات ^(١) ، وحين
تراه مع بعضهن توهيما للفعل أن ذلك من الطرية والكراهة المشاركة فيه .
وبعض ذلك يكون من طريق الالفة والنفاسة به ، وليس شكل ما
تلقي المرأة اذا رأت على فراشها ، من شكل ما يلقي الرجل اذا رأى
على فراش امرأته رجلاً . لان المرأة قد عاينت أن الرجل له اربع
نسوة وألف جارية يطؤون بلك اليمين ، لما احله الله في الشريعة . وكذلك
غيرة فحول الحيوان على اناثها ، لان فحل الحيوان يقاتل دونها كل فحل
يعرض لها حتى تصير إلى الغالب . قال الراجز .

يفار والغيرة في خلق الذكر والامم تختلف في الغيرة . فمن الصقالبة^(٢)
ناس لا يتزوجون من قرب منهم في النسب ولا الدار . واذا مات البعل
خنقت المرأة نفسها اسفاً عليه .

والمرأة في الهند إذا مات زوجها وارادوا حرقه ، جاءت ليحرقوها معه .
والديلمي^(٣) يخرج من الديلم إلى حدود ما بين دار الاسلام والديلم ،
ومعه امرأته واخوانه وعماته فيبيعهن صفقة واحدة ، ويسلمهن الى المبتاع ،

(١) واحدها مهبيرة وهي الحرة لأخذها المهر أو الغالية المهر .
(٢) جيل حمر الألوان صهب الشعور يتاخون الخزر وبعض جبال الروم .
(٣) نسبة الى الديلم وهم جيل من الترك قيل أن أصلهم عربي . (ن . ر)

لا تدمع عينه ولا عين واحدة من عياله .

وأهل طبرستان لا يتزوج الرجل الجارية ممنهن حتى يستبطن^(١) بها حولا محرماً ثم يقدم بها فيخطبها إلى أهلها ويتزوجها ، ثم يزعمون مع ذلك انه يجدها بكرأ ، وقد عانقها في ازار واحد سنة كاملة وهو لا يستبطن بها ، ويحتمل وحشة الاغتراب ، وانقطاع الاسباب . وإن من اعجب العجب ان يكثرا متعانقين في لحاف واحد يجتجران^(٢) عن الذ الامور تكرمأ . وهذا التكرم عند علوج^(٣) طبرستان من العجائب .

★ قال معاوية ، رضي الله عنه : ثلاث خصال من السوداء ، الصلع ، واندماج البطن ، وترك الافراط في الغيرة .

★ ولما نزل قيس بن زهير^(٤) ببعض العرب قال لهم : أني غيور ، وأنا فخور ، وانا أنف ؛ ولكن لا أغار حتى ارى ، ولا افخر حتى افعل ، ولا آنف حتى اضم . فعابوه بقوله « لا اغار حتى ارى » ويظن به انما عني رؤية السبب لا رؤية المرافقة .

وعابوا معاوية ايضاً بقوله هذا ونسبوه إلى قلة الغيرة « وما ارى في قوله وترك الافراط عيبا لان الافراط المجاوز للحق ولتقدير المصلحة وظلم الخليفة العفيفة والحرمة الكريمة غير لائق »

وعاب الناس قول هذبة بن خشرم حيث يقول :

-
- (١) استبطن الفحل الشول : ضربها فلقحت كلها . وهنا بمعنى يماشرها كالرأة .
 - (٢) يتحاضنان .
 - (٣) جمع علج وهو الرجل من كفار المعجم ، أو الضخم القوي .
 - (٤) من شعراء نجد سمي قيس الرأي لصحة رأيه ، وهو صاحب داحس .

فلا تنكحي ان فرق الدهر بيننا اغم^(١) القفا والوجه ليس بأنزعا^(٢)

فهذا يأمرها بتزويج الاتزع القليل شعر القفا والوجه .

ولا ارى فيه عيباً ايضاً لأنه انما قال ذلك ليذكرها جمال نفسه
ليزهدها في غيره .

وأما قول نصيب^(٣) .

أهيمُ بدعد ما حيت وإن أمت فياليت شعري من يهيم بها بعدي

فإني لم اجد له تأويلاً . وعاب ذلك عليه عبد الملك بن مروان ، وقال
لجلسائه : او لو كنتم قائلين هذا البيت ما كنتم تقولون ؟ قالوا : لا
ندري ، فكيف كان امير المؤمنين قائلاً ؟ قال : كان يقول :

اهيم بدعد ما حيت فان أمت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

وكان الرجل من العرب إذا خرج مسافراً بدأ بالشجرة يعقد خيطاً
على ساقها أو على غصن من اغصانها ، فإذا رجع إلى اهله بدأ إلى الشجرة
فنظر إلى الخيط ، فإن كان منحللاً حكم أن امرأته خاتته ، وان كان على
حاله حكم انها حفظته .

(١) يبعث منظره على الحزن والكدر .

(٢) الاتزع : الذي انحسر الشعر عن جانبي جبهته . (ن . و)

(٣) من الشعراء المدريين .

وانشد ابو زيد^(١) النحوي .

هل ينفعك اليوم إن همت بهم كثرة ما توصي وتعفي والرتم

والرتم اسم للخيط الذي يعقد في الخنصر لتذكر الحاجة .

وكان معاوية بن ابي سفيان يتمثل بقول الشاعر :

ومراكب رجع السلام بكفه ومودع لم يستطع تسليماً

وقال آخر :

واضحى الغيور، ارغم الله انفه ، على ملتقانا قائماً يتمطق^(٢)

وقدمد شذقيه من الغيظ والأذى كما مد شذقيه الحمار المحنق

وقال الراعي^(٣) :

وظل الغيور آرضاً^(٤) بينانه كما عض برذون على الفاس جامع

لقد رابني أن الغيور يودني وان ندماي الكهول الجحاح^(٥)

١) ابو زيد الأنصاري البصري سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن قيس بن زيد نحوي تتلمذ على الفضل الضبي . وكان ثقة من أهل البصرة . وكان من الأئمة في الأدب وغلبت عليه اللغة والنوادر والفريب ومن مؤلفاته كتاب « النوادر » .

٢) يتذوق أو يصوت باللسان وغار الفم الاعلى استحساناً . (ن . ر)

٣) هو ابو جندل الهوازني من شعراء العصر الاموي . غلب عليه لقب الراعي لكثرة وصفه الابل وجودة نعمته إياها .

٤) آكلاً وقاضياً .

٥) واحدهما الجحاح وهو السيد الكريم .

وَصَدَّ ذَوَاتِ الظُّعْنِ عَنِّي وَقَدَّرَاتٍ كَلَامِي لِمَرَاءِ السَّنَا الطَّوَامِحِ؟

وقال عبد الله بن الدمينة ^(١) :

ولما لحقنا بالحمول ، ودوننا

خيمص الحشا ^(٢) تؤذي القميص عواتقه ،

عرضنا ، فسلمنا ، فسلم كارها علينا ، وتبريح من الغيظ خاتقه .
فراقته مقدار ميل وليتني ، على زعمه ، مادمت حياً أرافقه

وقال مسكين الدارمي ^(٣) .

وإني امرؤٌ لا ألقى إلا قاعداً إلى جنب عرسي ^(٤) لا أفارقها شبرا
ولا مقسم لا تبرح الدهر بيتها ليجعلها قبل المات لها قبرا .
إذا هي لم تُحصن ^(٥) أمام قناعها ، فليس بمنجيبها بناي له قصرا ،
ولا حاملي ظني ، ولا قول قائل على غيرها ، حتى أحيط بها خبرا .

١ (شاعر من بني عامر بن تميم الله الحثمي . ولعله هو الذي كان حاكم مكة
ومن هارون الرشيد .

٢ (خيمص الحشا . ضامر البطن .

٣ (شاعر قيسي تميمي توفي سنة ٧٠٨ .

٤ (زوجتي .

٥ (تمفّ (ن . ر)

فهبني امرأ راعيت ما دمت شاهدا

فكيف إذا ما سرت عن بيتها شهرا؟

وقال مسكين ايضاً :

ألا أيها الغائرُ المستشيط ، على ما تغار إذا لم تغر ؟
تغار على الناس أن ينظروا ! وهل يغبن للحاصنات النظر ؟
فما خير عرس إذا خفتها وبت عليها شديد الحذر ؟!
تكاد تصفق اضلاعه إذا ما رأى زائراً أو زفر .
فمن ذا يراعي له عرسه إذا ضمه ، والمطي ، السفر ؟

★ وثلاثة من شعراء اولاد المعجم ممن كان مشتهراً بالغزل مذكوراً ،
بالشعر بالبادية ، كلهم قتلوا منهم : وضاح اليمن^(١) ، ويسار ، الكواعب ،
وسحيم عبد بني الحسحاس . وانما قتلوا كفا عن اولئك النساء ، وحفظاً
لهن ، حين رأوا التعرض ، وشنعة تلك الاشعار لا يشغلهم عنها إلا قتلهم
مخافة أن يكون ذلك القتل يحقق المقالة القبيحة . الا ترى ان الحجاج
ابن يوسف في عتوه لم يتعرض لابن نمير في تشبيه بزینب اخته مخافة ان
يكون ذلك سبباً للخوض في ذكرها . فيزيد زائد ، ويكثر مكثر .
وكذلك معاوية بن أبي سفيان لم يعترض لعبد الرحمن بن حسان بن
ثابت وكان يتشبه بابنته ، حتى قال :

(١) شاعر من مشاهير الغزليين . شبب بأم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك
فأمر بدفنه حياً .

ثم حاضرتها الى القبة الخضراء نمشي في مرمر مسنوب

ومن أحق بالقتل من سحيم عبد بني الحساس؟ حيث يقول:

وبتنا وسادانا الى عَلَجَانة^(١) وحقف^(٢) تهاداه الرياح تهاديا
توسدني كفا وتثني بمعصم علي، ونحوي رجلها من وراثيا
وهبت شمال آخر الليل قرة ولا ثوب إلا درعها وردائيا
فما زال ثوبي طيبا من نسيمها الى الحول حتى انهج الثوب باليا

ومروا به ليقتلوه على الذي اتهم بها، فضحكت، فقال:

فان تضحكي مني فيارب ليلة، تركتك فيها كالقباء المفرج

★ وحكى العتيبي، قال: سمع عقيل بن علقمة المري بنتا له ضحكت، فشبهت في اخر ضحكها. فأخذ السيف وحمل عليها وهو يقول:

فرقت، أني رجل فروق، من ضحكة آخرها شهيقة

قال: فنادت يا اخوتاه! فبادروا فجالوا بينه وبينها.

(١) تراب تجمعمه الريح في أصل شجرة.

(٢) الكتب من الرمل إذا تقوس.

(٣) الريح التي تهب من ناحية القطب. (ن. ر.)

★ وحكى ابو حاتم السجستاني^(١) ، عن الاصمعي ، قال : كان عقيل ابن علقمة غيوراً ، وكان الخلفاء يصاهرونه ، وكانت له ابنة يقال لها الحرياء . فكان إذا خرج الى الشام خرج بها لفرط غيرته . فخرج بها مرة وبابن له يقال له عميس ، فلما كانوا بدير سعد^(٢) قال عقيل :

قضت وطرا من دير سعيد وربما غلا غرض ناطحته بالجماجم

ثم قال لابنه أجز يا عميس . فقال :

فأصبحن بالموماة^(٣) يحملن فتية ، نشاوى من الادلاج^(٤) ، ميل العمام

ثم قال لابنته : اجيزي ، يا حرياء . فقالت :

كأن الكرى أسقاهم صرخدية^(٥) عقار تمشت في المطا والقوائم .

فقال لها : وما يدريك انت ما نعت الحمر؟ هذه صفة من قد شربها . وأخذ السوط فاهوى نحوها ، وجاء عميس فحال بينه وبينها ، فضربه فأوجعه فرماه عميس بسهم ، فشك فخذه فبرك ، ففوضوا وتركوه حتى إذا بلغوا اداني المياه منهم ، قالوا : اللهم أسقطنا جزوراً لنا . فأدركوه وخذوا معكم الماء . ففعلوا ، فاذا عقيل بارك وهو يقول :

(١) لغوي عاش في البصرة وتعاطى بيع الكتب . تعلم على الاصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد . له كتاب « النخل » وكتاب « الليل والنهار » .

(٢) موضع في البادية .

(٣) اسم يقع على جميع الفلوات أو هو المفازة .

(٤) سير الليل مطلقاً .

(٥) الحمر المنسوبة الى صرخد - بلد بالشام في جبل حوران - (ن . ر) .

ان ابني زملائي بالدم من يلق أبطال الرجال يكلم
ومن يكن درء به يقوم شنشنة اعرفها من أخزم

ثم زوجها يزيد بن عبد الملك . وقد ذكرنا خبره في ما مضى .

★ قال : وما يحدثُ الهوى في قلوب النساء لغير ازواجهن ، ويدعوهن إلى الحرص على الرجال ، والطلب لهن امور منها : ان يظهر لها زوجها شدة الحذر عليها ، والاحتفاظ بها ، والغيرة في غير موضعها . او يكون الرجل منهما في الفساد ، مظاهراً لها بالزنا . فان ذلك مما يغريها من طلب الرجال ، والحرص عليهم . كما قال الشاعر :

ما أحسن الغيرة في حينها ، وأقبح الغيرة في كل حين .
من لم يزل مُتَّهِمًا عِرسَهُ متَّبَعًا فيها لرجم^(١) الظنون ،
أوشك أن يُغْرِيَهَا بالذي يخاف ، أو ينصبها للعيون .
حسبك من تحصينها ضمها منك الى عرض نقي ودين .
لا تطلع منك على ربيبة فيتبع المقرون حبل القرين

★ ذكر الشعبي^(٢) : إن عبد الله بن رواحة^(٣) اصاب جارية له ،

(١) التكلم بالظن .

(٢) ابو عامر بن شراحيل ثامي ومحدث كان مستشار الخلفاء . وهو علامة الكوفة روى عن علي وأبي هريرة وعائشة . ومن تلاميذه ابو حنيفة .

(٣) من الصحابة وكاتب أسرار النبي كان من الأشخاص القلائل الذين يعرفون الكتابة في ذلك الوقت (ن . ر)

فسمعت به امرأته ، فأخذت شفرة فأتته حين قام وقالت له : أفعلتها يا ابن رواحة ؟ فقال : ما فعلت شيئاً . فقالت : لتقرآن قرآناً ، وإلا بعجتك بها . قال : فكفرت في قراءة القرآن وأنا أُجَنَّبُ فَهَيْبْتُ ذلك ، وهي امرأة غبراء في يدها شفرة لا آمن ان تأتي بما قالت . فقلت :

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشقَّ معروف من الصبح ساطع
أرانا الهدى ، بعد العمى ، فقلوبنا به موقنات ، ان ما قال واقع
بييت يجافي جنبه عن فراشه ، إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

قال : فالقت السكين من يدها ، وقالت : آمنت بالله ، وكذبت
البصر . قال : فاتيت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فاخبرته بذلك ،
فضحك واعجبه ما صنعت .

★ وكان بعض العلماء لشدة شهوة الباه^(١) في قلوب النساء ، وتمكنه
فيهن ، وشدة غيخته ، يقول : ليس المصيبة في معاتبة الرجل المرأة ،
إنما المصيبة في معاتبها اياه . فانها إن نظرت اليه ووقع بقلبها موقع
شهوة لم يلبث أن تصير في يده ، وتبعث الرسائل والاشعار والتحف .

★ قال اسحق : رأيت رجلاً بطريق مكة ، تعادله في الحمل
جارية قد شد عينيها والغطا مكشوف ، ووجهها باد ، فقلت له في ذلك .
فقال : إنما أخاف عليها من عينيها ، لا من عيون الناس .

(١) التكاخ وقيل الحظ من التكاخ .

★ قال سعيد بن سليمان إن يري حرمتي الف رجل على حال
يكشف منها ، ولا تراهم ، احب الي من أن ترى حرمتي رجلاً واحداً
غير منكشف .

★ واستأذن ابن ام مكتوم على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
وعنده امرأتان من نسائه ، فقال لهما : قوما وادخلا البيت . فقالتا :
يا رسول الله ، هو اعمى ! فقال : أفعمياوان أنتما؟ .



(باب من هذا الشكل)

وبالرجال اعظم حاجة إلى أن يعرفوه ويقفوا عليه ، وهو الاحتراس من ان يلقي الخبر السابق إلى السمع لأنه إذا القي دخل ذلك الخبر السابق إلى مقره دخولاً سهلاً وصادف موضعاً وطيباً ، وطبيعة قابلة . ومتى صادف القلب كذلك رسخ رسوخاً لا حيلة في إزالته . ومتى القي إلى الفتيات شيء من أمور الفتيان في وقت الفرارة ^(١) وعند غلبة الطبيعة وشباب الشهوة ، وعند قلة الشواغل ؛ قوي استحكامه ، وصعبت إزالته . وكذلك متى القي إلى الفتيان شيء من أمورهن وهناك سكر الشباب ، فكذلك يكون حالهم ، وان الشياطين ليخلو احدثهم بالغلام الغرير فيقول له لا يكن الغلام فتى ابداً حتى يصادف فتى . فما الماء البارد العذب باسرع في طباع العطشان من كلمته إذا كان الغلام ادنى هوى في الفتوة . وكذلك إذا خلت العجوز بالجارية الحديثة .

وقيل لابنة الحسن : لم زيت بعبدك ولم تزن بجر ، وما اغراك به ؟ قالت : طول السواد ، وقرب الوساد . ولو أن اقبح الناس وجهاً ، واخبثهم نفراً ، واسقطهم همة ، قال لامرأة قد تمكن كلامها وأعطته سمها : والله يا سيدتي زيا مولاتي ، لقد اتعبت قلبي ، وأرقت عيني ، وشغلتنني عن مهم أمري ، فما اعقل أهلا ولا مالا ولا ولداً . لتقض

(١) حدائة السن وهو ما يطلق عليه اليوم المراهقة .

طباعها ، وفتح عقدها ولو كانت ابرع الخلق جمالاً ، وأكملهم كلاً . وإنما قال عمر رضي الله عنه : اضربوهن بالعري لان الثياب هي الداعية إلى الخروج من الاعراس ، والقياس في المناجاة ، والظهور في الاعياد . فمتى كثر خروجها لم يعد لها أن ترى من هو من شكل طبمها ، ولو كان بعلمها تم حسناً والذي رأته انقص حسناً ، لكنت بما لا تملكه أطرف مما تملكه . وكانت مما لم تملكه وتستكثر منه اشد الوجد وهي به اشد استقبالاً . كما قال :

وللعين ملهى في البلاد ولم يقدر هوى النفس شيئاً كاختياد الطرائف

وقيل لعقيل بن علقمة : أما تخاف على بناتك وقد عنسن^١ ولم تزوجهن ؟ قال : كلا ، اجوعهن فلا يأشرن^٢ ، وأعرهن^٣ فلا ينظرن . فوافقت احدى كلمتيه قول النبي صلى الله عليه وسلم ، ووافقت الاخرى قول عمر رضي الله عنه . فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الصوم وجاء . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اضربوهن بالعري . قال : وكان هرون بن عبد الله البردعي يقول لأهله : محرم عليك أن نظرت إلى سائل يقف ببابك ، وسمعت حلاوة نغمته . وكان ينهي الباعة إذا دخلوا سكنه عن النداء على بضائعهم . ورأيت مرة يضرب عطاراً سمعه يترنم بوصف العطر وكان ينفق بضاعته حسن صوته ، فيقول : العود المطري^٤ ،

(١) عَنِسَتْ الجارية : طال مكثها في بيت أهلها ولم تتزوج .

(٢) أَشْرَتْ : مَرَحَ وَبَطَرَ .

(٣) شَجَرَ لَهُ حَبَّ يَجْعَلُ فِي الطَّيْبِ .

والهلب^(١) واللبان^(٢) والمسك والعنبر ويردد ذلك بصوته فيرجعه^(٣). فكان النساء يستمعن اليه ويشرفن من المطالع^(٤) ويتبعن الابواب حتى تصل عيونهن إلى النظر اليه. ولو اردن الجماع لكفتهن الآذان. وربما اشترين منه ما لا يحتجن اليه. قال: فقلت له: يا أبا وائل، فانك قد انعم الله بشيء كنت تمنعه! قال: جعلت فداك، إنما امنع منعي لنفسي لئلا يسمعه من في منزلي. فإن النساء أسرع شيء ذهاب قلوب إلى النعمة الحسنة، فإن كان معه حسن وجه برئت المرأة من الله إن لم تحتل في صرف قلبه اليها، ويصير الزوج قواداً. قلت: لا، ولا كل هذا! قال: فاسألك الا سألته أن يستعمل هذا الكلام مرة أو مرتين او ثلاثاً في غير هذه السكة. فذهبنا به إلى غيرها وجعل العطار ينادي فما أتم الثالثة حتى تحركت اكتافي له طرباً وجعلت لا أمر ولا أجيء لما سكرت من حسن صوته. فقال: كيف تراه؟ قلت: اراه يستولي على قلوب الرجال. قال: فكم قلب الرجل على ترك التهتك من قلب المرأة؟ هذا إذا كانت بلغت من السن مبلغاً، ونقصت شهوتها فاما إذا كانت شابة ولها فضل جمال، ومعها شدة شهوة، وكثرة لذة، وهي ذات حاجة، وخالية الذرع من الفكرة في المعاش، وخالية القلب، وقد أمنت ضرب الزوج وتطليقه، وغيره الأخ، وقلة صيانة الأب، وأصابت من يشجعها على فعلها، ويفتح لها ابواب نظرتها، ويسمى لها في طلب الصديق، ويجرضها على التهتك؛ وقد قرب منها الصوت، وخلت من الرقيب، ولم يكن لها في الارض اشراف، ولا اهل عفاف؛

-
- (١) شجر له حب يجعل في الطيب .
(٢) ضرب من الصمغ يقال له الكندر أو شجيرة شوكة لا تسمو أكثر من ذراعين ،
ورقها وثمرها كورق الآس وثمره أو هي شجرة الصنوبر .
(٣) ردد وطرب . (ن . ر)
(٤) السلام .

فما يبرق السهم من الرمية كمرق هذه إلى الباطل .

وكانت هند بنت المهلب من عقلاء النساء وكانت تقول : شيثان لا
تؤمن عليهما المرأة : الرجال ، والطيب .

وأنشد اسحق بن ابراهيم .

وإني بها في كل حال لوائق ولكن سوء الظن من شدة الحب

وأنشد آخر .

لا تأمن على النساء ولو اخا ، ما في الرجال على النساء أمين
كل الرجال وان تعفف جهده لا بد أن بنظرة سينخوف

★ وقال كان عبد السلام بن رغيان المشهور بديك الجن (1) شاعراً
اديباً ، ذاممة حسنة . وكان له غلام كالقمر ، وجارية كالشمس . وكان
يوامها جميعاً . فدخل ذات يوم فوجد الجارية معانقة للغلام تقبله ، فشد
عليها فقتلها جميعاً . ثم جلس عند رأس الجارية فبكاها طويلاً وقال :

يا طلعةً طلعت الحمام عليها فجنى لها ثمر الردى بيديها
حكمت سيفي في مجال خناقها ومدامعي تجري على خديها
رويت من دمها الثرى ولطالما روى الهوى شفتي من شفيتها

(١) شاعر دافع عن العرب المستعربة وكان شيعياً متعصباً ألف المراثي في مقتل
الحسين وولد في حمص (٧٧٨ - ٨٤٩) .

فوحق نعلها ، وما وطىء الحصى ،

شيء أعز علي من عينيها

ما كان قَتْلِهَا لَأَنِي لَمْ أَكُنْ

لَكِنْ بَخَلْتُ عَلَى الْأَنَامِ بِحَسْنِهَا

ثم جلس عند رأس الغلام يبكي :

أشفقت ان يرد الزمان بغدره

أنا استخرجته من دجنة

فقتلته وبه علي كرامة

عهدي به ميتاً كأحسن نائم

لو كان يدري الميت ماذا بعده

غُصَصُ تَكَادُ تَفِيضُ مِنْهَا نَفْسُهُ

وأنشد الرازي :

أما واهتزازك لو أستطيع

ومن أين للبدر وجه يمت

فيه حَكَكَ بِحَسَنِ الضِّياءِ

اغار على حسنه إذ حكا

لما لحظ الناس بدر التمام

ويحيي إذا شاء بالابتسام

فن أين للبدر حسن القوام؟

ك وكان بذلك عند الأنام

وأشُد لأبي تمام^(١) :

بنفسي من أغار عليه مني وأحسد مقلة نظرت إليه
ولو أني قدرت طمست عنه عيون الناس من حذري عليه

وأشُد الآخر :

أغار عليك من قلبي ولو أعطيتني أملي
وأشفق أن أرى خدي لك نصب مواقع القبل

★ ويروي أن جميل بن معمر قال لبثينة : ما رأيت مصعب بن الزبير يخطر بالبلاد إلا اخذتني عليك الغيرة .

وعن علي بن عبدالله الجعفري ، وكان شاعراً اديباً ، قال : كنت أجلس بالمدينة وأنشد اشعاري ، فحج أبو نواس^(٢) فلما صار إلى المدينة وأنا ذات يوم أنشد ، والناس مجتمعون عليّ ، إذ دخل أبو نواس . فرأيته من بين الناس ثم قال : يا هذا ألا تنشد بيتك اللذين تكشحت فيها؟ فقلت : وما هما . قال : اللذان تقول فيها :

ولما بدالي أنها لا تحبني وإن هواها ليس عني بمنجلي
تمنيت أن تبلى بغيري لعلها تنوق حرارات الهوى فترقلي

(١) حبيب بن أوس الطائي ولد في جاسم ونشأ في جبل عامل . شاعر عباسي كان قوي الحافظة حاضر البديهة .

(٢) من أكبر شعراء العصر العباسي . ولد في الأمواز . لقب بشاعر الحجرة . كان مقرباً من الرشيد والأمين والمأمون واتصل بالبرامكة . وتاب في أخريات أيامه وتزهد .

قلت : افلا أنشدك بيتي اللذين أتفاير فيها؟ قال : بلى . فأنشدته :

ربما سرني صدودك عني وطلابيك وامتناعك مني
حذراً أن يكون مفتاح غيري فإذا ما خلوت كنت التمني

قال : فسألت عنه . فقيل لي ابو نواس .

★ قال الأشعث بن قيس^(١) نزلت ببعض أصحاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقام إلى امرأته فضربها ، فحجرت بينها . قال : فرجع إلى فراشه ، وقال : يا أشعث ، احفظ شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسألن رجلاً فيم يضرب امرأته . »

★ قال ابن عائشة^(٢) : كان ابو الاصبع العدواني غيوراً ، وكان له أربع بنات ، فأبى أن يزوجهن ، فقالت واحدة منهن : لتقل كل واحدة منا ما في نفسها . فقالت كبراهن :

ألا ليت زوجي من أناس ذوي غنى حديث الشباب طيب النشر والذكر
لصوق بأكباد النساء كأنه خليفة جار لا يقيم على الهجر

قلن لها أنت تريدن شاباً غنياً .

(١) من أمراء كندة وفد على النبي محمد مع جماعة من قومه ليعلموا اسلامهم . شهد القادسية والمدائن وفيها ولد واليرموك ووقعة صفين بين علي ومعاوية . ولقد خان علياً فلقب (عرف النار) .

(٢) لعله ابن عائشة القرشي وكان أطيب الناس صوتاً في زمانه يحسن الغناء والضرب وكان لا يبغي إلا للخليفة توفي سنة ٧٤٣ .

وقالت الثانية :

عظيم رماد القدر رحب فناؤه

له جفنة يشقى بها النيب^(١) والجزر^(٢)

له خلقان : الشيب من غير كبرة تشين ، ولا وان ولا صرع غمر

فقلن لها أنت تريدين سيداً .

وقالت الثالثة :

ألا هل تراها مرة وخليلمها يضم كبعل المشرفي المهند

عليه رواء لليسار ورهطه إذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدي

فقلن لها أنت تريدين ابن عم لك قد عرفته .

وقلن للصغرى : ما تقولين أنت ؟ فقالت : لا أقول شيئاً . فقلن

لها : لن ندعك لأنك اطلعت على أسرارنا وكتمت سرنا . فقالت : لا

ادري ما أقول ، إلا انه زوج من عود ، خير من قعود . قال : فخطبين ،

فزوجهن جميعاً .

وروي عن سليمان^٣ بن داود^٤ عليها السلام انه قال لابنه :

(١) الإبل الهرمة .

(٢) ما يعد للذبح .

(٣) ابن داود وخلفه على ملك يهوذا قام ببناء الهيكل واتصف برجاحة العقل .

(٤) من سبط يهوذا من مدينة بيت لحم . وهو مؤسس مملكة يهوذا ووطد أركانها وكان ورعاً مطيعاً لشريعة الله إلا أنه غاظ العلي إذ قتل اوريا أحد أركان جيشه بعد أن زنى بمرأته ثم ندم على خطئه ندامة عميقة . (ن . ر)

يا بني ، لا تكثّر الغيرة على اهلك من غير ريبة ، فترمى بالسوء من أجلك
وان كانت بريئة .

وقال بعض الظرفاء : كنت شديد الغيرة ، فاخبرت بجيء قبيحة
سوداء فذهبت مع أخوان لي عندها ليلة فطفء السراج ، فضربت بيدي
إلى صدرها فإذا دون يدي أربع أيد ، فما أعلم أي خطر بيالي امرأة
بعد ذلك .

قال : كان سليمان^(١) بن عبد الملك من أشد الناس غيرة . فحكى
ابو زيد الأسدي قال : دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو على دكان
مبلط بالرخام الأحمر ، مفروش بالديباج الأصفر في وسط بستان قد أينعت
ثمارة ، ورنّت أطياره ، وأزهر نبت الربيع ؛ وعلى رأسه وصائف كل
واحدة احسن من صاحبته ، فقلت : السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة
الله وبركاته . وكان سليمان مطرقاً فرفع رأسه فقال : ابا زيد ، في مثل
هذا اليوم يصلب أحد حياً . فقلت : يا سيدي ، يا امير المؤمنين ، أو
قد قامت القيامة ؟ قال : نعم على اهل الهوى سراً . ثم اطرق ورفع
رأسه ، وقال : ابا زيد ما يطيب في يومنا هذا ؟ فقلت : قهوة حمراء ،
في زجاجة بيضاء ، تناولنيها مقدودة هيفاء ، مضمومة لفاء دعباء ،
اشربها في كفها ، وأمس في بفمها : فاطرق سليمان ملياً ودموعه تنحدر .
فلما رأى الوصائف ذلك تنحين عنه فرفع رأسه وقال : يا ابا زيد ،
حكّلت والله في يوم فيه انقضاء اجلك ، وتصرم مدتك ، وفناء عمرك .
والله لا ضربن عنتك او تخبرني ما الذي اثار هذه الصفة من قلبك ؟
قلت : نعم يا امير المؤمنين ، كنت جالساً على باب أخيك سعيد بن عبد

(١) الخليفة الأموي أسس مدينة الرملة في فلسطين وحارب البيزنطيين وفي أيامه
حاصر العرب القسطنطينية ولم يقدروا عليها . وتوفي في دابق في شمال سوريا .

الملك وإذا جارية قد خرجت إلى باب القصر عليها قميص اسكندراني ،
بين منه بياض ثديها ، وتدوير سرتها ، ونقش تكتها ؛ وفي رجليها
نعلاها ، قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعلها ؛ ولها ذؤابة^(١) تضرب
إلى حقويها ، وتسيل كالعناكيل^(٢) على منكبيها ؛ وطرة^(٣) قد اسبلت
على جبينها ؛ ولها صدغان كأنها نونان على وجنتيها ، وحاجبان قد تقوسا
على محجري عينيها ، وعينان مملوءتان سحراً ، وأنف كأنه قصبه در ،
وهي تقول : « عباد الله ما الدواء لما لا يشتكى ، والعلاج مما لا ينتهي ؟
طال الحجاب ، وأبطأ الكتاب . العقل ذاهب ، واللب عازب ، والعين
عبرى ، والأرق دائم ، والوجد موجود ، والنفس والهة ، والفؤاد مختلس .
فرحم الله قوماً عاشوا تجلداً ، وماتوا تبلداً : لو كان في الصبر حيلة ،
وإلى العزاء وسيلة ، لكان امرأً جميلاً ! » فقلت : « أيتها الجارية انسية
أنت ام جنية سماوية او أرضية ، فقد اعجبني ذكاء عقلك ، وأذهلني
حسن منطقك ؟ فسترت وجهها بكها كأنها لم ترني ، وقالت : « أعذر
ايها المتكلم ، فما أوحش الوجد بلا مساعد ، والمقاساة لصب معاند . ثم
انصرفت ، فوالله يا امير المؤمنين ما اكلت طيباً إلا غصصت به
لذكرها ، ولا رأيت حسناً إلا سمج في عيني لحسنها . فقال سليمان : ابا
زيد ، كاد الجهل يستغزني ، والصبأ يعاودني ، والحلم يعزب عني . تلك
الذلقاء^(٤) التي يقول فيها الشاعر :

انما الذلقاء يا قوتة اخرجت من كيس دهقان

-
- (١) ضفيرة الشعر المرسله أو الشعر المنسدل من وسط الرأس الى الظهر .
 - (٢) الشاربخ أو الأعذاق التي يكون عليها البسر .
 - (٣) ما تقطعه الجارية من الشعر وتصففه على جبهتها .
 - (٤) احدى جواربي سعيد بن عبد الملك . (ن . ر)

شراؤها على اخي الف الف درهم ، وهي عاشقة لمولها الذي باعها منه . والله لامات إلا بحسرتها ، ولا فارق الدنيا إلا بغصتها . وفي الصبر سلوة ، وفي توقع الموت نية . ثم ابا زيد فاكنم المفاوضة ، ويا غلام ثقل يده ببدره . قال : فلما هلك سعيد بن عبد الملك صارت الجارية إلى اخيه سليمان ولم يكن في عصرها اجل منها ، فلكت قلبه ، وغلبت عليه دون سائر جواريه . فخرجوا يوماً إلى دهناء^(١) الغوطة^(٢) بموقع يقال له دير الرهبان فضرب فسطاطه في روضة خضراء مونقة ، زهراء ذات حدائق وبهجة ، حفها انواع الزهر الغض . فمن بين أصفر فاقع ، وأبيض ساطع ، مثل النبات تحمل منه الريح نسيم المسك الأذفر^(٣) ، ويؤدي تضوع عرفها فتيت العنبر . وكان له مغن يأنس به ، ويسكن اليه ، ويكثر الخلوة معه ، ويستمتع حديثه ، يقال له يسار . وكان أحسن الناس وجهاً ، وأظرفهم ظرفاً . فأمر بضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الدلفاء قد خرجت مع سليمان إلى ذلك المنتزه . فلم يزل يسار يومه ذلك عند سليمان في اكل سرور ، وأتم حبور ، إلى أن أتى الليل وحان انصراف يسار إلى موضعه فوجد جماعة قد اناخوا به ، فسلموا عليه ، فرد عليهم السلام جذلان بنزولهم ، وفرح بدخولهم . فأحضر الطعام فأكلوا ، وقدم الشراب فنالوا منه . ثم قال : هل من حاجة ؟ قالوا : ما جئناك إلا للقرى . فقال : بالجانب الخصب نزلتم ، وبالمنزل الرحب حلتم . فقالوا له : أما الطعام فقد اكلنا ، وأما الشراب فقد حضر ، وبقي السماع . قال : أما السماع فلا سبيل اليه مع غيرة امير المؤمنين ونبيه إياي عن الغناء إلا ما كان في مجلسه . قالوا : فلا حاجة لنا في الطعام عندك ما

(١) الفلاة .

(٢) البساتين المهدقة بدمشق يرويها نهر بردى وأم اشجارها الشمس والجوز .

(٣) الذي تفوح رائحته ويشد طيبه .

لم تسمعنا . فلما رآهم غير موقلين ^(١) عنه رفع عقيرته ^(٢) وغنى هذه الابيات :
محبوبة سمعت صوتي فأرقتها في آخر الليل حتى ملأها الشهر
لم يحجب الصوت اجراس ولا غلق ^(٣)

فدمعها لطروق الصوت ينحدر
في ليلة البدر لا يدري مضاجعها ، أوجهها عنده أضوا ، أم القمر
لو خلّيت لمشت نحوي على قدّم يكاد من لينه للمشي ينفطر

قال فلما سمعت الذلفاء صوت يسار خرجت إلى صحن الفسطاط ،
تسمع الصوت ، فجعلت لا تسمع شيئاً من خلق ، ولطافة قط ، إلا الذي
وافق المعنى . ومن نعت الليل واستماع الصوت إلا رأيت ذلك كله في
نفسها ، فحرك ذلك ساكناً كان في قلبها فهلمت عيناها ، وعلا نشيجها .
فانتبه سليمان فلم يجدها معه في الفسطاط فخرج إلى صحنه فرآها على
تلك الحال ، فقال لها : ما هذا يا ذلفاء ؟ فقالت يا امير المؤمنين :

الارُبَّ صوتٍ رائعٍ من مُشَوِّهِ قبيحِ الحِمْيا واضعِ الأبِ والجدِ
يروعك منه صوتُه ولعلَّه الى أمةٍ يعزى معاً والى عبدِ

فقال سليمان : دعيني من هذا ، فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر .

(١) وقَل : رفع رجلاً وأثبت اخرى وهنا بمعنى ذاهبين .
(٢) العقيرة : منتهى الصوت أو الصوت يرفع في غناء أو بكاء أو قراءة .
(٣) الغلق ما يُغلق به الباب ويفتح بالفتاح وكنى به هنا عن الباب .
(البيت من الشعر (ن . ر)

يا غلام ، عليّ بيسار . فدعت الذلفاء خادماً لها وقالت : إن سبقت إلى
يسار فحذرتك فلك عشرة الاف درهم وأنت حر . فسبق رسول سليمان
فأحضره فلما وقف بين يديه ؟ وسليمان يرعد غيرة ، قال : من انت ؟
فقال : يسار . فقال سليمان :

تشكل في الشكل يساراً أمه كان لها ريحانة تشمه
وخاله يشكله وعمه ذو شفة حياته تغمه

فقال يسار :

واستبقني الى الصباح اعتذر ان لساني بالشراب منكسر
فان أكن اذنبت ذنباً او عثر فالسيد المولى احق من غفر

ثم قال : يا يسار ألم انهك عن مثل هذا الفعل ؟ فقال :
يا امير المؤمنين حلني الثمل^(١) وقوم طرقتوني ، وانا عبد امير المؤمنين .
فان رأى أن لا يضيع حظه مني فليفعل . قال : أما حظي منك فلم
أضيعه ، ولكن لا تركت للنساء فيك حظاً ابداً يا يسار . أما علمت أن
الرجل إذا تغنى اصغت اليه المرأة ؟ وأن الفرس إذا سهل تودقت^(٢) له
الحصان ؛ وأن الفحل إذا هدر صفت له الناقة . يا غلام إئتني بختان .
فختنه ، فعاش بعد ذلك سنة ومات . فسمي الدير دير الحصيان وبه
يعرف إلى الآن .

(١) شدة السكر .

(٢) اشتعلت أو تلالأت .

وكتب إلى عثمان بن حيان المري عامله على المدينة : أن اخص من قبلك من المغنين . فخصي الدلال فقال : الآن صرنا نساء حقاً .

وادعى بعض بني مروان أن عامل المدينة صحّف . وإنما رأى في الكتاب احص من قبلك ، فقال الكاتب الذي قرأ الكتاب : كيف يقولون ذلك ولقد كانت الحياء مبعجة بنقطة كانها سهيل ؟

★ قال اسحق^١ بن ابراهيم الموصلي قيل لعقيل بن علقمة وكان شديد الغيرة ، وأراد سفرأ : ابن غيرتك على من تخلف ؟ قال : اخلف معهن الجوع والعري ، فإنهن إذا جعن لم يمزحن ، وإذا عرين لم يبرحن .

★ وعن المغيرة بن شعبة أن سعد بن عبادة قال : لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربت رأسه بالسيف . فبلغ ذلك النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا تعجبوا من غيرة سعد ، فوالله إني لأغير من سعد ، والله أغير مني ، من أجل ذلك حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن . فقال : يا ابا ثابت أكنت ضاربه بالسيف ؟ قال : نعم ، والذي نزل عليك الكتاب . فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : كفى بالسيف شاً . ولم يتمها . أراد شاهداً لثلاثا يبالغ فيه الغيران والسكران .

★ قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة^٢ : كان امرؤ القيس^٣ بن حجر مثنائاً لا يولد له ذكر ، وكان غيوراً شديد الغيرة ، فإذا ولدت له بنت

(١) من مغني العصر العباسي الاول . ولد في الري وتوفي في بغداد (٧٦٥ - ٨٥٠) وكان منقطعاً للرشد والبرامكة . وهو أول من استعمل التخنيث (Falsetto)

(٢) من أدباء العرب تولى القضاء في دینور ومن مؤلفاته « أدب الكاتب » و « عيون الأخبار » .

(٣) الملك الضليل ومن أصحاب المملكات . أمير الشعر الجاهلي . ولد في نجد وتوفي في أنقرة . (ن . ر)

قتلها . فلما رأى نساؤه ذلك غيبن بناتهن في أحياء العرب . وبلغه ذلك
فركب راحلته وخرج مرتاداً لهن حتى أناخ على حي من أحياء العرب ،
وإذا جوار مجتمعات ، فقال : أيتكن تجيز لي هذا البيت ولها راحلتي ؟
فسكتن عنه ، وقالت ابنته : هات . فأنشأ يقول :

تَبَلَّتْ فَوَادِكُ إِذْ عَرَضَتْ عَشِيَةً بِيضَاءَ بَهْنَكَةٍ ^(١) عَلَيْهَا اللَّوْلُو

قال : فسكتت ساعة ، ثم قالت :

لعقيلة الادحي ^(٢) بات يحفها

كنفا ^(٣) الظليم ^(٤) وزال عنها الجوجؤ ^(٥)

فصرها بالسيف فقتلها . وسار حتى نزل بجي آخر ، فإذا يجوار يلعبن
فقال : ايتكن تجيز لي هذا البيت ولها راحلتي ؟ فسكتن عنه ، وقالت
ابنته : هات . فقال :

إذا بركت تعالی مرفقاها على مثل الحصير من الرخام

فسكتت ساعة ، ثم قالت :

(١) الشابة الخفيفة الطيبة الريح .

(٢) مبيض النعام في الرمل .

(٣) عظم العضد .

(٤) ذكر النعام .

(٥) الصدر .

وقاموا بالعصي ليضربوها فهبت كالفنيق^(١) من النعام

قال : فقتلها ، ثم سار حتى نزل إلى حي آخر ، فإذا بجوارٍ يلعبن .
فقال : أيتكن تجيز لي هذا البيت ولها راحلتي ؟ فسكتن عنه . وقالت
ابنته : هات . فقال :

وكأنهن نعاج رمل هائل بدف^(٢) يمدن كما يميد الشارب

فسكتت ساعة ، ثم قالت :

بل هن اقرب في الخطا من خطوها ان الخرائد^(٣) مشيها متقارب

قال : فنزل اليها فقتلها وسار .

★ نزل اعرابي من طي^(٤) ، يقال له المثني بن معروف ، بأبي جبر
الفزاري فسمعه يوماً يقول : لوددت أني بت الليلة خالياً ببنت عبد الملك
ابن مروان . فقال المثني : أحلالاً أم حراماً ؟ فقال : ما أبالي . قال :
فوثب اليه فضرب رأسه برحالة فشجه ، ثم ارتحل وهو يقول :

ابلق امير المؤمنين رسالة على النأي اني قد وترت ابا جبر

نشرت على اليافوخ منه رحالة لنصري امير المؤمنين ولا يدري

١ (الفحل المكرم الذي يؤذي لكرامته ولا يركب أو الذي لا يركب ولا يس .

٢ (الدف من الأرض أو الرمل . سندها وما ارتفع من جوانبها .

٣ (جمع خريدة وهي الفتاة البكر التي لم تمس أو الحفرة الحبيبة .

٤ (قبيلة عربية هاجرت من اليمن بعد خراب سد مأرب وسكنت شمالي الجزيرة .

وما كان شيء غير أني سمعته ينادي نساء المؤمنين بلا مهر

قال ، فبلغ ذلك امير المؤمنين عبد الملك بن مروان فأهدر دم أبي جبر وبعث إلى المثنى بصلة جزيلة .

★ وعن عبد الملك بن عمير قال : كانت هند بنت النعمان ^(١) بن بشير الأنصاري عند روح بن زنباع ، وكانت امرأة فصيحة أديبة ، برزة ؛ وكان روح رجلاً غيوراً ، فرآها ذات يوم مشرفة على وفد من جذام ^(٢) . فجعل يضربها ، ويقول . أتشرفين وتنظرين إلى الرجال ؟ قالت : ويحك ، وهل أرى إلا جذامياً ، والله ما أحب منهم الحلال فكيف الحرام ؟ فقال روح في ذلك :

اثني عليك بأن باعك ضيق وان اصلك في جذام ملتصق

وفيه تقول هند ؟

وهل انا إلا مهرة عربية سليلة افراس تحللها بغل
فان نتجت حراً كريماً فبالحرا وان يك اقراف ^(٣) فما انجب الفحل

فقال لها روح : اللهم إن مت قبلها فابتلها بزوج يلطم وجهها ،

(١) النعمان بن بشير الانصاري وينسب إليه تأسيس مدينة معرة النعمان عندما كان حاكماً للكوفة وحمص . وقف بجانب معاوية في معركة صفين وبجانب الضحاك في وقفة مرج راطم وفيها قتل .

(٢) اسم قبيلة والنسبة إليها جُذمي وجُدام .

(٣) الهجين .

ويقيء في حجرها . ومات روح بن زنباع وتزوجها بعده محمد بن الحكم
ابن أبي عقيل الثقفي ، وكان شاباً جميلاً ، شرباً للخمر ؛ فأحبه حباً
شديداً ، فكان يلطم وجهها ويقيء في حجرها . فقالت : رحم الله أبا
زرعة ، فقد استجيبت دعوته . وأنشدت للخديمي .

ما احسن الغيرة في حينها إلى آخر الايات المتقدمة .

وقال الشنفرى . (١)

إذا ما جئت ما انهاك عنه ولم أنكر عليك فطلقني
فأنت البعل يومئذ ققومي بسوطك لا أبالك فاضربيني

★ نزل عاصم بن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، خيمته بقُدَيْدَ (٢) .
بفناء بيت من بيوت قديد ، وهو يريد مكة معتمراً ، فحط رحله ، وكان
رجلاً جسيماً من أعظم الناس بدنأ ، وأحسنهم وجهاً . فأرسلت إليه ربة
البيت : يا هذا ان لي زوجاً غيوراً يمر الانسان بجانب بيتي فيضربني ،
وان رآك في هذا المنزل لقيت منه شراً ، فأنشدك الله الا تحولت عني :
فأرسل إليها : اني قد نزلت وانا مرتحل عن قليل وليس عليك من زوجك
بي بأس ، والتحويل يشق علي . قال فردت اليه الرسول حتى تحول عنها .
ومرت به عجوز خارجة من عندها فدعاها وسألها عن المرأة ، فقالت :
هي خردية بنت اكرم ، وتزوجها ربيع بن أصرم ، ولها بني صغير سمته

(١) ثابت بن أوس الازدي من شعراء الصعاليك في الجاهلية حلف أن يقتل مائة
رجل من بني سلامان فقتل ٩٩ واحتملوا عليه فقتلوه . ومر به رجل منهم فركله
برجله فدخلت شظية من عظامه برجله فمات فبر الشنفرى بوعدده . ومن شعره
« لامية العجم » .

(٢) ماء بالحجاز او موضع بين مكة والمدينة .

باسم ابينا . ثم ذهبت العجوز . وقال عاصم بن عمر أبيات شعر . ثم دخل زوجها واستقر في منزله ، فلما فرغ من شعره سمعه وهو يضربها فصبر حتى علم انه شفي غيظه ثم انه اتاه ، فصاح به ، فخرج ، فقال له : بابي انت ، ما عرضك لي ؟ فاخبره خبره وخبرها ، فقال : بابي انت ، لو كنت معي في منزلي ما كان عليّ منك بأس .

★ قال كان عقيل بن علقمة من الغيرة والانفة على ما ليس عليه احد علمناه ، فخطب اليه عبد الملك بن مروان ابنته على احد بنيه ، فقال : اما إذا كنت فاعلاً فجنبتني هجناك . وخطب عقيل وقال :

رددت صحيفة القرشي لما أبت أعراقه إلا احمرارا

حكى علي بن سليمان الاخش قال : قال ابن الكلبي : كان لقمان ^(١) بن عاد حكيم العرب غيوراً ، فبني لامرأته صرحاً وجعلها فيه ، فنظر اليها رجل من الحي فعلقها ، فأتى قومه فأخبرهم وجده بها ، وسألهم الحيلة في أمره . فأملوه حتى اراد لقمان الغزو ، فعمدوا الى صاحبهم وشدوه في حزمة سيوف وأتوا إلى لقمان فاستودعوها اياه ، فوضع السلاح في بيته ، فلما مضى تحرك الرجل في السيوف ، فقامت اليه المرأة تنظر فإذا هي برجل ، فشكى اليها حبه اياها ، فامكنته من نفسها ، فلم يزل معها مقيماً حتى قدم لقمان فردته في السيوف كما كان ، وجاء قومه فاحتلموه . وان لقمان نظر يوماً إلى نخامة ^(٢) في السقف فقال : من تنخم هذه ؟ فقالت : انا . قال : فتنخمي . فقصرت فقال : يا ويلتاه والسيوف دهنتي . فقتلها ثم

(١) من الحكماء الذين يمثل بهم جاءت اخباره في الجاهلية وصدر الاسلام واليه تنسب الحكم والاقوال والامثال ، وربما كانت شخصيته اسطورية .
(٢) ما يدفعه الانسان من صدره أو انفه . (ن . ر)

نزل فلقني ابنته صخر صاعدة فأخذ حجراً فهشم رأسها فماتت . وقال :
انت أيضاً امرأة . فضربت العرب بذلك المثل . فكان يقول المظلوم منهم
ما أذنبت إلا ذنب صخر .

★ ولي عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، النعمان بن نضلة العدوي
بميسان^(١) ، وأراد رحيل امرأته معه ، فأبت ذلك وكرهته . فلما وصل
إلى ميسان أراد أن يغيرها فترحل إليه ، فكتب إليها :

ألا هل أتى الخنساء أن خليلها بميسان يسقى في زجاج وحنتم^(٢)
إذا شئت غنني دهاقين قرية وصاحبه يجثو على خد مبسم .
فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقني ولا تسقني بالاصغر المتسلم
لعل امير المؤمنين يسوؤه تنادمنا في الجوسق^(٣) المتهدم

فبلغت الايات عمر بن الخطاب ، فقال : اي والله ، وأبي وأبيك ،
يسوؤني . يا غلام ، اكتب بعزله . فلما قدم على عمر بكتفه بهذا ، فقال :
يا امير المؤمنين ما شربتها قط ، ولا قلت الايات إلا بسبب كذا .
فقال عمر : أظن ذلك ولكن لا تعمل لي عملاً ابداً .

★ ضُرب البعث على رجل من أهل الكوفة فخرج إلى أذربيجان^(٤)
فاشترى فرساً وجارية وكان مملكاً بابنة عمه فكتب ليغريها :

(١) اسم كورة ،

(٢) جرار خضر مدهونة تضرب إلى الحمرة وهي جرار الحجر ثم عم لكل الخرف .

(٣) الحصن أو شبهه ، أو القصر .

(٤) أقليم في ايران .

ألا بلغنا أم المؤمنين بأننا غنينا وأغنينا الغطارقة^(١) الجرد
بعيد مناط المنكبين إذا جرى وبيضاء كالتمثال زينها العقد
فماذا أيام العدو وهذه حاجة نفسي حين ينصرف الجند

فلما ورد كتابه ، دعت بالدواة وكتبت إليه :

إذا شئت غناني غلام مرجل ونازعته في ماء معتصر الورد
وإن شاء منهم ناشيء مد كفه الى كبد ملساء أو كفل نهد
فما كنتم تقضون حاجة أهلكم شهودا فتقضوها على النأي والبعد
فعجل علينا بالسراح فانه مناانا ولا ندعوك الله بالرد
ولا قفل الجند الذي أنت فيهم وزادك رب الناس بعداً على بعد

فلما ورد كتابها لم يزد على أن ركب الفرس وأردف الجارية ولحق
بها ، فكان أول شيء بدأها به أن قال لها : بالله أكننت فاعلة ما قلت ؟
فقالت : الله في قلبي أعظم وأجل ، وأنت في عيني أحقر وأذل من أن
أعصي الله فيك . ثم قالت له : كيف ذقت طعم الغيرة ؟ فوهب لها
الجارية ، ورجع إلى مكانه .

قالت هند بنت النعمان بن بشير لزوجها روح بن زنباع ، وكان شديد
الغيرة : عجباً منك كيف يسودك قومك وفيك ثلاث خصال انت من
جذام وأنت جبان ، وأنت غيور ؟ فقال لها : أما جذام فاني في أرومتها ؛

(١) جمع غطريف وهو الشاب الظريف أو السخي أو السيد .

وأما الجبن فإنما لي نفس واحدة فأنا احفظها ، ولو كانت لي نفس أخرى
لجدت بها ؛ وأما الغيرة فحقيق لمن كانت له امرأة حمقاء مثلك أن يغار
عليها مخافة أن تجيئه بولد من غيره فتقذف به في حجره .

★ حكى دعبل^(١) بن علي قال : عبث عطار اسمه فيروز بامرأة
من الشام تسومه عطراً فملقت بقلبه ، فقعدها على طريقها ، فلما اضجرها
قالت : والله لو أن عبد الله بن سيرة بقربي ما طمعت في هذا مني . فبلغت
عبد الله بن سيرة هذه الكلمة وهو في البعث بأرمينية^(٢) ، فترك مركزه
واقبل لايلوي على احد ، حتى وقف بباها ليلاً ، وكان يوصف بشدة
الغيرة ، فاستأذن عليها ، فأذنت له ، فقال لها : ايتها المرأة من هذا الذي
عبث بك حتى تمنيت اني بقربك ؟ قالت : رجل عطار . قال لها : فما
ابنتي ؟ قالت : لا . قال لها : فعديه الليلة القابلة واني أسبقه إلى بيتك .
فبعثت اليه تقول له : إذ ابيت إلا ما تريد ، فهلم إلى بيتي الليلة عندي .
فأقبل اليها وقد سبقه ابن سيرة ، فلما دخل وثب عليه وضربه ضربة
رمى برأسه ، ثم قتل خادمها ، وقال لها : إنما قتلتك لئلا يطلع على الخبر
احد من الناس . ثمناولها مائة دينار ، وقال لها : اشترى بها خادماً
وانفقي باقيها على نفسك . ثم قال : هلمي فأساً فقلع رأس البالوعة^(٣) ، ثم
جرهما فألقاهما فيها ، ثم سوى رأس البالوعة ، وقال للمرأة : اظهري

(١) شاعر أقام في بلاط الرشيد اخلص في حبه لآل البيت وهجا اسياده العباسيين
واشهر قصائد بذلك الرائية التي يقول فيها :

ارى أمية معذورين ان قتلوا ولا أرى لبني العباس من عذر .

ويعد شعره من الوثائق التاريخية . (ن . ر)

(٢) بلاد في أسيا الصغرى جنوب القفقاز يجتازها نهر أراس .

(٣) مجرى المياه القادرة في الدار .

أن الخادم قد أبق^(١). ثم خرج ، ولم يعلم به احد ، ولم يأت منزله حتى قدم ارمينية وقال في ذلك :

ان المنايا لغيرانٍ مَعْرِضَةٌ يفتاله النحرُ أو يفتاله الأسد
او عقرب أو شجى^(٢) في الحلق معترض
او حية في أعالي منتهى الزبد

★ وكانت لابن الدمينية امرأة يقال لها حما ، وكان مزاحم بن عمر السلولي يأتيها ويتحدث اليها ، فمنعها ابن الدمينية من ذلك فاشتد ذلك عليه ، فقال مزاحم عند ذلك يذكرها :

يا ابن الدمينية والأخبار تحملها وخذ^(٣) النجائب تبديها وتنميا
امارة ، كَيْتَ ما بين عانتها وبين سرتها لاشك كلويها

فلما بلغ ابن الدمينية ذلك عرف العلامة التي في زوجته وعلم انه لم ير ذلك منها الا وقد افضى اليها . فأتى امرأته فقال : قد بلغني غشيان مزاحم لك ، وقد قال فيك ما قال . فانكرت ذلك ، وقالت : والله ما رأى ذلك الموضع قط . قال : فما أعلمه بعلامتك التي وصفها ؟ قالت : النساء رأين ذلك إذ كنت جارتهم ، فتحدثن بذلك ، فسمعه مزاحم . وتغافل ابن الدمينية عن مزاحم حتى ظن انه قد ذهب من قلبه ، ثم قال لامرأته : لئن لم ترسلي اليه الليلة يأتيك في موضع كذا لأقتلنك . فأرسلت

(١) استخفى ثم هرب أو استتر .

(٢) ما اعترض في الحلق من عود او عظم وغيرهما .

(٣) وخذ البعير : اسرع ووسع خطوه .

اليه : انك قد سمعت بي ولا احب ان تأتيني وانا سأتيك في موضع كذا. فقعده في الموضع ابن الدمينة واصحابه ، وجاء مزاحم وهو يظن انها في الموضع الذي وعدته به ، فخرجوا اليه واوثقوه وصرخوا صرة من رمل في ثوب وضربوا بها كبده حتى مات ، واحتملوه حتى اتوا به ناحية دور قومه فطرحوه بها . وجاء اهله فاخذوه ولم يجدوا به اثر سلاح ، فعملوا ان ابن الدمينة قتله . ورجع ابن الدمينة الى امرأته فقتلها وقتل ابنة له منها ، وطلبه السلويون^١ فلم يجدوه .

★ وحكى الثوري : ان رجلاً من بني عقيل^٢ تعلق جارية وأبى اهلها ان يزوجه اياها ، وكانت من اجمل النساء ، وكان اسمها ليلى ، فسمع بها رجل موسر من ثقيف يقال له حارثة بن عوف ، فقدم على اهلها فأرغبهم ، فزوجوه وظمن بها . فقال العقيلي الذي كان تعلقها :

ألا إن ليلى العامرية أصبحت تقطع إلا من ثقيف وصالها
كأن مع الركب الذين تحملوا غمامة سيف زعزعتها شمالها

ثم اشتد شوقه وزاد ولعه ، فخرج في اثرها حتى قدم الطائف ، فانتسب انه اخ لها وصدقت هي فادخله زوجها ، وذبح له ونحر ، وكان صاحب خمر . فجلس هو والثقيفي يشربان وهي تسقيها فلما أخذت الخمر في العقيلي باح بسره ، فلما سمعه الثقيفي هم به ثم غلبه السكر فخرج العقيلي تحت الليل وتبعه الثقيفي باكلب له عقر^٣ فادركه وقد شارف

١ (قبيلة هي فخذ من هوازن شمالي الجزيرة العربية . او بطن من خزاعة في جنوبيها .

٢ (اصلهم من الجزيرة العربية الوسطى أقاموا بلاد الموصل في خدمة الحمدانيين .

٣ (واحدهما عقور هو الذي يجرح ويقتل ويفترس .

بلاد بني كليب ، وقد غلبه العطش فمات . فحلى اكلبه على جيفته فاكلته .
فسمعت بذلك الكلابيون فرحلوا في اثر الثقفي فادركوه فقتلوه وخلوا
عليه اكلبه فاكلته . وسمع العقيليون بخبر الرجلين فركبوا إلى المرأة
فطرقوها في منزله فقتلوها ، ورحلوا . فوثبت عليها اكلب زوجها فاكلتها .
فقال جار الثقفي :

لعمري لقد ساق العقيلي حتفه وما خُبر ليلى كان عنها بأبعد
وخبر الفتى القيسي قد سيق نحوه وأمسى مقيماً بين اضلاع أزيد
أقاموا جميعاً رهن اجواف أكلب كذلك أمر الله في اليوم والغد

★ وروى عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، انه قال : الغيرة
من الايمان ، وايمان رجل احس بشيء من الفجور في اهله فلم يغيره ، إلا
بعث الله اليه ملكاً يقول له غِرُّ اربعين يوماً ، فان لم يفعل مسح يجانحه
على عينيه ، فان رأى حسناً لم يدره ، وان رأى قبيحاً لم ينكره .
وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال : كتب الجهاد على رجال أمتي ،
والغيرة على نساءها ، فمن صبرت منهن واحتسبت اعطاها الله اجر الشهيد .
وعن علي عليه السلام انه قال : من اطاع امرأته في اربع اكلبه الله
في النار على وجهه . ان يعطيها في ان تذهب إلى العرسات والى المعلمات
والى الحمامات والى الجنائز وقال الاحوص^(١) يتشيب بام جعفر الخطمية :

(١) شاعر حجازي ولد في المدينة وتوفي في دمشق كان يتشيب في النساء الشريفات
فنفي وسجن . وكان لاذع الهجاء .

أدور ، فلولا أن أرى أم جعفر بأبياتكم ، ما درت حيث أدور
وما كنت دواراً ولكن ذا الهوى ،

إذا لم يزر لابد أن سيزور
لقد منعت معروفها أم جعفر ، وإني إلى معروفها لفقير

فاستعدى ابن ، اخوما ، عليه عامل المدينة وكان ابن جسيماً
ضخماً وكان الاحوص نحيفاً ، فدفع إلى كل واحد منهن سوطاً وقال
لخالد : اضرب الاحوص . فقال بعض الشعراء :

لقد منع المعروف من أم جعفر أخو ثقة عند الحفاظ صبور
علاك بمتن السوط حتى لقيته بأصغر من ماء الصفاق يفور

قال الاحوص بعد ذلك :

إذا أنا لم أغفر لأيمن ذنبه فمن ذا الذي يعفو له ذنبه بعدي
يسيء فأعفو ذنبه ، فتردني أباد يدانيها مباركة عندي

★ تزوج عبد الله بن يزيد الحنفي امرأة حسناء ، وكان رجلاً ثقيلاً
جسيماً ظريفاً ، فاحبها حباً شديداً ، وكان من اشد الناس غيرة . فدعاها
حبه لها ، وشدة غيرته عليها ، ان خرج بها إلى بعض البوادي فابتنى
لها قصرأ وسكن به واقام معها مدة .

★ وخرج عمر بن سعيد العبدي يريد سفرأ له ، فأخذته السماء في

بعض الطريق فنظر ، فإذا هو بقصر عظيم ، فعدل إليه ، وقرع بابه ، فخرج إليه عبد الله بن يزيد فعرفه ، فسلم عليه وانزله ، وهياً له طعاماً ثم دعا بشراب من خمر عتيق . فبينما هما يشربان إذ تطلعت المرأة فرأت ابن سعيد وكان غلاماً شاباً ، وسكر زوجها سكرأ شديداً فخرجت المرأة إلى عمرو بن سعيد فحدثته وآنسته ودعته إلى نفسها فأبى ، وقال : ما كنت بالذي افعل برجل اتاني منزله . ولم يزل يدافعها حتى أفاق عبد الله بن يزيد من سكره ، فأنشأ عمر يقول :

رب بيضاء خصرها يتثنى قد دعنتي لوصلها فأبيت
لم يكن شأني العفاف ولكن كنت ندمان زوجها فاستحيت

فعلم عبد الله بن يزيد ما أراد ، فلما انصرف عمرو بن سعيد عمد عبد الله إلى المرأة فجعل في عنقها حبلاً وعلقها به إلى السقف ، فاضطربت حتى ماتت . وعلم ان النساء لا حفظ هن ، وآلى على نفسه انه لا يتزوج امرأة ابدا . وترك قصره وعاد إلى منزله .

★ وقال الفضيل بن الهاشمي : كنت مع ابنة عمي نائماً على سرير إذ ظهرت الي بعض جواري ، فنزلت ، فقضيت حاجتي ، ثم انصرفت . فبينما انا راجع ، اذ لدغتنى عقرب فصبرت حتى عدت الى موضعي من السرير ، فغلبنى الوجع ، فصحت ، فقالت لي ابنة عمي : ما لك ؟ قلت لها : لدغتنى عقرب . قالت : وعلى السرير عقرب ؟ قلت : نزلت لابلول فأصابتنى ، ففطنت ، فلما اصبحت جمعت خدماها واستحلفتهن أن لا يقتلن عقربا في دارها الى سنة . ثم قالت :

إذا عصي الله في دارنا فان عقاربنا تغضب

ودار إذا نام حراسها أقام الحدود بها العقرب

★ قالوا وبيننا ابن ابي ربيعة في الطواف ، اذ رأى جارية من اهل البصرة ^(١) ، فأعجبته ، فدنا منها ، فكلمها ، فلم تلتفت اليه . فلما كان في الليلة الثانية عاودها ، فقالت له : اليك عني ايها الرجل فانك في موضع عظيم الحرمة ! والح عليها وشغلها عن الطواف ، فأنت زوجها ، فقالت له : تعال معي فارني المناسك . فاقبلت وهو معها وعمر جالس على طريقها فلما رأى الرجل معها عدل عنها فقالت :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي مريض المستأسد الحامي

فحدث المنصور هذا الحديث ، فقال : وددت انه لم تبق فتاة من قريش في خدرها إلا سمعت الحديث .

وكان عمارة بن الوليد اخو خالد بن الوليد سيف الله من فتيان قريش ^(٢) جالاً وشعراً ، وهو الذي جاءت به قريش إلى ابي طالب ^(٣) قالوا : هذا عمارة ، قد عرفت حاله ، فخذ به بدل ابن اخيك محمداً ، واعطنا محمداً نقتله . فقال لهم ابو طالب : ما انصقتموني تعطوني ابن اخيكم احفظه واعطيكم ابن اخي تقتلوه ؟ وبعثت قريش عمارة بن

(١) مرفأ العراق على شط العرب وكانت قديماً مع الكوفة مهد الدروس اللغوية . وهي مسقط رأس الحسن البصري ، والاشعري ، والحريري .

(٢) قبيلة عربية قبضت على زمام امر العرب وكانت تقوم بالتجارة رابطة بين افريقيا والهند وآسيا الصغرى . واشهر الفروع المنتسبة اليها : هاشم ونوفل وأميمة وزهرة ومخزوم وأسد وقيم وعدي وسهم وججح .

(٣) هو عبد مناف بن عبد المطلب ، عم النبي ووالد علي . كفل النبي بعد موت أمه وجده عبد المطلب . وكان من حكام قريش وساداتها . توفي وهو مسلم .

الوليد ، وعمرو بن (١) العاص الى النجاشي (٢) في امر من قدم اليه من المهاجرين ، فلما كانوا في السفينة ومع عمرو امرأته ام عبد الله فقال لها عمارة : قبليني . فقال لها عمرو : قبلي ابن عمك . وقال عمرو في ذلك :

ليعلم عمار ان من شر شيمةٍ لمثلك ان يدعى ابن عم له ابن ما
إِنْ كنت ذا بردين أحوى (٣) رجلاً

ولست تراعي لابن عمك محرماً

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه ولم ينه قلباً عارياً حيث يما
قضى وطراً منه وغادر سبة إذا ذكرت امثالها تملأ الفها

وقعد عمرو على منجاف (٤) السفينة لقضاء الحاجة ، فدفعه عمارة ، فالتقاء في البحر ، فما تخلص حتى كاد يموت . فلما صار الى النجاشي أظهر له عمرو انه لم يحفل بما أصابه منه ، فجاءه عمارة يوماً فحدثه ان زوجة الملك النجاشي علقت به وأدخلته إلى نفسها ، فلما تبين لعمرو حال عمارة وشئ به عند الملك وأخبره خبره ، فقال له النجاشي : اتتني بعلامة استدل بها على ما قلت ؟ فعاد عمارة ، فاخبره عمرو بامر وامر زوجة النجاشي فقال له عمرو : لا أقبل هذا منك إلا أن تعطيك من دهن (٥) الملك الذي لا يدهن به غيره . فكلمها عمارة في الدهن ، فقالت

(١) قرشي ناصر معاوية على علي وارتأى التحكيم ولاء معاوية ولاية مصر مكافأة له .

(٢) لقب ملوك الحبشة .

(٣) من به حوّة وهي سواد الى الخضرة أو حمرة الى السواد . أو هي السمرة في الشفاء .

(٤) مسكاتها الذي يعدل به سيرها أي ذنبها .

(٥) ما يدهن به من زيت وغيره .

له : أخاف من الملك . فابى أن يرضى منها إلا أن تعطيه من ذلك
الدهن ، فاعطته منه ، فاعطاه إلى عمرو ، فجاء به إلى الملك ، فامر
السواحر^(١) فنفتخن في احليله ، فذهب مع الوحش ، فلم يزل متوحشاً
حتى خرج اليه عبد الله بن أبي ربيعة في جماعة من اصحابه ، فجعل له
على الماء شركاً ، فأخذه ، فجعل يصيح به : أرسلني فإني اموت أن
امسكتني . فامسكه ، فهات في يده .

حكى عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : ما غرت
على امرأة لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما غرت على خديجة^(٢) .
ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين ، لما اسمع من كثرة ذكره
اياها . وكان يذبح الشاة فيفرقها على صدائق خديجة . قال ودخل رسول
الله ، صلى الله عليه وسلم ، على خديجة وهي في مرضها الذي توفيت
فيه فقال لها : بالكروه مني يا خديجة ما ارى منك ، وقد يجعل الله في
الكروه خيراً كثيراً . اما علمت ان الله زوجني معك في الجنة مريم^(٣)
ابنة عمران ، وكلمت اخت موسى ، وآسية امرأة فرعون ؟ قالت : وقد
فعل الله ذلك برسوله ؟ قال : نعم . قالت : فبالرفاء والبنين .

(١) واحدها ساحرة ومن الذين يعملن بالسحر .

(٢) بنت خويلد بن عبد العزى القرشي . اولى زوجات النبي وأحبهن إليه
وأعظمهن عنده ، ام فاطمة الزهراء لقبت بأم المؤمنين .

(٣) من آل داود عاشت في الناصرة حيث ظهر لها الملاك جبرائيل وبشرها بولادة
ابنها السيد المسيح . وتدعى مريم العذراء .

(باب ما ذكر من وفاء النساء)

★ حكى الاصمعي ، عن رجل من بني ضبة^(١) قال : ضلّت لي إبل فخرجت في طلبها حتى اتيت بلاد بني سليم ، فلما كنت في بعض احومها ، إذا جارية غشى بصري اشراق وجهها ، فقالت : ما بغيتك فإني أراك مولها ؟ قلت : إبل ضلت لي ، فانا في طلبها . قالت : فتحب ان أرشدك إلى من هي عنده ؟ قلت : نعم . قالت : الذي اعطاكهن هو الذي اخذهن فإن شاء ردهن ، فاسأله من طريق اليقين لا من طريق الاختيار . فاعجبني ما رأيت من جاهها وحسن منطقتها ، فقلت لها : هل لك من بعل ؟ قالت : كان والله فدعي فاجاب إلى ما منه خلق ، ونعم البعل كان . قلت لها : فهل لك في بعل لا تدم خلّاقه ، ولا تخشى بوائقه^(٢) ؟ فأطرقت ساعة ثم رفعت رأسها وعيناها تذرّقان دموعاً فانشأت تقول :

كنا كغصنين من بان^(٣) غذاؤهما ماء الجداول في روضات جنّات

(١) قبيلة فرع من بني معد جدّها معاوية بن كلاب وسمي ضباب لان اولاده كانت اسماءهم : ضباب وضب ومضب . وكان مسكنهم حمى ضارية في نجد . (ن . ر)
(٢) جمع بائقة وهي الشر أو الدامية .
(٣) شجر معتدل القوام لين ، ورقه كورق الصفصاف يؤخذ من حبه دهن طيب .

فاجتث^(١) صاحبها من جنب صاحبه دهرٌ يَكِرُّ بِفَرَحاتٍ وَتَرَحاتٍ
 وكان عَاهِدني إِنْ خَانتني زَمَنُ أَنْ لا يُضَاجِعُ أَنتى بَعْدَ مَوْتاتٍ
 وَكنتُ عَاهِدته اِيضاً ، فَعَاجَلَه رِيبُ المَنونِ قَريباً مُذْ سُنَيَاتِ
 فَاصْرِفْ عَتَابَكَ عَمَّنْ لَيسَ يَصْرِفُه عَن الوَفاءِ لَهُ خَلبٌ^(٢) التَّحِياتِ

قال : فانصرفت وتركتها .

★ قال الاصمعي : قال لي الرشيد : امض إلى بادية البصرة فخذ من تحف كلامهم وطرف حديثهم . فأنحدرت ، فنزلت على صديق لي بالبصرة ، ثم بكرت انا وهو إلى المقابر ، فلما صرت اليها إذا بجارية نادى اليها ريح عطرها قبل الدنو منها ، عليها ثياب مصبغات وحلى ، وهي تبكي أحر بكاء . فقلت : يا جارية ما شأنك ؟ فأنشأت تقول :

فإن تسألاني فيمَ حُزني ؟ فإنني رهينةُ هذا القبرِ يا فتیان .
 اهاؤبُك إجلالاً ، وإن كنتَ في الثرى ،
 مخافة يوم ان يَسُووكَ مكاني
 واني لأَسْتَحْيِيكَ ، والتربُ بيننا ، كما كنتُ أستحييك حين تراني .

فقلنا لها : ما رأينا اكثر من التفاوت بين زيك وحزنك فاخبري بشأنك ؟ فأنشأت تقول :

(١) قلبه من أصله .

(٢) الكاذبة والمخادعة بلطفها . (ن . ر)

يا صاحب القبر، يامن كان يُؤنسني حياً، ويكثرُ في الدنيا مُواساتي،
 ازورُ قبرك في حلي وفي حلالٍ ، كأنني لستُ من أهلِ المصيبات ؛
 فن رأني، رأى عبْرِي مفعجَةً مشهورة الزِّي تبكي بين امواتي .

فقلنا لها : وما الرجل منك : قالت : بعلي ، وكان يجب أن يراني
 في مثل هذا الزبي ، فأليت على نفسي أن لا أغشى قبره إلا في مثل
 هذا الزبي لانه كان يحبه أيام حياته ، وانكرتماه انما علي .

قال الاصمعي : فسالتها عن خبرها ومنزلها . وأتيت الرشيد فحدثته
 بما سمعت ورأيت ، حتى حدثته حديث الجارية . فقال : لا بد أن ترجع
 حتى تخطبها الي من وليها ، وتحملها الي ، ولا يكون من ذلك بد .
 ووجه معي خادماً ومالا كثيراً . فرجعت الي قومها فاخبرتهم الخبر ،
 فاجابوا وزوجوها من امير المؤمنين وحملوها معنا وهي لا تعلم . فلما
 صرنا إلى المدائن^(١) نما اليها الخبر ، فشقت شهقة فماتت ، فدفناها هنالك .
 وسرت إلى الرشيد فاخبرته الخبر ، فما ذكرها وقتاً من الاوقات إلا بكى
 اسفاً عليها .

★ توفي رجل وبقيت امرأته شابة جميلة ، فما زال بها النساء حتى
 تزوجت . فلما كانت ليلة زفافها رأت في المنام زوجها الاول آخذاً
 بعارضتي الباب وقد فتح يديه وهو يقول :

حييتُ ساكن هذا البيت كلهم إلا الرباب فإني لا أحيبها

(١) اسم أطلق على مدينة أو مجموعة مدن في العراق على بعد ٣٠ كيلو جنوبي
 بغداد على شط دجلة فتحها سعد بن ابي وقاص سنة ٦٤٧ . (ن . ر)

أمست عروساً وأمسى مسكني جدثُ
بين القبورِ وإني لا ألقيا
واستبدلت بدلاً غيري ، فقد علمت
أن القبورَ تُوارى مَنْ تَوَى فيها
قد كنتُ أحسبُ للعهدِ راغبةً حتى تموتَ وما جفت مآقيها .

ففزعت من نومها فزعاً شديداً ، واصبحت فاركا - اي مبغضة
للأزواج - وآلت أن لا يصل اليها رجل بعده ابدا .

★ ولما قتل عثمان ، رضي الله عنه ، وقفت يوماً على قبره نائلة
بنت (١) الفراصة الكلبي ، فترحمت عليه ثم انصرفت إلى منزلها ، ثم قالت :
اني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب ، وقد خفت أن يبلى حزن عثمان
في قلبي . فدعت بفهر (٢) فهتفت (٣) فاها ، وقالت : والله لا يقعد رجل
مني مقعد عثمان ابدا . وخطبها معاوية فبعثت اليه أسنانها ، وقالت :
اذا ت عروس ترى ؟ وقالوا : لم يكن في النساء احسن منها مضحكا .

★ كان هدبة بن خشرم العذري قتل ابن عمه يقال له زياد بن زيدة
فطلبه سعيد بن (٤) العاص ، وهو يلي المدينة لمعاوية ، فحبسه ، فقال في
السجن قصيدته التي يقول فيها :

(١) زوجة عثمان التي قطعت اصابع يديها وهي تتلقى عنه ضربة السيف .
(٢) الحجر او قدر ما يندق به الجوز أو نحوه .
(٣) ألقمت مقدم أسنانها أي كسرتها .
(٤) حاكم الكوفة والمدينة من أيام معاوية . قاد الجيوش في طبرستان وجرجاف
وتوفي في العقيق ٦٨٨ .

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

وفي سجنه يقول ايضاً :

ولما دخلت السجن يا ام مالك ذكرك والاطراف في حلق سمر
وعند سعيد غير أني لم أبح بذكرك الا من يذكر بالأمر

وسئل عن هذا ، فقال : لما رأيت ثغر سعيد شبت به ثغرها ، وكان سعيد حسن الثغر . فحبس هدبة سبع سنين ينتظر به احتلام المستورد ابن زيادة ، فلما احتلم ، أخرج صبح تلك الليلة إلى عامل المدينة فرغبه في العفو ، وعرض عليه عشر ديات ، فابى إلا القود . وكان ممن عرض الديات عليه الحسن^(١) بن علي ، عليها السلام ، وعبدالله بن جعفر وسعيد ابن العاص ومروان بن الحكم . فلما ابى ، بعث هؤلاء وغيرهم من اخوانه بالحنوط^(٢) والاكفان فدخل عليه رسولهم السجن فوجدوه يلعب بالترد^(٣) . فجلسوا ولم يقولوا له شيئاً ، فلما لحظهم إذا بطرف برد خرج من بعض الاكفان فامسك ، ثم قال : كانه قد فرغ من امرنا ؟ فقالوا : أجل . فقام فاغتسل ثم رجع اليهم فاخذ من كل واحد ثوباً ورد ما بقي . واخرج ليقاد منه ، فجعل ينشد الاشعار . فقالت له حيا المدينة : ما رأيت اقسى قلباً منك ، تنشد الاشعار ، وقد دعى بك لتقتل ، وهذه

(١) بكر ابناء علي والامام الثاني عند الشيعة . بويح له بالخلافة بعد مقتل ابيه ولكنه صالح معاوية وتنازل حقناً للدماء وحباً في السلام .

(٢) طيب يدهن به الميت خاصة . وعم حتى اصبح كل طيب تحشى به جثة الميت بعد تجوفه فيمتنع فسادها ويحفظها من البلى .

(٣) حجارة صفار يلعب بها «معرب عن الفارسية نردشير» واطلق على ما يعرف اليوم بطاولة اللعب (ن . ر)

خلفك كأنها غزال عطشان تولول ؟ يعني امرأته . فوقف ، ووقف الناس معه ، فاقبل على حيا فقال :

وجدت بها ما لم تجد أم واجد ولا وجد حي بابن ام كلاب
وإني طويل الساعدين سمردل^(١) على ما اشتبهت من قوة وشباب.

فاغلقت الباب في وجهه . وعرض له عبد الرحمن^(٢) بن حسان فقال : انشدني ! فقال له : على هذه الحال ؟ قال : نعم . فابتدا ينشده :

ولست بمفراح إذا الدهر سرنى ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أتمنى الشر ، والشر تاركى ، ولكن متى أحل الشر اركب

قال : ونظر رجل إلى امرأته فدخلته غيرة ، فقال ، وقد كان زيادة جدع انفه بسيفه :

فان يك أنفي بان عني جماله فما حسبي في الصالحين بأجدعا
فلا تنكحني إن فرق الدهر بيننا اغم القفا والوجه ليس بانزعا

★ وعن ابي حمزة الكناني قال : كنت في حرس خالد^(٣) بن عبد الله

(١) وردت هنا سمردل وهي غير موجودة في كتب اللغة بل يوجد سمرطل وسمرطول وهو الطويل المضطرب وذلك يناسب المعنى .

(٢) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري .

(٣) حاكم العراق . جمع ثروة عظيمة وسعى لحفظ السلام وتشجيع الاعمال الزراعية . ولكن القيسيين كرهوه واتهموه بالفتور في الدين لتساهله مع سائر الاديان واختلاساته لمال الخزينة فمزل وسجن وقتل بعد تعذيبه بالكوفة .

القسري ، فقال خالد : من يحدثني بحديث غسي يستريح اليه قلبي ؟ فقلت : انا . فقال : مات . فقلت : انه بلغني انه كان فتى من بني عذرة ، وكانت له امرأة منهم ، وكان شديد الحب لها ، وكانت له مثل ذلك ، فبينما هو ذات يوم ينظر وجهها اذ بكى ، فنظرت إلى وجهه وبكت ، فقالت له : ما الذي ابكاك ؟ قال : والله ، اتصدقيني ان صدقتك ، قالت : نعم . قال لها : ذكرت حسنك وجمالك وشدة حبي ، فقلت اموت فتزوج زوجاً غيري . فقالت : والله والله ، أن ذاك الذي ابكاك ؟ قال : نعم . قالت : وانا ذكرت حسنك وجمالك وشدة حبي لك فقلت اموت فيتزوج امرأة غيري . قال الرجل : فان النساء حرام علي بعدك . فلبثا ما شاء الله . ثم إن الرجل توفي فجزعت عليه جزعاً شديداً فخاف اهلها على عقلها أن يذهل ، فاجمع رايهم على أن يزوجوها ، وهي كارهة ، لعلها تتسلى عنه . فلما كان في الليلة التي تهدي فيها إلى بيت زوجها ، وقد نام اهل البيت ، والماشطة ^(١) تهيء من شعرها ، إذ نامت نومة يسيرة فرأت زوجها الاول داخلاً عليها من الباب وهو يقول : خنت يا فلانة عهدي ، والله لاهنيت العيش بعدي فانتبهت مرعوبة ، وخرجت هاربة على وجهها ، وطلبها اهلها فلم يقعوا لها على خبر .

★ قال اسحق خرجت امرأة من قريش من بني زهرة ^(٢) إلى المدينة ^(٣)

(١) التي تحسن المسشط ، وهي التي تتولى تجهيز العروس ليلة اهدائها إلى بيت زوجها .
(٢) هي من قريش ، شعبة من اشراف حلب .
(٣) اعظم الاماكن المقدسة الاسلامية وكانت تدعى يثرب . لجأ النبي إليها في هجرته سنة ٦٢٢ وفيها قبره المقدس لذلك لقبت بالنورة على ماكنها افضل الصلاة والسلام .

تقضي حقاً لبعض القرشيين . وكانت ظريفة جميلة ، فرآها من بني أمية^(١) رجل فاعجبته ، وتاملها فاخذت بقلبه ، وسأل عنها فقيل له : هذه حميدة بنت عمر بن عبد الله بن حمزة . ووصفت له بما زاد فيها كلفه ، فخطبها إلى اهلها فزوجوه اياها على كره منها ، واهدت اليه فرأت من كرمه وأدبه وحسن عشرته ما وجدت به ، فلم تقم عنده إلا قليلاً حتى اخرج اهل المدينة بني أمية إلى الشام ، فزول بها امر ما ابتليت بمثله ، فاشتد بكاؤها على زوجها وبكاؤه عليها ، وخيرت بين أن تجمع معه مفارقة الامل والولد والاقارب والوطن او تتخلف عنه مع ما تجد به ، فلم تجد شيئاً اخف عندها من الخروج معه مختارة له على الدنيا وما فيها . فلما صارت بالشام صارت تبكي ليلاً ونهارها ولا تنهتاً^(٢) طعاماً ولا شراباً شوقاً إلى اهلها ووطنها ، فخرجت يوماً بدمشق مع نسوة تقضي حقاً لبعض القرشيين فمرت بفتى جالس على باب منزله ، وهو يتمثل بهذه الايات :

ألا ليت شعري ، هل تغير بعدنا صحون المصل^(٣) ، أم كهدي القرائن؟
وهل أدور^(٤) حول البلاط^(٥) عوامر

من الحي ، أم هل بالمدينة ساكن ؟

(١) أحفاد عبد شمس ، بطن من قريش خرج منهم سلالة الخلفاء الذين قولوا الحكم الاسلامي وكانت عاصمتهم دمشق . واستحلوا كل شيء في سبيل تأييد ملكهم فثار عليهم بنو عمهم العباسيون وقضوا عليهم . وعلى ايامهم ازدهرت المدينة الاسلامية علمياً وفنياً . (ن . ر)

(٢) تستسيخ وتستمرى .

(٣) اسم موضع بالمدينة .

(٤) جمع دار وهو المحل والمسكن .

(٥) اسم موضع بالمدينة بين المسجد والسوق مبلط .

إذا لمعت نحو الحجاز سحابة ، دعا الشوق مني برقها المتيامن^(١)
وما اشخصتنا رغبة عن بلادنا ، ولكنه ما قدر الله كائن .

فلما سمعت المرأة ذكر بلدها وعرفت المواضع ، تنفست نفساً صدع
فؤادها فوقعت ميتة . فحملت إلى أهلها وجاء زوجها ، وقد عرف
الخبر ، فانكب عليها فوقع عنها ميتاً . ففصلا جميعاً وكفنا ودفنا في
قبر واحد .

★ وكانت خولة بنت منظور بن زياد الفزاري عند الحسن بن علي
ابن ابي طالب ، رضي الله عنهم ، وكانت اختها عند عبد الله بن الزبير ،
وهي احسن الناس ثغراً ، واتمهم جمالاً . فلما رأى ذلك عبد الملك بن
مروان قتل عبد الله بن الزبير زوجها ، ثم خطبها ، فكرهت ان تتزوجه
وهو قاتل زوجها ، فاخذت فهراً وكسرت به اسنانها . وجاءها رسول
عبد الملك فخطبها ، فاذنت له ليرأها ، فادى اليها رسالته ورأى ما بها ،
فقالت : مالي عن امير المؤمنين رغبة ، ولكني كما ترى ، فإن احبني فانا
بين يديه . فاتاه الرسول فاعلمه بذلك ، فقال : انا ، والله ، إنما اردتها على
حسن ثغرها الذي بلغني ، واما الآن فلا حاجة لي فيها .

★ ومن يضرب به المثل في الوفاء جماعة بنت عوف بن محلم
الشيباني وذلك أن عمرو بن عبد الملك طلب مروان القرط وهو مروان
ابن زنباع العبسي فخرج هارباً حتى هجم على ابيات بني شيبان^(٢) ، فنظر
إلى اعظمها بيتاً ببصره فإذا هو بيت جماعة بنت عوف فألقى نفسه
بين يديها فاستجارها ، فأجارته . ولحقته خيل عمرو فبعثت إلى ابيها

(١) الذاهب ذات اليمين او ما فيه اليمين والبركة .

(٢) سلالة من الامراء المتحدرين من شيبان وكانوا ١٢ رزقوا بنين .

فعرفته انها اجارته فمنهم عوف عنه وانصرف اصحاب عمرو . فأرسل عمرو إلى عوف قد آليت ألا أقطع طليبي إلا أن يضع يده في يدي . فقال عوف : والله ما يكون ذلك ابدا لكن يدي بين يديك ويده . قال ، فرضي عمرو بذلك . فوضع مروان يده في يد عوف ووضع عوف يده في يد عمرو . فقال عمرو : لا حُرَّ بوادي عوف . فذهبت مثلاً .

★ وحكى عصام المري ، عن ابيه ، قال : بعثنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في سرية قبل نجد ، وقال : إن سمعتم مؤذنا ، او رأيتم مسجداً فلا تقتلن احداً . فبينما نحن نسير إذ لحقنا رجل معه ظعائن يسوقها امامه ، فأخذناه ، فقلنا له : اسلم . قال : وما الاسلام ؟ فمزنا عليه ، قال : ارأيتم ان لم اسلم ما انتم صانعون بي ؟ قلنا : نقتلك . قال : فهل انتم تاركي حتى أوصي من في هذا الهودج بكلمات . قلنا : نعم . فدنا من الهودج وفيه ظعينة ^(١) فقال : اسلمي جيش قبل انقطاع العيش . فقالت : اسلم عسراً او تسعا وترا ، او ثمانياً تترأ . قال ، ثم جاء فد عنقه . قال : شأنكم اصنعوا ما انتم صانعون . فضربنا عنقه ولقد رأيت تلك الظعينة نزلت من هودجها والقت نفسها عليه فما زالت تقبله وتبكي حتى هدأت فحركناها فإذا هي ميتة .

حكى العتيبي قال : كان خالد بن عبد الله القسري ذات ليلة مع فقهاء من اهل الكوفة ^(٢) فقال بعضهم : حدثونا حديثاً لبعض العشاق . قال احدهم : أصلح الله الأمير ، ذكر هشام بن عبد الملك غدر النساء وسرعة

(١) المرأة ما دامت في الهودج .

(٢) مدينة في العراق على ساعد للفرات اتخذها بنو العباس اولاً مركز ملكهم . اشتهرت هي والبصرة بكونها مركز الثقافة اللغوية وإنجبت كبار العلماء والمحدثين واللغويين .

رجوعهن . فقال له بعض جلسائه : انا أحدثك ، يا أمير المؤمنين : بلغني عن امرأة من يشكر^(١) يقال لها ام عقبة بنت عمرو بن الأعران ، وإنها كانت عند ابن عم لها يقال له غسان ، وكان شديد المحبة لها ، والوجد بها ، وكانت له كذلك . فأقام بها على هذا الحال ما شاء الله ، لا يزيد كل واحد منها بصاحبه إلا اعتباطاً . فلما حضرت غسان الوفاة قال لها : يا أم عقبة اسمعي ما أقول ، وأجيبني عن نفسك بحق . فقالت له : والله لا أجبتك بكذب ، ولا أجعله آخر حظك معي . فقال : إني رجوت أن تحفظي العهد ، وأن تكوني لي إن مت عند الرجاء . أنا والله واثق بك ، غير اني بسوء الظن أخاف غدر النساء . ثم اعتقل لسانه فلم ينطق حتى مات . فلم تمكث معه إلا قليلاً حتى خطبت من كل مكان ، ورغب فيها الأزواج لاجتماع الحصال الفاضلة فيها من العقل والجمال والمال والعفاف والحسب . فقالت مجيبة له :

سأحفظُ غساناً ، على بعد داره ، وأرعاهُ حتى نلتقي يومَ مُحَسَّرٍ .
وإني لفي شُغْلٍ عن الناس كلِّهم ، فكفُّوا ، فما مثلي من الناس يَغْدُرُ .
سأبكي عليه ، ما حييتُ ، بدمعةٍ تحولُ على الخدين مني فتَكْثُرُ

فيئس الناس منها حيناً . فلما طالت بها الايام نسيت عهده ، وقالت : من قد مات فقد فات . وأجابت بعض خطابها فتزوجها المقدم بن حابس ، وقد كان بها معجباً . فلما كانت الليلة التي أراد بها الدخول ، اتاها في منامها زوجها الأول فقال لها :

غدرتِ ، ولم ترعي لبعليكَ حرمةً ، ولم تعرفي حقاً ، ولم ترعي لي عهداً

(١) حي بالسراة .

غدرت به لما ثوى في ضريحه ، كذلك يُنسى كل من سَكَنَ اللحد

فانتبهت مرتاعة مستحية منه كأنه يراها أو تراه كأنه في جانب البيت . فانكر حالها من حضرها ، وقلن لها : مالك ؟ وما بالك ؟ قالت : ما ترك لي غسان في الحياة إربا ، أتاني الساعة فانشدني هذه الأبيات . ثم انشدتها بدمع غزير ، وانتحاب شديد من قلب جريح موجه . فلما سمع ذلك منها اخذن بها في حديث آخر لتنسى ما هي فيه ، فتغفلتن ثم قامت كأنها تقضي حاجة فأبطأت عليهن ، فقمن في طلبها ، فوجدنها قد جعلت السوط في حلقها وربطته إلى عمود البيت وجبذت^(١) نفسها حتى ماتت . فلما بلغ ذلك زوجها المقدام ، حسن عزاؤه عنها ، وقال : هكذا فليكن النساء في الوفاء ، قلَّ من يحفظ ميتاً ، إنما هي أيام قلائل حتى يُنسى وعنه يُتسلى .

★ استمدى آل بئينة مروان بن الحكم على جميل بن معمر ، فهرب حتى أتى رجلاً شريفاً من بني عذرة في أقصى بلادهم وله بنات سبع كأنهن البذور جمالاً . فقال الشيخ لبناته : تحلين بأجود حليكن ، والبسن فاخر ثيابكن ، ثم تعرضن لجميل . فمن اختار منكن زوجته إياها . ففعلن ذلك مراراً وجعلن يعارضنه : فلم يلتفت اليهن . وانشأ يقول :

حلفت لكي تعامن أني صادق ، وللصدق خير في الأمور وأنجح
لتكليم يوم من بئينة واحد ورؤيتها عندي ، ألد وأملح ،
من الدهر أن اخلو بكن فإتما ، أعالج قلباً طامحاً حيث يطمح

(١) لفة في جذب .

قال ابوهن : دعن هذا ، فوالله لا افلح ابداً .

* كانت أم هاني^١ بنت ابي طالب تحت زوجها هبيرة بن ابي ليث الخزومي ، فهرب يوم فتح مكة إلى اليمن فمات كافراً . فخطب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أم هاني فقالت : والله لقد كنت احبك في الجاهلية فكيف في الإسلام ؟ ولكنني امرأة مصيبة ، واكره أن يؤذوك . فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : نساء قريش خير نساء ركبن المطايا ، احناهن على ولد صغير ، وأرغاهن^٢ ، على زوج ذي يد .

حكى ابو بكر الانباري^٣ ، عن ابي اليسر قال : دخلت منزل نخاس لشراء جارية ، فسمعت في بيت بازاء البيت جارية تقول :

وكننا كزوج من قطا في مفازة لدى خفض عيش معجب مونق رغد
اصابهما ريب الزمان فأفردا ولم أر شيئاً قط أوحش من فرد

فقلت للنخاس : أعرض عليّ هذه المنشدة . فقال : انها حزينة . قلت : ولم ذلك ؟ قال : اشتريتها من ميراث ، فهي باكية على مولاها . ثم لم البث أن انشدت :

وكننا كغصني بانه وسط دوحه نشم جنا الجنات في عيشة رغد
فأفرد هذا الغصن من ذاك قاطع فيا فردة باتت تحن الى فرد

(١) هي هند ابنة أبي طالب .

(٢) رعى رُغَاءً : صوت وضج .

(٣) ابو بكر محمد بن القاسم الانباري لفوي اشهر بقوة حافظته .

قال ابو السمراء : فكتبت إلى عبد الله بن طاهر^(١) بخبرها . فكتب الي : أن الق عليها هذا البيت ، فإن اجازته فاشتراها ولو كانت بخراج خراسان . والبيت :

قريب صد ، بعيد وصل ، جعلت منه لي ملاذا

(فقالت سرعة) .

فعاتبوه ، فزاد شوقاً ، فمات عشقاً ، فكان ماذا

قال ابو السمراء : فاشتريتها بالف دينار وحملتها اليه . فمات في الطريق ، فكانت إحدى الحسرات .

★ قال الاصمعي : خرج سليمان بن عبد الملك ومعه سليمان بن المهلب ابن ابي صفرة من دمشق متزهين ، فمرا بالجبانة ، وإذا امرأة جالسة على قبر تبكي ، فهبت الريح ، فرفعت البرقع عن وجهها ، فكانها غمامة جلت شمساً ، فوقفنا متعجبين ننظر اليها ، فقال لها ابن المهلب : يا أمّة الله ، هل لك في امير المؤمنين بعلا؟ فنظرت اليها ، ثم نظرت إلى القبر ، وقالت :

فإن تسألاني عن هواي ، فانه بملحود هذا القبر ، يافتيان

وإنني لأستحييه والترب بيننا ، كما كنت أستحييه وهو يراني

فانصرفنا ونحن متعجبون .

(١) قائد وسياسي وشاعر حكم البلاد ما بين مصر والرقّة ثم استقل بحكم خراسان .

★ قال الاصمعي : رأيت بالبادية اعرابية لا تتكلم ، فقلت : أخرساء هي ؟ فقيل لي : لا ، ولكنها كان زوجها معجباً بنغمتها فتوفني ، فألت أن لا تتكلم بعده ابدا .

★ قال الفرزدق ^(١) أبقَ لرجل من بني نهشل ، يقال له حصن ، غلام . فخرجت في طلبه أريد اليامة ^(٢) . فلما صرت في ماء لبني حنيقة ^(٣) ارتفعت لي سحابة ، فرعدت وبرقت وارخت عزاليها ^(٤) ، فَعَدَلْتُ إلى بعض ديارهم وسألت القرا . فأجابوا ، ودخلت الدار ، وانخت ناقتي ، وجلست . فإذا جارية كأنها طلعة قمر ، فقالت : ممن الرجل ؟ قلت من بني حنظلة ^(٥) . قالت : من اي حنظلة ؟ قلت : من بني نهشل ^(٦) . قالت : فأنت من الذين يقول فيهم الفرزدق :

إن الذي سمك السماء بني لنا بيتاً دعائمه أعز واطول
بيتا زرارة ^(٧) محتب ^(٨) بفنائيه ومجاشعُ وابو الفوارسُ تهشلُ

فقلت : نعم . فتبسمت ، ثم قالت : فإن جريراً هدم قوله ، حيث يقول :

(١) همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي . ولد بالبصرة . قضى حياته يهجو الناس ويمدحهم . وكان قوي اللغة .

(٢) بلاد في اواسط الجزيرة العربية سكنها بنو جديس في الجاهلية .

(٣) قبيلة من بكر بن وائل انفصلت عنها بعد حرب البسوس وانضمت إلى تغلب .

(٤) مصب الماء من أسفل الراوية والقربة والمزادة ويشبه بانصبابه اتساع المطر واندفاقه . واحدهما عزلاء .

(٥) قبيلة من معد كان لها شأن في أيام العرب .

(٦) قبيلة فخذ من حنظلة .

(٧) أحد أدباء الأفضاخ من القبيلة .

(٨) مشتمل بثوبه (ن ، ر)

أخزى الذي سمك السماء مجاشعا وأحل بيتك بالحضيض الأسفل^١

قال : فأعجبني ما رأيت من جاهلها وفصاحتها ، ثم قالت لي : اين تؤم ؟ قلت : اليامة . فتنفست نفساً وصل اليّ حره ، فقلت : أذات خيدر ، ام ذات بعل ؟ فبكت . فقلت : ما اجبتني عما سألتك . قال فلما فهمت قولي ولم تكن اولاً فهمته من شدة استغراقها ، فلما كان بعد ساعة انشأت تقول :

يخيل لي ، أبا عمرو بن كعب ، بأنك قد حملت على سرير
فإن يك هكذا ، يا عمرو ، إني مبكرة عليك الى القبور

ثم شقت شهقة فماتت . فقلت لهم : من هذه ؟ قالوا : عقيلة بنت الضحاك بن النعمان بن المنذر . قلت : فمن عمرو ؟ قالوا : ابن عمها ، خطبها ولم يدخل بها . فارتحلت من عندهم فدخلت اليامة ، فسألت عن عمرو فإذا به قد دفن في ذلك الوقت من ذلك اليوم .

★ يروى عن سماك بن حرب : أن زيد بن^١ حارثة قال : يا رسول الله ، انطلق بنا إلى فلانة فخطبها عليك او عليّ أن لم تعجبك : فاتيناها فذكر لها زيد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقالت له : يا رسول الله ، اني عاهدت زوجي ألاّ اتزوج بعده ابداً ، واعطاني مثل ذلك . فقال لها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : ان كان ذلك في الاسلام فصي له ، وان كان ذلك في الجاهلية فليس بشيء .

١) عبد اشترته أم المؤمنين وأهدته الى النبي فاعتقه وتبناه . وهو من الأوائل الذين دخلوا الاسلام . حمل لواء وقعة مؤته وقتل فيها .

★ قال الاصمعي خرجت إلى مقابر البصرة ، فإذا انا بامرأة على قبر ،
من اجل النساء ، وهي تندب صاحبه وتقول :

هل أخبر القبر سائليه	أم قرّ عيناً بزائريه
أم هل تراه أحاط علماً	بالجسد المستكن فيه
يا جبلاً كان ذا امتناع	وطوداً عد لآمليه
يا نخلة طلعتها نضيد	يقرب من كف مجتنيه
ياموت ماذا أردت مني	حققت ما كنت أتقيه
دهر رماني بفقد إلفي	أذم دهري وأشكيه
أمّنك الله كل خوفٍ	وكل ما كنت تتقيه
أسكنك الله في جنانٍ	تكون أمناً لساكنيه

قال ، فقلت لها : يا أمة الله ، ما هذا منك ؟ قالت : لو علمت مكانك
ما انشدت حرفاً ، هذا زوجي وسروري وأنسي ، والله لازلت هكذا
ابداً او الحق به . قلت لها : أعيدي عليّ الشعر . فقالت : هذا من
ذاك . فقلت خذي اليك . وانشدتها الأبيات ، فقالت فإن يكن في
الدنيا الأصمعي فأنت هو .

★ قال : كان لاشجع بن عمرو والسلمي جارية ، يقال لها ريم ،
وكان يجدها وجداً شديداً ، وتجد به . وكانت تحلف له انها إن بقيت
بعده لم يحكم عليها رجل ابداً . فقال يخاطبها :

إذا غمضت فوقي جفون حفيرة من الأرض فابكيني بما كنت اصنع

تعزيك عني بعد ذلك سلوة ، وإن ليس فيمن وارت الأرض مطمع
فأجابته ريم تقول :

ذكرت فراقاً والفراق يصدع ، وأي حياة بعد موتك تنفع .
إذا الزمن الغدار فرق بيننا ، فإلي في طيب من العيش مطمع .
فلو أبصرت عيناك عينيَّ ابصرت ،
شآيب^(١) حدر^(٢) غيشا ليس تقشع

وقال فيها ايضاً :

وليس لآخوان النساء تطاول ، ولكن إخوان الرجال يطول .
فلا تبخلي بالدمع عني فإن من ، يضمن بدمع ، عن هوى ، لبخيل .
فإلي الى رد الشبيبة حيلة ، ولا لي الى دفع المنون سبيل .
وإن لداتي^(٣) قد مضوا السيلهم ، وإن بقائي بعدهم لقليل .

فأجابته ريم :

بكي من صروف خطبهن جليل ومن ذا به عُمرُ الحياة يطول ؟

١ (واحدها شؤوب وهو الدفعة من المطر .

٢ (نبت رملي .

٣ (واحدها لِدَة وهي التراب أو من قارن مولدك موعده .

ومن ذا الذي ينعي على حدث الردى ،

وللموت في أثر النفوس رسول .
وكل جليل سوف يلقي حمامه ،
وكل نعيم دائم سيزول .
لي الويل ، إن عمرت بعدك ساعة ،
وان كثير الويل لي لقليل .
وتزعم أني لا أجود بعبرة ،
إذا نجمة قد حان منه أفول .
ومن ذا الذي أبكي له ، إن فقدته ،
سواك ، ومن دمعي عليه يسيل .
فلا وقيت ريم ، إذا ، ما تخافه
إذا تاب خطب للزمان جليل .
ولا لقيت يوم القيامة ربها
وميزانها بالصالحات ثقیل .
إذا ما سخا قلب امرئ بمودة ،
فقلبي بودٍ عن سواك بخيل .

ولما مات أشجع ، آلت على نفسها أن لا تأكل طعاماً ، ولا تذوق
ضراباً . فعاشت بعده أياماً ، ثم توفيت ، فدفنت إلى جانبه .



(باب ما يذكر من غدر النساء)

قال عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه : أستعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر .

قال عمرو الملك :

إن من غره النساء بود بعد هند لجاهل مغرور
حلوۃ العين واللسان وفيها كل شيء يجن فيه الضمير

وقال طفيل الغنوي (١) :

إن النساء لأشجار تبين لنا منهن مر ، وبعض المر ما كول .
ان النساء متى يُنهي عن خلق فإنه واقع لا بد مفعول

وفي الحديث المرفوع أن المرأة خلقت من ضلع عوجاء ، فإن ذهبت تقومها كسرتها ، فاستمتع بها على عوج فيها .

(١) من الشعراء الغزليين في العصر العباسي .

وكان أبو ذر (١) الغفاري يقعد على منبر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فينشده :

هي الضلع العوجاء لست تقيمها ألا إنَّ تقويم الضلوع انكسارها.
أيجمعن ضعفاً واقتداراً على الفتى ، أليس عجيباً ضعفها واقتدارها؟

وفي الحديث شاوروهن وخالفوهن ، فإن في خلافهن البركة .

قال علقمة بن عبدة :

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصير بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له في ودّهن نصيب

وقال آخر :

تمتع بها ، ما ساعفتك ، ولا تكن جزوعاً إذا بانّت ، فسوف تبين .
وان هي أعطتك اللبان فإنها ، لغيرك من طلابها ستلين ؛
وخنها وإن كانت تفي لك ، إنها على قدم الأيام سوف تخون
وإن حلفت أن ليس تنقض عهدها ، فليس لمخضوب البنان يمين .

(١) صحابي اشتهر بورعه وبفصاحة لسانه يعتبر من أعظم المحدثين . نفاه الخليفة الثالث عثمان الى الشام ثم طلب معاوية نفيه من الشام فتناه في الصحراء واختلفت الآراء في مكان موته وقبره ولكن الأرجح أنه في الريدة في جوار المدينة .

وقال ابو عبيدة : حجت امرأة عجير السلوي معه ، فأقبلت لا تطرق على شاب في الرفقة إلا وتكشف وجهها ، فقال في ذلك :

أيارب ، لا تغفر لعنمة ذنبها ، وإن لم يعاقبها العجير ، فعاقب

حرام عليك الحج لا تطعمينه إذا كان حج المسلمات الثواب

وقال أعرابي :

لا تكثري قولاً منحتك ودناً ، فقولك هذا للفؤاد مريب ،

تعدين ما أوليتني منك قابلاً ، وللفارس العجلان منك نصيب؟

★ أراد رجل أن يشتري قينة^(١) وقد كان أحبها ، فبات عند مولاها ليلة فأمكنته من نفسها وكان الامتناع منه ، فأنشأ يقول :

ما رأينا بواسط^(٢) كسليمي منظرأ لو تزينه بعضاف

بت في جنبها وبات ضجيعي جنب^(٣) القلب طاهر الأطراف

فأقيمي مقامنا ثم بيني ، لست عندي من فتية الأشراف

(١) جارية مفضية .

(٢) مدينة في العراق أنشأها الحجاج بن يوسف بين البصرة والكوفة قد توارت تحت الرمال بعد أن تحولت عنها مياه دجلة .

(٣) أي انها كانت تبغي النكاح في قلبها ولكنه لم يجارها على رغبتها فباتت طاهرة الأطراف . (ن . ر)

وقال آخر :

لا أشتي رنق^(١) الحياة ولا التي
ولكنني أهوى مشارب أحرزت
تخاف وتغشاها المعبدة الحرب^(٢)
عن الناس حتى ليس في صفوها عيب

وقال أعرابي ايضاً :

تبعتك لما كان قلبك واحداً ،
ولن يلبث الحوض الوثيق بناؤه
وأمسكت لما صرت نهبا مقسما .
على كثرة الوراد أن يتهدما

وقال ابو نواس :

ومظرة لخلق الله حبا ،
أتيت فؤادها أشكو إليه ،
فيا من ليس يكفيها خليل ،
أراك بقية من قوم موسى ،
وتلقي بالتحية والسلام .
فلم أخلص إليه من الزحام .
ولا ألفا خليل كل عام ،
فهم لا يصبرون على طعام .

★ وكان رجل يحب امرأة فخطب في اليوم الذي ماتت فيه ، فقيل
له في ذلك فقال :

خطبت كما لو كنت قدمت قبلها لكانت بلا شك لأول خاطب

(١) كدر .

(٢) يعني بذلك المياه التي ترددها كثرة الارجل .

إذا غاب بعل كان بعل مكانه فلا بد من آت وآخر ذاهب

* وعن المطلب بن الوداعة السهمي قال : كانت ضباعة بنت عامر ، من بني عامر^(١) بن صعصعة ، تحت عبد الله^(٢) بن جدعان . فكثت عنده زماناً لا تلد ، فأرسل إليها هشام بن المغيرة : ما تصنعين بهذا الشيخ الكبير الذي لا يولد له : فقولي له فليطلقك . فقالت ذلك لعبدالله بن جدعان ، فقال لها : إني أخاف إن طلقتك تتزوجي هشام بن المغيرة ! قالت له : فإن لك عليّ أن لا أفعل هذا إن قال لها : فإن فعلت ، فإن عليك مائة من الإبل تحرينها وتنسجين ثوباً يقطع ما بين الأخشين^(٣) وتطوفين بالبيت عريانة . قالت : لا أطيق ذلك . وأرسلت إلى هشام فأخبرته ، فأرسل إليها ما أهون ذلك ، وما يكن بك من ذلك ، أنا أيسر من قريش في المال ، ونسائي أكثر النساء بالبطحاء ، وأنت أجمل النساء ولا تعابين في عريك ، فلا تأتي ذلك عليه . فقالت لابن جدعان : طلقني ، فإن تزوجت هشاماً فعليّ ما قلت . فطلقها بعد استيثاقه منها . فتزوجها هشام ، فنحر عنها مائة جزور ، وأمر نساءه فتنسجن ثوباً يملأ ما بين الأخشين ، ثم طافت بالبيت عريانة . قال المطلب : فأتبعها بصري إذا أدبرت وأستقبلها إذا أقبلت ، فما رأيت شيئاً مما خلق الله منها وهي واضعة يدها على فرجها وقريش قد أهدقت بها ، وهي تقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله
وما بدا منه فلا أحله

(١) من قبائل العرب كانوا متفرقين في أنحاء الجزيرة قاتلوا مع القيسيين في سبيل ابن الزبير في مرج راهط .

(٢) من أجاويد العرب من قريش سمي حاسي الذهب لأنه كان يشرب في كأس من الذهب .

(٣) جبلا مكة وهما أبو قبيس والاحمر . أو جبلا منى .

★ قال الزبير بن بكار : خطب الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب من عمه الحسين بن علي رضي الله عنها فقال له : يا ابن أخي ، قد انتظرت هذا منك انطلق معي . فخرج معه حتى أدخله منزله ثم أخرج إليه ابنته فاطمة وسكينة ، وقال له : اختر أيها شئت ! فاختر فاطمة ، فزوجه إياها . فلما حضرت الحسن الوفاة قال لها : إنك امرأة مرغوب فيك ، متشوف إليك لا تتركين ، وإني ما أدع في قلبي حسرة سواك . فتزوجني من شئت سوى عبد الله بن عمر بن عثمان . ثم قال لها : كاني قد خرجت وقدمت وقد جاءك لابساً حلتك ، مرجلاً جنته ، يسير في جانب الناس معترضاً لك ، ولست أدع من الدنيا ما غيرك . فلم يدعها حتى استوثق منها بالإيمان . ومات الحسن ، فأخرجت جنازته ، فوفاه عبد الله ابن عمر وكان يجد بفاطمة وجداً شديداً ، وكان رجلاً جميلاً كان يقال له المطرف من حسنه ، فنظر إلى فاطمة وهي تلطم وجهها على الحسن ، فأرسل إليها مع وليدة له : أن لابن عمك أربا في وجهك فارفقي به . فاسترخت يدها واحمر وجهها حتى عرف ذلك جميع من حضرها . فلما انقضت عدتها خطبها فقالت : كيف أفعل بإيماني ؟ قال لها : لك بكل مال مالان ؛ وبكل مملوك مملوكان . فوفى لها وتزوجها فولدت له محمداً . وكان يسمى من حسنه الديباج والقاسم ورقية .

★ قال الزبير : لما حضرت الوفاة حمزة بن عبد الله بن الزبير خرجت عليه فاطمة بنت القاسم بن علي بن جعفر بن أبي طالب فقال لها : كاني بك تزوجت طلحة بن عمر بن عبد الله بن معمر ، فحلفت له بعتق رقيقها ، وان كل شيء لها في سبيل الله أن تزوجه ابداً . فلما توفي حمزة بن عبد الله وحلت ، أرسل إليها طلحة بن عمر فخطبها فقالت له : قد حلفت . وذكرت يمينها ، فقال لها : أعطيك بكل شيء شئين . وكانت قيمة رقيقها وما حلفت عليه عشرين الف دينار ، فاصدقها ضعفيها

فتزوجته ، فولدت له ابراهيم ورملة . فزوج طلحة ابنته رملة من اسمعيل ابن علي بن العباس بمائة الف دينار وكانت فائقة الجمال والخلق ، فقال اسماعيل لطلحة بن عمر : أنت أتجر الناس . قال له : والله ما عالجت تجارة قط . قال : بلى حين تزوجت فاطمة بنت القاسم باربعين الفاً فولدت لك ابراهيم ورملة ، فزوجت رملة بمائة الف دينار فربحت ستين الفاً و ابراهيم .

★ وعن هشام بن الكلبي قال : قال عبدالله بن عكرمة : دخلت على عبد الرحمن بن هشام أعوده فقلت : كيف تجد؟ فقال : اجد بي والله الموت ، وما موتي بأشد عليّ من أم هشام ، أخاف أن تتزوج بعدي . فحلفت له انها لا تتزوج بعده ففشي وجهه نوراً ، وقال : الآن فليزل الموت متى شاء . فلما انقضت عدتها تزوجت عمر بن (عبد العزيز . فقلت في ذلك ؟

فإن لقيت خيراً فلا يُهينينها وإن تعست بؤساً فللعين والضم

فلما بلغها ذلك كتبت الي : قد بلغني ما تمثلت به ، وما مثلي ومثلك في أخيك إلا كما قال الشاعر :

وهل كنت إلا والها ذات ترحه قضت نجبها بعد الحنين المرجع

فدع ذكر من قد وارت الأرض شخصه

ففي غير من قد وارت الأرض مقنع

(١) من الخلفاء الامويين . اشتهر بتقواه أبطل لعن علي التي سنها معاوية قال فيه مرقل ملك الروم عندما بلغه وفاته : إن الأخيار لا يبقون عند الأشرار إلا قليلا .

قال : فبلغ مني كل مبلغ . فحسبت حسابها فإذا هي قد عجلت بالتزوج وبقي عليها من عدتها أربعة أيام . فدخلت على عمر فاخبرته فانقض النكاح .

قال الزبير بن بكار : كانت امرأة من العرب تزوجت رجلاً ، فكانت تجده ، ويمجد بها جداً شديداً ، فتحالفا وتعاهدا أن لا يتزوج الباقي منها . فما لبث أن مات بعلمها ، فتزوجت ، فلامها أهلها على نقض عهدها ، فقالت :

لقد كان حيي ذاك جياً مبرحاً وحيي لذا إذ مات ذاك شديد .
وكانت حياتي عند ذلك جنة وحيي لذا طول الحياة يزيد .
فلما مضى ، عادت لهذا مودتي ، كذلك الهوى بعد الممات يبيد

★ حكى الهيثم بن عدي قال : عاهد رجل امرأته وعاهدته أن لا يتزوج الباقي منها ، فهلك الرجل ، فلم تلبث المرأة أن تزوجت . فلما كان ليلة البناء بها رأت في أول الليل شخصاً فتأملته ، فإذا هو زوجها ، وهو يقول لها : نقضت العهد ولم ترعي له . واصبحت أتمت نكاحها .

★ وروى ابن شهاب ^(١) : أن رجلاً من الأنصار غزا فأوصى ابن عم له بأهله ، فأتى ابن عم الرجل ليلة من الليالي فتطلع على حال زوجة ابن عمه فإذا بالبيت مصباح يزهر ورائحة طيبة ، وإذا برجل متكئ على فراش ابن عمه وهو يتغنى ويقول :

(١) محدث شهير جمع نحو ألفي حديث . وكان يسكن الشام . وقيل أنه أول من دون الحديث بالكتابة .

وأشعث غرة الاسلام مني خلوت بعمره بدر التمام
 آيت على ترائبها^(١) ويغدو على جرداء لاحقة الحزام
 كان مجامع الربلات^(٢) منها فنام^(٣) ينتمين إلى فنام

فلم يقدر الرجل أن يملك نفسه حتى دخل عليه فضربه حتى قتله .
 ورفع الخبر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فصعد المنبر وخطب
 وقال : عزمت عليكم إن كان الرجل الذي قَتَلَ حاضرأ ويسمع كلامي
 فليقم . فقال : أبعده الله ، ما كان من خبره ؟ فاخبره وأنشده الأبيات ،
 فقال : أضربت عنقه ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين . فقال : أبعده الله ،
 فقد هدر دمه

★ قال ابو عمرو^(٤) الشيباني : كان ابو ذؤيب^(٥) الهذلي يهوى امرأة
 يقال لها أم عمرو ، وكان يبعث إليها خالد ابن أخيه زهير ، فراودت
 الغلام عن نفسها ، فامتنع وقال : اكره أن يبلغ ابا ذؤيب . فقالت له :
 ما يراني وإياك إلا الكواكب . فبات معها وقال :

(١) جمع تريبة وهي موضع القلادة من الصدر ، أو ما بين الثديين والترقوتين ، أو
 أربعة أضلاع من يئنة الصدر ومثلها من يسرته .

(٢) جمع رملة وهي لحة باطن الفخذ . وقال ثعلب : أصول الأفضاخ وهي ما حول
 الضرع والحياض في باطن الفخذ .

(٣) جماعة .

(٤) من نحوبي الكوفة عاش زمناً مع أعراب البادية ليأخذ عنهم الشعر واللغة .
 وقضى آخر أيامه في بغداد ولا يعرف من مؤلفاته سوى كتاب « الجيم » وفيه المصطلحات
 عن ٣٠ قبيلة عربية .

(٥) شاعر مخضرم . خرج مع عبد الله بن أبي سرح لفتح افريقيا في زمن عمان .
 وتوفي في مصر . (ن . د)

ما ثمّ إلا أنا والكواكب وأم عمرو فلنعم صاحب

فلما رجع إلى أبي ذؤيب استراب به ، وقال : والله اني لأجد ربح
أم عمرو منك . ثم جعل لا يأتيه إلا استراب به ، فقال خالد :

يا قوم مالي وأبي ذؤيب ، كنت إذا ما جثته من غيب ،
يمس عظفي ، ويشم ثوبي ، كأنني أربته بريب .

فقال ابو ذؤيب ، وهي من قصيدة من جيد شعره :

دعا خالداً اسرى ليالي نفسه يولي على قصد السبيل أمورها
فلما توفأها الشباب وغدره ، وفي النفس منه غدرها وفجورها
لوى رأسه عني ، ومال بوده ، أغانيج خود كان حيناً يزورها
تعلقها منه دلال ومقلة يظل لأصحاب السفاه يثيرها

فأجابه خالد :

فلا يبعدن الله عقلك إن غزا وسافرَ والاحلامُ جمٌ غيورها
وكنت إماماً للعشيرة تنتهي إليك اذا ضاقت بأمرِ صدورها
وقاسمها بالله جهداً لأنتم ألد من الشكوى إذا ما يسورها
فلم يغن عنه خدعه حين أزمعت صريمته والنفس مر ضميرها

قال : وكان ابو ذؤيب اخذها من ملك بن عويمر وكان ملك يرسله إليها ، فلما كبر اخذت ابا ذؤيب ، فلما كبر اخذت خالدًا . وقال :

تريدين كيا تجمعييني وخالدا وهل يصلح السيفان ، ويحك ، في غمدي ؟
أخالد ، ماراعيت مني قرابة فتحفظني بالغيب أو بعض ماتبدي .

★ قال ابو عبيدة : كان صخر بن عبد الله الشريد يتعشق ابنة عمه سلمى بنت كعب ، وكان يخطبها فتأبى عليه ، فأقام على ذلك حيناً ثم أغارت بنو اسد على بني سليم فغلبوهم وصخر غائب . وأخذت سلمى فيمن أخذ من النساء ، وقتل عدد منهم ، وأسر آخرون . وأقبل صخر فنظر إلى ديارهم بلقماً واخبر الخبر ، فشد عليه سلاحه ، واستوى على فرسه ، وأخذ اثرهم حتى لحقهم ، فلما نظروا إليه قالوا : هذا كان شرذمة من بني سليم ، وقد احب الله أن لا يدع منهم احداً . فجعل يبرز إليه الفارس بعد الفارس فيقتله ، فلما اكثر فيهم القتل ، حلت أسارى بني سليم بعضها بعضاً ، وثاروا على بني اسد . ونظر صخر إلى سلمى وهي مع عبد أسود ، قد شدها على ظهره ، فطعنه صخر فقتله واستيقذ سلمى ورجع بها . وقد اصابته طعنة ابي ثور الأسدي في جنبه ، وتزوج سلمى . وكان يحبها ويكرمها ، ويفضلها على اهله . ثم بعد ذلك انتقض جرحه فمريض حولاً ، وكان نساء الحي يدخلن إلى سلمى عوائد فيقلن : كيف اصبح صخر ؟ فتقول : لآحي فيرجى ولا ميت فينسى . ومر بها رجل وهي قائمة وكانت ذات خلق وأرداف ، فقال : أبيع هذا الكفل ؟ فقالت : عن قريب : فسمعها صخر ، ولم تعلم ، فقال لها : ناويلني السيف

أنظر هل صدىء أم لا ؟ و اراد قتلها ، فناولته ولم تعلم ، فإذا هو لا يقدر على حمله فقال :

أرى أم صخر ما تملى عيادتي وملت سليمان مضجعي ومكاني
وما كنت أخشى أن أكون جنازة عليك ومن يغتر بالحدثان
فأي امرئ ساوى بأمر حليمة فلا عاش إلا في شقا وهوان
أهم بأمر الحرم لو استطعته ، وقد حيل بين العير والنزوان^(١)
لعمري لقد أيقظت من كان نائماً وأسمعت من كانت له أذنان
فلأموت ، خير من حياة كأنها محلة يعسوب^(٢) برأس سنان .

قال : وتأت في موضع الجرح قطعة فأشاروا عليه بقطعها ، فقال لهم : شأنكم . فلما قطعت مات .

★ قال كان الساطرون والملك ، ملك اليونانيين ، قد بنى حصناً يسمى الثرثار ولم يكن له باب ظاهر فكل من غزاه من الملوك رجع عنه خائباً حتى غزاه سابور^٣ ذو الاكتاف ، ملك فارس ، فحصره اشهرأ لا يقدر على شيء . فأشرفت يوماً من الحصن النضيرة ابنة الملك ، فنظرت إلى سابور فهويته ، وكان من اجل الناس وأمدهم قامة ، فأرسلت إليه : إن أنت ضمنت لي أن تتزوجني وتفضلني على نساءك دللتك على فتح

(١) السفاد أي الوطاء والجماع .

(٢) الذكر من النحل وأميرها ؛ أو هو طائر أيضاً .

(٣) هو سابور الثاني من ملوك بني ساسان حارب العرب أحلاف بيزنطيا ولقب بندي الاكتاف لأنه أمر بفك أكتاف أسرى الحرب .

هذا الحصن . فضمن لها ذلك فارسلت إليه : ان انثر في الثرثار تبناً واجعل الرجال يتبعونه حتى يروا حيث يدخل . فإن ذلك المكان يفضي إلى الحصن ، وفيه باب . ففعل ذلك سابور ، وعمدت النضيرة إلى أبيها فسقته الخمر حتى اسكرته ، فلم يشعر أهل الحصن إلا وسابور معهم وهم آمنون ، قال : فلما ظفر سابور بالحصن ، وقتل الملك ابا النضيرة ، وجمع جنده ، تزوج بالنضيرة فباتت معه مسهرة لاتنام تتقلب من جنب إلى جنب . فقال لها سابور : مالك لاتنامين ؟ فقالت : إن جنبي تجافى عن فراشك . قال : ولم ، فوالله ما نامت الملوكة على الين منه ولا اوطأ ، وان فرشه لزغب اليام . فلما اصبح سابور نظر إلى ورقة آس^١ بين اعكانها^٢ ، فتناولها ، فدمى موضعها . فقال لها : ويحك بماذا كان ابوك يغذيك ؟ قالت : بالمخ والزبد والبلح والشهد وصفو الخمر . فقال لها سابور : اني لجدير أن لا أستبقيك بعد إهلاك اباك وقومك ، وكانت حالك عندهم هذه الحالة التي تصفين ، وأمر باحضار فرسين فربطت إلى ارجلها بغدائرهما ونفرا فقطعاها نصفين . فذلك قول عدي حيث يقول :

والحصن صبت عليه داهية من قعره أيد مناكيبها
من بعدما كان وهو يعدره أرباب ملك جزل مواهبها

★ ويروى أن وضاح اليمن^١ نشأ هو وأم البنين بنت عبد العزيز ابن مروان بالمدينة صغيرين فأحبها وأحبه ، وكان لا يصبر عنها حتى إذا

(١) نبت طيب الريح ويعرف عند العامة بالريحان ويعرف حبه بالخبلاس .
(٢) جمع 'عكنة وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنًا . (ن . ر)
(٣) من مشاهير شعراء الغزل تشبب بأم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك وقد مر الشرح عنه .

شبت حجبت عنه ، فطال بها البلاء . فحج الوليد بن عبد الملك فبلغه
 جمال أم البنين وأدبها فتزوجها ونقلها معه إلى الشام فذهب عقل وضاح
 عليها وجعل يذوب وينحل فلما طال عليه البلاء وصار إلى الوسواس
 خرج إلى مكة حاجاً وقال لعلي أستعيز بالله مما انا فيه وأدعو الله
 فلعله يرحمني فلما قضى حجه شخص إلى الشام فجعل يطوف بقصر الوليد
 ابن عبد الملك في كل يوم لا يجد حيلة حتى رأى في يوم من الايام جارية
 صفراء خارجة من القصر تمشي فمشى معها ولم يزل بها حتى أنست به
 فقال لها : أتعرفين أم البنين بموضعي ؟ فقالت : عن مولاتي تسأل ؟ قال
 لها : هي ابنة عمي ، وانها لتسر بموضعي لو اخبرتها ، قالت : فأنا
 اخبرها . فضت الجارية فاخبرت أم البنين فقالت لها : ويلك أحي هو ؟
 قالت لها : نعم يا مولاتي . قالت لها : إرجعي إليه ، وقولي له كن
 مكانك حتى يأتيك رسولي ، فلإني لأدع الاحتيال لك : واحتالت له
 فأدخلته في صندوق ، فكث عندها حيناً فإذا أمنت أخرجته فقعد
 معها ، وإذا خافت عين رقيب أدخلته في الصندوق . وأهدى يوماً
 للوليد جوهر فقال لبعض خدمه خذ هذا العقد وامض به إلى أم البنين
 وقل لها : أهدي هذا إلى امير المؤمنين فوجه به إليك . فدخل
 الخادم مفاجأة ووضاح معها قاعد فلمحه الخادم ، ولم تشعر أم البنين ،
 فبادر إلى الصندوق فدخله . وأدى الخادم الرسالة وقال : هي لي من
 هذا الجوهر حجراً واحداً . فقالت له . لا أم لك ، فما تصنع بهذا .
 فخرج وهو عليها حنق ، فجاء الوليد فأخبره الخبر ووصف له الصندوق
 الذي رآه دخله ، فقال له : كذبت ، لا أم لك : ثم نهض الوليد مسرعاً
 فدخل إليها وهي في ذلك البيت وفيه صناديق كثيرة فجاء حتى جلس
 على ذلك الصندوق الذي وصف له الخادم فقال لها : يا أم البنين هي
 لي صندوقاً من صناديقك هذه ؟ قالت : انا لك يا امير المؤمنين ، وهي
 لك ، فخذها شئت . قال : ما أريد إلا هذا الذي تحتي . قالت له

يا امير المؤمنين إن فيه شيئاً من أمور النساء . فقال : ما أريد غيره . قالت فهو لك . قال فأمر به فحمل ، ودعا بفلامين وأمرهما أن يحفرا حتى وصلا إلى الماء ثم وضع فمه في الصندوق وقال يا صاحب الصندوق قد بلغنا عنك شيء فإن كان حقاً فقد دفنا خبرك ، وان كان كذباً فما أهون علينا ، إنما دفنا صندوقاً . وأمر بالصندوق فالقي في الحفيرة ، وأمر بالخدام الذي عرفه فقذف معه ، ورد التراب عليها . قال فكانت أم البنين لا تُرى إلا في ذلك المكان تبكي إلى أن وجدت ذات يوم مكبوبة على وجهها ميتة .

★ وروي عن أبي نواس قال حججت مع الفضل^(١) بن الربيع فلما كنا بارض فزاره^(٢) أيام الربيع ، نزلنا منزلاً بفنائهم ذا أرض أريض ، ونبت غريض ، وقد اكتست الارض نبتها الزاهر ، وبرزت براخم غررها بالتحف أنوار زخرفها الباهر ما يقصر عن حسنه التارق المصفوفة ، ولا يداني بهجته الزرابي^(٣) المبوثة . فزادت الابصار في نضرتها ، وابتهجت النفوس بثمارها . فلم نلبث أن أقبلت السماء بالسحاب ، وأرخت عزلها ثم اندهمت برداذ^(٤) ، ثم بطش^(٥) ثم بوابل^(٦) حتى إذا تركت الديم^(٧) ،

-
- (١) وزير الأمين . وأبوه معتوق الخليفة عثمان . حسد البرامكة ودرس الدسائس عليهم . ورمى البغضاء بين الأمين والمأمون .
 - (٢) قبيلة قطنت وادي الرقة في نجد . عبدوا الأوثان وحاصروا المدينة ثم أسلموا ، ثم ارتدوا بعد موت النبي فحاربهم ابو بكر وأرجمهم .
 - (٣) الوسائد أو الطنافس لها خمل رقيق .
 - (٤) المطر الرقيق فوق الطل . أو المطر الساكن الدائم القطر كأنه غبار .
 - (٥) ما كان فوق الرذاذ من المطر .
 - (٦) المطر الضخم القطر الشديد .
 - (٧) مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق .

كالوهاد انقشعت وأقلعت^١ وقد غادرت الغدران مترعة برفق ، والقيعان^٢ ناضرة تتألق ، يتضحك بأنوار الزهر الغض حتى إذا هممت بتشبيه منظر حسن رددته إليه ، وإذا تفتت إلى موضع طيب لم يجد في البكاء معولاً إلا عليه . فسرحت طرفي راتماً في احسن منظر ، واستنشقت مزريها أطيب من ريح المسك الأذفر . فقلت لزيميلى : ويحك امض بنا إلى هذه الخيمات ، فلعلنا نلقى من نأثر عنه خيراً ، نرجع به إلى بغداد . فلما انتهينا إلى أوائلها إذا نحن بنجباء على بابه جارية مبرقة بطرف مريض وسان^٣ النظر قد حشي فتوراً ، وملئ سحراً ، فقلت لصاحبي : والله انها لترنو عن مقلة لا رقية لسليهما ولا براء لسقيهما . فقال لي : وكيف السبيل إلى ذلك ؟ فقلت : استسقا ماء . فدنونا منها فاستسقيناهما فقالت : نعم ، ونعما عين وان نزلتما ففي الرحب والسعة . ثم قامت تتهادى كالدهص^٤ الملبد . فراعني والله ما رأيت منها ، فأنت بالماء فشربت منه ، وصببت باقية على يدي ، ثم قلت : وصاحبي عطشان ايضاً . فأخذت الاناء ودخلت الخباء ثم جاءت ، فقلت لصاحبي : تعرض لكشف وجهها . فقال :

إذا بارك الله في ملبس فلا بارك الله في البرقع
تريك عيون المها غرة وتكشف عن منظر أشنع

فمرت مسرعة وأتت وقد كشفت البرقع وتقمعت بنجار اسود وأنشأت وهي تقول :

(١) كفت الساء عن المطر .

(٢) واحدها قاع وهي الارض الحرة الطين لا يخاطها رمل فيشرب مائها .

(٣) فاطر الطرف (ن . ر)

(٤) الكتيب المجتمع من الرمل .

أضلا ولما يعرفا مبتغاهما
هما استسقى ماء على غير ظمأة
يذمان تلباس البراقع ضلّة
ليستمتعا باللحظ من سقاهما
كما ذم تجرا سلعة مشتراهما

قال : فشبهت ، والله ، كلامها بعقد در وهي من سلكه . فهو ينتثر
بنغمة عذبة رخيمة لو خوطبت به الصم الصلاب لانبعجت ماء لרטوبة
منطقها ، وعذوبة لفظها ، بوجه يظلم لنوره ضياء العقول ، ويتلف من
رؤيته مهج النفوس . فهي كما قال :

فرقت وجلت واستكرت فأملت فلو جن انسان من الحسن جنت

فلم أتمالك أن خررت ساجداً ، فقالت : ارفع رأسك غير مأجور ،
ولا تذمن بعدها برفعاً . فكشف البرقع عما يطرد الكرى ، ويشغل
الهوى ، من غير بلوغ أرب ، ولا ادراك طلب . وليس إلا الحين
المسلوب ، والقدر المكتوب ، والأمل المكذوب . فبقيت والله معقول
اللسان عن الجواب ، حيران لا أهتدي إلى طريق الصواب . والتفت إلى
صاحبي لما رأى لهفي فقال : ما هذه الخفة لوجه ، إنما برقت لك بارقة
لملك ما تدري ما تحتها . أما سمعت قول الشاعر ؟ حيث يقول :

على وجه مي مسحة من ملاحه وتحت الثياب العار لو كان باديا

فقلت : بئس ما ذهبت إليه ، لا ابالك ، لأنا أشبه بقول الشاعر
حيث يقول :

منعمة حوراء يجري وشاحها على كشح مرتج الروادف اهضم
خزاعية الأطراف كندية الحشا فزارية العينين طائفة الفم

ثم رفعت ثيابها حتى جاوزت نحرها ، فإذا هي كقضيبة فضة قد
شيب بماء الذهب ، يهتز على مثل كشيبة ؛ ولها صدر كالورد عليه رمانتان
أو حقان من عاج يملآن يد اللامس ؛ وخصر مطوي الاندماج ، يهتز في
كفل رجراج ، لو رمت عقده لانعقد ؛ وسرة مستديرة يقصر وهمي عن
بلوغ وصفها ؛ تحت ذلك أرنب جاثم أو جبهة اسد غادر ، وفخذان
لفاوان^(١) ، وساقان خدجان^(٢) يحرسان الخلاخيل ، وقدمان خصاوان^(٣) .
فقلت : أعار ترى ؟ قلت : لا والله . قال : فخرجت عجوز من الحباء
وقالت : أيها الرجل امض لشأنك ، فإن قتلها مطلول لا يودي^(٤) ،
وأسيرها مكبول^(٥) لا يفدى . فقلت لها الجارية : دعيه فثله قول
ذي الرمة^(٦) :

وإن لم يكن إلا تمتع ساعة قليلاً فإني نافع لي قليلها

فولت العجوز وهي تقول :

-
- (١) مشرقان مكثيان لحماً .
 - (٢) ممتلئان ضخمان .
 - (٣) مرتفع باطنها عن الأرض فلا يسانها .
 - (٤) ليس له دية وهي ما يعطى من المال ببدل نفس القتيل .
 - (٥) مقيد .
 - (٦) لقب غيلان بن عقبة وهو بدوي وكان يتردد على البصرة والكوفة أحب مئة
والحرقاء . وعاصر جرير والفرزدق . وله ديوان يحوي ثلثي لغة العرب .

فمالك منها ، غير أنك ناكح بعينيك عينيها ، فهل ذاك نافع؟

قال : فبيننا نحن كذلك إذ ضرب الطبل للرحيل فانصرفت بكـ
قاتل ، وكرب داخل ، ونفس هائمة ، وحسرة دائمة . فقلت في ذلك :

رسم الكرى بين الجفون مخيل عفا عليه بكا عليك طويل
يا ناظراً ما أقلعت لحظاته حتى تشخص بيتن قتيال
أحلت من قلبي هواه محلة ما حلها المشروب والمأكول
بكمال صورتك التي في مثلها يتحير التشبيه والتمثيل
فوق القصيرة والطويلة فوقها دون السمين ودونها المهزول

قال : فوالله ما انتفعت بحج ولا لقيت أحداً بما كنت تأهبت للقائه .
ثم رجعنا منصرفين ، فلما كنا بذلك المنزل وقد تضاعف نواره ، واعتم^(١)
نبتة ، وتزايد حسنه ، قلت لصاحبي : امض بنا إلى صاحبتنا . فلما
مضينا وأشرفنا على الخيام ونحن دونها ، سترني روضة أريضة^(٢) مونقة ،
عليها جمان^(٣) الطل ، يغازها كالأعين النجل ، وقد أشرقت بدموعها على
قضب الزبرجد^(٤) ، وهبت ريح الصبا فصبت لها الأغصان ، وتمايلت تمايل
النشوان . فصعدنا ربوة ، وتزلنا وهدة ، فإذا هي بين خمس لا تصلح أن

(١) كان غير محكم .

(٢) مخصبة ممجبة للمين .

(٣) هنا شبه حبات الطل بحبات الفضة .

(٤) جوهر معروف وهو من أنواع الزرد ، أو الزرد نفسه . (ن . ر)

تكون خادمة لإحداهن ، وهن يحنين من نوار^(١) ذلك الزهر ، وينقلبن على ما اعتم من عشبه وزهره . فلما رأيننا تقرين ، فسلمنا عليهن . وقالت الجارية من بينهن : وعليك السلام ، ألسن صاحبي آتفاً ؟ قلت : بلى ، ولكن لحي كان ذلك . فقلن لها : أوتعرفينه ؟ قالت : نعم . فقصت عليهن القصة كلها ما كتمت منها حرفاً واحداً . قلن لها : ويحك ، أفا زودته شيئاً ؟ قالت زودته والله موتاً مريحاً ، ولحداً ضريحاً . فانبرت لها أنضرن وجهاً ، وأرقهن خداً ، وأرشفهن قداً ، وأبدعن شكلاً ، وأكلمهن عقلاً ، فقالت : والله ما أجملت بدءاً ، ولا أحسنت عوداً ، ولقد أسأت في الرد ، ولم تكافئيه بالود ، وإني أحسبه إليك وامقاً^(٢) ، وإلى لقائك تائقاً ، فما عليك من إسعافه في هذا المكان ومعك من لا ينم عليك . فقالت لها : ياتمسا إلى ما دعوتني ، والله لا أفعل من ذلك شيئاً أو تفعلينه وتشركيني في حلوه ومره ، وخيره وشره . فقالت لها : تمسا تلك إذا قسمة ضيزى . تمشقين أنت فترهين ، وتوصلين فتقطمين ، ويرغب فيك فترهدين ، ويبذل لك الود فتمنعين الرشد^(٣) ، ثم تأمريني أن أشاركك فيما يكون منك شهوة ولذة ، ومني عناء وسخرة ؟ ما أنصفت في القول ، ولا أجملت في الفعل . قالت اخرى منهن : قد أطلتني الخطاب في غير قضاء أرب ؟ فاسألن الرجل عن قصته وما في نفسه من بقيته ؟ فلعله لغير ما أنتن فيه . فقلن : حياك الله وأقر بك عيناً ، من أنت ، ومن تكون ؟ فقلت : أما الاسم فالحسن بن هانيء الحكمي وأنا من شعراء السلطان الأعظم ومن يتزين بمجلسه ، ويفتخر بحمده وشكره ، ويتقى لسانه . قصدت لتبريد غلة ، وإطفاء لوعة قد أحرقت الكبد ، وأذابت الجسد ، ثم استبطنت الأحشاء فنمت من القرار ، ووصلت الليل

(١) الزهر .

(٢) مجبا .

(٣) العطاء والصلة .

بالنهار . فقالت : لقد أضفت إلى حسن المنطق والمنظر ، كريم الخيم^(١)
والخبير ، وأرجو أن تبلغ أمنيته ، وتسال بغيته . فهل قلت شيئاً في
صوتك ؟ قلت : نعم . قلن : أنشد فأنشدتهن :

حجبت رجاء الفوز بالأجر قاصداً ،

لحط ذنوب من ركوب الكبائر ،

فأبت ، كما آب الشقي بخفه حنين ، فلم اوجر بتلك المشاعر .
دهنتي بعينها ، وبهجة وجهها ، فتاة ، كمثل الشمس أسحر ساحر ؛
منعمة ، لو كان للبدر نورها ، لما طلعت بيض النجوم الزواهر .
فإن بذلت ، نلت الأمانى كلها ، وإن لم تنلني ، زرت أهل المقابر .

فقلن : أحسنت ، والله . ثم قالت : إنها والله ساعتك الطولى ، إن
مألفتني ! قالت : لقد سمعت جوابي . فقالت أخرى : أجيبيها الى ما
دعت من الشركة لئكن إحداكن في الأمر . فقلن : قد انتصفت ، وقد
أطلتن الخطاب على أمر فأمضينه قبل انتشار الحي ، فالوقت ممكن ،
والمكان خال . فأجمعن على ذلك ولست أشك فيما أظهرت ، ثم قلن :
بن تبدأ ؟ قلت اقترعن . فوقعت القرعة على أملحن . فصرت الى باب
المغارة هناك ، فأدخلتني وأبطأت عني قليلاً ، وجعلت أتوق وأنظر إلى
دخول إحداهن . فبينما أنا كذلك ، إذ دخل عليّ أسود كأنه سارية ،
بيده أيره وهو منعظ كمثل ذراع البكر . فقلت : ما تريد ؟ قال :
أنيكك . فأمتني والله نفسي ، فصحت بصاحبي ، وكان أجلد مني ،

(١) السجية والطبع .

فخلصني من الأسود . ولم أكد أخلص منه فخرجت من المغارة فإذا هن ينظرن من الخيمات كأنهن لآل ينحدرن من سلك ، وهن يتضحكن حتى غبن عن بصري . فأسرعنا الرجعة الى رحالنا فقلت لصاحبي : من أين جاء الأسود؟ قال : كان يرعى غنماً عند ربوة من المغارة ، فأومأنا إليه ، فأسرع نحوهم ، فأوحين إليه شيئاً فرأبني ذلك . فأسرعت نحوك فسبقني ودخل عليك ، ولولا ذلك لكان قد تمكن منك الأسود . فقلت : أترأه كان يفعل؟ قال لي : فأنت في شك من هذا؟ فقلت له : اكتم علي . وانصرفت وأنا والله أخزى من ذات النحين^(١) .

★ قال دعبل^(٢) بن علي : بينا أنا سائر بباب الكرج وقد استولى الفكر على قلبي فحضرني بيت شعر خطر به لساني من غير النطق به ، فقلت :

دموع عيني لها انبساط ونوم جفني له انقباض

وإذا جارية معترضة تسمع كلامي فقالت :

وذا قليل لمن دهمته بلحظها الأعين المراض

فلم أعلم أني خاطبت جارية أعذب منها لفظاً ، ولا أسحر طرفاً ، ولا أنضر خدأً ، ولا أحسن مشياً ، ولا أرجح عقلاً . فوددت أن كل جارحة مني عين تنظر ، أو قلب يفهم ، أو أذن تسمع . فقلت :

(١) امرأة كانت تحمل نحين فيها سمن التقي بها رجل فاتك ، فحل رباط النحي الأول وأعطاهما فومته ثم حل رباط النحي الثاني وأمسكها به ثم قال منها بفتيته وهي لا تقدر على ترك النحين خوف اندلاق السمن .
(٢) شاعر أصله من الكوفة . وقد مرَّ ذكره .

أترى الزمان يسرنا بتلاق ويضم مشتاقاً الى مشتاق
ما للزمان يقال فيه وإنما أنت الزمان فسرنا بتلاق

قال : فلحظتها ، وتبعتني . وذلك حين املاقي ، واختلال حالي .
فقلت : مالي إلا منزل صريع الغواني ^(١) ، فأتيت ، واستوقفتها ، ودخلت
إليه . وقلت : ويحك يا مسلم ، أجل لك الحبروجة على الباب تقل له
الدنيا وما فيها من عسر وضيق . قال لي : شكوت إلى ما كدت أبدوك
به الشكوى ، ولكن ائت بها على كل حال . فلما دخلت قال لي : والله
ما أملك إلا هذا المنديل . فقلت له : هو البغية . قال ، فأخذته فبعته
بثلاثين درهماً ، واشتريت خبزاً ولحماً وبييداً . وإذا هما يتنازعان حديثاً
كأنه قطع الروض ذكرت به قول بشار ^(٢) فقلت :

وحديث كأنه قطع الروض وفيه الصفراء والحمر

فقال لي مسلم : بيت نظيف ، ووجه ظريف ، ولا نقل ولا ريحان ؟
اخرج فالتمس لنا ذلك . قال ، فخرجت وجئت بما طلب ، فإذا لا حسن
منها ولا أثر لها ، فجعلت أطيل الذكر ، وأرجم الظن ، حتى إذا جن
عليّ الليل وفي قلبي هيب النيران ، تاب علي عقلي وقلت : لعل الطلب
يوقيني على موضع خفي . فوقفت على باب سرداب وإذا هما قد نزلا

(١) هو مسلم بن الوليد ولد بالكوفة وتوفي في جرجان (٧٤٧ - ٨٢٣) من شعراء
العصر العباسي الأول تقرب من الفضل بن سهل وزير المأمون . وكان كلفاً بالبديع .
(٢) بشار بن برد شاعر أدرك الأمويين ثم اتصل بالعباسيين . رمي بالزندقة .
وكان اعمى متبرماً بالناس يسخر منهم ويحرم .

ومعها جميع ما يحتاجان إليه فأكلا وشربا ونعما . فدليت رأسي وصحت
مسلم ثلاث مرات ، فلم يكلمني بأكثر من أن قال لي : محلنا ، والنفقة
من عندنا ، وأنت فضولي ، ما هذا الذي تقترح ؟ اصبر مكانك حتى يؤذن
لك ، فبقيت طول ليلتي أتقل على حجر الغضا لا أعرف أين أنا . فلما
انشق الصبح إذا به طلع وطلعت الجارية في أثره ، فأسرعت إليه وخرجت
تعدو ولم تخاطبني ، فكانت أعظم حسرة نزلت بي .



(باب ما جاء في الزنا والتحذير من ألم عقابه)

روي عن الاعمش^(١) ، عن سفيان^(٢) ، عن حذيفة^(٣) ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « يا معشر المسلمين اياكم والزنا ، فإن فيه ست خصال : ثلاثاً في الدنيا ، وثلاثاً في الآخرة . فأما التي في الدنيا : فزوال البها ، ودوام الفقر ، وقصر العمر ؛ وأما اللواتي في الآخرة . فسخط الله جل ثناؤه ، وسوء الحساب ، والخلود في النار . »

وعن الحرث بن النعمان قال . سمعت انس^(٤) بن مالك يقول أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « المقيم على الزنا كعابد وثن »

وعن ابي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : ليلة أسرى بي انطلقت بي إلى خلق من خلق الله ونساء معلقات بشدين ومنهن بارجلهن ، منكسات ، ولهن صراخ وخوار . فقلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء اللواتي يزنين ويقتلن اولادهن ، ويجعلن لازواجهن ورثة من غيرهم . »

(١) من أصحاب الروايات ومن أئمة المحدثين .

(٢) سفيان الثوري هو من أئمة المحدثين وعلماء الكلام . لم ييب غضب الخليفة واستقل برأيه . وقيل عنه : إنه لم يكن أعلم منه بالحلال والحرام .

(٣) من المحدثين .

(٤) من الصحابة وكان خادماً للنبي .

وعن ابي الدرداء ^(١) . أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : أن الله عز وجل ليبيض ثلاثة . الشيخ الزاني ، والمُقلُّ المُختال ، والبخيلُ المتَّان .

وعن عمر بن شرحبيل ، عن عبد الله ^(٢) بن مسعود انه قال : قلت : يا رسول الله ، او قال غيري : اي الذنوب اعظم عند الله ؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك . قلت : ثم اي ؟ قال : أن تقتل النفس بغير حق ، قلت : ثم اي ؟ قال : أن تزاني حليلة جارك . قال : ثم انزل الله في كتابه تصديق ذلك . ثم قال : والذين لا يدعون مع الله الها آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون . ومن يفعل ذلك يلق اثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : الزاني بحليلة جاره لا ينظر الله اليه يوم القيامة ولا يزيكه ، ويقول أدخل النار مع الداخلين .

وعن ابي هريرة ^(٣) ، انه سمع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول حين نزلت آية الملائكة : « أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ، ولن يدخلها الله جنته . وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه ، وفضحه على رؤوس الاولين والآخرين . »

(١) أبو الدرداء الخزرجي الأنصاري من شباب الصحابة . وكان من أكبر علماء القرآن . وهو إمام وقاضي دمشق . (ن . ر)
(٢) صحابي كان حجة في القرآن والحديث . وقد ورد ذكره سابقاً .
(٣) صحابي لازم النبي وقد مر ذكره .

★ ذكر الزنا عند يحيى^(١) بن خالد بن برمك فقال : الزنا يجمع الخصال كلها من الشر . لا تجد زانياً معه ورع ، ولا وفاء بمهد ، ولا محافظة على صديق ؛ الصدر شعبة من شعبه ، والخيانة فن من فنونه ، وقلة المروءة عيب من عيوبه ، وسفك الدم الحرام جناية من جناياته .

★ وحكى ابن الأعرابي قال : كان الحرث بن ابي شمر الغساني إذا اعجبته امرأة ووصفت له ، بعث اليها واغضبها نفسها ، فاتاه ابوها فقال له :

يا أيها الملك الخوف أما ترى ليلاً وصباحاً كيف يختلفان
هل تستطيع الشمس أن تأتي بها ليلاً وهل لك بالمليك يدان
فاعلم وأيقن أن ملكك زائل واعلم بأنك ما تدين تدان

وعن عدي بن ثابت قال : سمعت عبد الله^(٢) بن عباس يقول : كان في بني اسرائيل راهب عبدالله زماناً من الدهر ، حتى كان يؤتى بالمجانين يعوذهم فيبرؤون على يديه . وأنه أتى بأمرأة من اشراف قومها قد جنت وكان لها اخوة ، فأتوه بها ، فلم يزل الشيطان يزين له حتى وقع عليها ، فحملت ، فلما استبان حملها ، لم يزل الشيطان يخوفه ويزين له قتلها ودفنها ، فقتلها ودفنها ، وذهب الشيطان في صورة رجل حتى أتى بعض اخوتها فاخبره بالذي فعل الراهب ، ثم أتى بقية اخوتها رجلاً رجلاً فجعل

(١) حكم بلاد أذربيجان ثم أصبح مؤدب ومستشار الرشيد مات سجيناً بعد نكبة البرامكة .

(٢) ابن عم النبي ويسمى أبا العباس . لقب بحجر الأمة . وهو من رواة الحديث المشهورين ناصر علياً ثم والى الأمويين .

الرجل يلقي اخاه فيقول له : والله لقد اتاني آت فذكر لي شيئاً كبيراً علينا . فاخبر بعضهم بعضاً بما قيل لهم ، فاتوا إلى الراهب فقالوا : ما فعلت أختنا؟ قال : خرجت ، ولست أدري اين ذهبت . فرفعوا ذلك إلى ملكهم ، فسار اليه الناس حتى استزلوه من صومعته ، فأقر لهم بالذي فعل ، فأمر به فصلب على خشبة ، وتمثل له الشيطان فقال له : انا الذي زينت لك هذا والقيتك فيه ، فهل انت مطيعي فيما اقول لك وأخلصك؟ قال : نعم . قال : تسجد لي سجدة واحدة فسجد له الرجل ، ثم قتل . فهذا داخل تحت قول الله عز وجل : « كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين . » ولم تزل اشراف العرب في الجاهلية يتجنبون الزنا ويذمونونه ، وينهون عنه .

وروى هشام بن عروة عن اسماء^(١) بنت ابي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، قالت : سمعت زيد بن عمرو بن نفيل في الجاهلية وهو مسند ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش اياكم والزنا ، فانه يرث الفقر . وفي وصية دريد بن الصمة : « اياكم وفضيحة النساء فانها عقوبة غد ، وعار أبد ؛ يكاد صاحبها يعاقب في حرمه بمثلهما ، ولا يزال لازماً ما عاش له عارها .

وحكى بعضهم قال : وفد عبد المطلب^(٢) بن هاشم على بعض ملوك حِمْيَرَ^(٣) فالطف منزلته وأكرمه . وكان تاماً جميلاً ، فقال له الملك : يا أبا الحرث ، أحب أن ينادمني ابنك . فأذن له ابوه في ذلك . وكان

(١) زوجة الزبير بن العوام وقد ورد ذكرها .

(٢) جد النبي وكفيله بعد موت أبيه كان يحرس بئر زمزم ويسمي الحجاج قبل الاسلام .

(٣) شعب قديم في بلاد اليمن .

المهيري اجمل ملوك حمير ، وكانت زوجته اجمل منه . فكان إذا شرب
مع الحرث خرجت زوجته فجلست معها تسقيها ، فعشقت الحرث زوجة
الملك ، فكلفت به ، فراسلته ، فاعلمها انه محصن عن الزنا ولا يخون
نديه . فالت عليه فكتب اليها :

لا تطمعي فيما رأيت فإني عف منادمتي عفيف المتزر
أسعى لأدرك مجد قوم سادة

غمروا فظفن البيت عند المشعر
فإني خيالاً واعلمي أني امرؤ أرّبي بنفسي أن يعير معشري

ثم انه اخبر أباه ، فصوب رأيه وقال له : يا بني إن لنساء الملوك
طفاحا . فلما رأته قد عزفت نفسه عنها قالت : والله لا ادعه تتمتع به
امرأة ابدا . فدست اليه شربة فشرها وارتحل مع ابيه ، فلما قدم مكة
مات فجزع عليه عبد المطلب جزعا شديدا وقال يرثيه :

سقى الإله صدى واريته بيدي بيطن مكة تعفوه الأعاصير
يا حارث الخير قد أورتني شجناً فالقلبي عن ذكراك تغيير
فلست أنساك ما هبت شامية وما بدا علم في الآل معمور

★ ولما قتلت بنو أسد بن خزيمة حجر بن الحرث ابا امرئ القيس
دار في احياء العرب فلم ير منهم ما يجب ، فمضى حتى قدم على هرقل
ملك الروم ، فاقام عنده شهرا فاكرمه وناممه ، وأعجبه كماله وعقله .
ثم بعث معه ستائة من ابناء الملوك ومن تبعهم . ونظرت اليه ابنة الملك

فعمشقتة وارسلت اليه ان يلقاها قبل خروجه ، فجعل يعتذر لها ويعطلها ولا يرضى ان يخون اباه فيها مع ما فعله معه . وخرج منصرفاً إلى بلده فقالت بنت هرقل لابيها : ما صنعت بنفسك وجهت ابناء ملوك الروم مع ابن ملك العرب ؟ لو قد استمكن مما اراد غزاك ونزع ملكك . فوجه اليه الملك بجملة منسوجة بالذهب مسمومة فلما لبسها تنفط جلده ، وتساقط لحمه ، فنظر إلى جبل فسأل عنه ، فقيل له : اسمه عسيب . فقال :

أجارتنا إن المزار قريب واني مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا إنا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب

وقيل انه قال هذا لانه رأى قبراً عند هذا الجبل فسأل عنه فاخبر انه قبر امرأة من بنات ملوك الروم . فمات هناك .
★ ومما فضل به بسطام ^١ بن قيس على عامر ^٢ بن الطفيل وعتبة ^٣ ابن الحرث بن شهاب . ان بسطاما كان فارساً عفيفاً جواداً ؛ وكان عتبة فارساً عفيفاً بخيلاً ؛ وكان عامر فارساً جواداً عاهراً . فاجتمعت في بسطام ثلاث خصال شريفة فبذلك فضلها بسطام .

★ قال الشعبي ^٤ تنافر عامر بن الطفيل بن ملك بن جعفر وعلقمة ابن علاثة بن الاحوص إلى هرم ^٥ بن قطبة بن سنان الذيباني حكيم العرب فقال لعلقمة : بأي شيء انت اسود من عامر ؟ قال : انا بصير ، وهو اعور ، وأنا ابو عشرة وهو عقيم ، وانا عفيف وهو عامر .

(٣٥٢١) من شعراء الجاهلية أشهرهم عامر بن الطفيل فقد كان شاعراً وفارساً مغواراً .
٤) لعله ابو عامر بن شراحبيل فقيه ومحدث .
٥) من حكماء الجاهلية ضرب المثل بجوده .

وإنما اطلقت العرب حديث الرجال إلى النساء لما كانوا يرون من
النقص في الريب ، ويأخذون انفسهم بحفظ الجيران ، وما يعرف بعضهم
من بعض من استعمال الوفاء ، والتحرز من العار . لان الرجل منهم كان
يصون حرمة جاره وصاحبه كصيانة الابنة والاخت والزوجة من حرمه .
لا يرى احد منهم لنفسه رخصة في اضاعه ذلك ، وإنما يتحمل الغدر ،
ويرخص نفسه فيه ، من باين البوادي ، وخالط الحضرة ، لانه رأى
اجناس العبيد ، واخلاق العوام ، وقد نشأوا على عادة فجروا عليها
ولن يستوي من كرم طبعه وصحت بنيتة وترك الفواحش وجانبها
تنزها عنها ولانها محظورة عليه وغير مباحة له . واحب شيء إلى الانسان
ما منع عنه . فتترك الاول طبع ، وترك هذا تكلف . وأما العوام
وأخلاق الناس فلا يكادون يتورعون عن محرم ، ولا يستحيون من عار ،
وهم اكثر العالم غدرأ .

★ قال المسيح ^(١) عليه السلام : لا يزيني طرفك بما غضضت بصرك .

★ ونظر اشعث إلى ابنه يوماً وهو يديم النظر إلى امرأته فقال له يا بني
اظن نظرك اليها قد احبلها . اخذ هذا بعض الشعراء فقال :

ولي نظرة لو كان يجبل ناظر بنظرته أنثى لقد حبلت مني

★ مرت امرأة بقوم من بني ندير فرشقوها بابصارهم واداموا النظر
اليها ، فقالت : قبحك الله يا بني ندير ، فوالله ما أخذتم بقول الله تبارك
وتعالى : « قل للمؤمنين يفضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم . » ولا
بقول الشاعر :

(١) هو عيسى بن مريم نبي الله .

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فخجل القوم بما قالت وأطرقوا .

★ وكان يقال : اربع لا يشبعن من اربع : عينٌ من نظرٍ ، وأذنٌ من خبَرٍ وأرضٌ من مطرٍ ، وأنثى من ذكْرٍ .

★ قال اسحق بن بهيل : رأيت رجلاً في طريق مكة وعديله في المحمل جارية قد شد عينيها وكشف سائر وجهها فقلت له في ذلك ، فقال : إنما اخاف عينيها لآعيون الناس .

★ وكان عند بعض القرشيين امرأة عربية فدخل عليها خصي لزوجها وهي واضعة خمارها تمتشط شعرها ، فحطقت شعرها ، وقالت : لا يصحبنى شعر نظر اليه غير ذي محرم مني .

★ وقال رجل لاعرابي : ما الزنا عندكم ؟ قال : النظرة ، والقبلة . قيل له : ليس هذا الزنا عندنا ! قال : وما هو ؟ قال : ان يجلس بين شعبها الارباع ثم يجهد نفسه . قال : بابي انت ، ليس هذا زانياً هذا طالب ولد !

★ قيل لأبي الطمان العتيبي : اخبرنا عن اقبح ذنوبك ؟ قال : ليلية الدير . قيل : وما ليلية الدير ؟ قال : نزلت على نصرانية فأكلت طفشلاً يلحم خنزير ، وشربت من خمرها ، وزنيت بها ، وسرقت كساءها ، ومضيت .

★ وقال الجاحظ (١) : قرأ قارئاً : « قالت فذلكن الذي لمتني فيه

(١) أبو عثمان الجاحظ . كان ثاقب البصيرة ، متزن العقل ، دقيق التعليل ، حريص الفكر وكان ذا مرح وفكاهة . وهو من أئمة الأدب العربي .

ولقد راودته عن نفسه فاستعصم . « فقال ابراهيم بن عزوان : لا والله ما سمعت بأعدل من هذه الفاسقة ، اما والله لو تمست بي ما استعصمت .

★ بات اعرابي ضيفاً لبعض الحضرة فرأى امرأته ، فهُمَّْ ان يأتي إليها في الليل فنعمه الكلب ؛ ثم اراد ذلك مرة اخرى ، فنعمه ضوء القمر ؛ ثم اراد ذلك في السحر ، فإذا عجوز قائمة تصلي . فلما رأى ذلك قال :

لم يَخْلُقِ اللهُ شَيْئاً كُنْتُ أَبْغُضُهُ غيرَ العجوزِ وغيرِ الكلبِ والقدرِ
هذا يَبُوحُ ، وهذا يُسْتَضَاءُ به ، وهذه سُبْحَةٌ قَوَامَةٌ السَّحْرِ

★ وصف اعرابي رجلاً ماجناً فقال : والله لو ابصرته عيدان القيان لتحركت اوتارها ، ولو رأته مومسة لطار خمارها .

★ وحكى خريدة بن اسماء ، قال : حججنا ، ونحن في رفقة ، إذ نزلنا منزلاً ومعنا امرأة نامت ثم انتبهت وحية على عنقها لاتضرها بشيء ، فلم يجترئ احد منا ان ينحيا عنها ، فلم تزل كذلك حتى ابصرت الحرم فانسابت ومضت عنها ، فحمدنا الله ودخلنا مكة فقضينا نسكنا ، ورأى الغريص^(١) المغني المرأة وقد سمع الحديث وما تحاكاه الناس عنها فقال لها : يا شقية ما فعلت حينك ؟ قالت : في النار . قال : ستعلمين من في النار . قال فضحكت المرأة ولم تفهم ما اراد وارتحلنا منصرفين حتى اذا كنا بالموضع الذي حين نزلناه جاءت الحية حيث انسابت وتطوقت عليها ، فلما تأملت المرأة عرفتها ، ثم صفرت الحية ،

(١) لقب عبد الملك المغني المكي . وهو أحد الحسة الكبار من المغنين العرب . وكان لصوته حنان يأخذ بالقلوب . يحسن العزف على العود والدف والقضيب ،

فإذا الوادي يسيل علينا من جنباته حيات ، فنهشتها حتى بقيت عظاماً ونحن نرى ذلك . ثم انصرفنا جميعاً فقلنا للجارية التي معها : ويحك خبرينا بخبر هذه المرأة ، فقد والله راينا منها عجباً ؟ قالت : نعم بَعَثت ثلاث مرات ، تلد في كل مرة غلاماً ، فاذا وضعت حمت تنوراً ورمته فيه وتكتم خبره . قال : فقلت سبحان الله ما اعجب هذا . وذكرت قول الغريض لها ستعلمين من في النار ، فزادنا ذلك تعجباً منها .

★ قال احمد بن يحيى : كان مرثد ، عم عمرو بن قمية الشاعر ، عنده امرأة جميلة ، وكان قد كبر ، وكان يجمع بني اخيه وبني عمه في منزله للغداء كل يوم . وكان عمرو بن قمية شاباً جميلاً ، وكانت اصبع رجله الوسطى والتي تليها مفترقتين . فخرج مرثد يرمي بالقداح ، فأرسلت امرأته إلى عمرو بن قمية : « ابن عمك يدعوك . » فجاءت به من دبر البيوت ، فلما دخل عليها لم يجد عمه فانكر امرها ، فراودته عن نفسها ، فقال لها : لقد جئت بأمر عظيم ، وما كان مثلي يدعى لمثل هذا ! قالت : لتفعلن ما اقول لك او لأسوأئك . قال : إلى المساء دعوتي ! ثم انه قام فخرج . وامرت بحفنة فكبت على اثر رجله فلما رجع مرثد وجدها متغضبة فقال لها : ما لك ؟ قالت : ان رجلاً من قومك قريب القرابة جاء يستامني نفسي ويريد فراشك منذ خرجت . قال : ومن هو ؟ قالت : اما انا فلا اسميه ، ولكن تم فاقتف اثره تحت الحفنة . فلما رأى الأثر عرفه فاعرض عنه وجفاه ، ولم يزد على ذلك ، وكان اعجب الخلق اليه . وعرف ابن قمية ذلك وكره ان يخبره فقال :

لعمرك ما نفسي بجذ رشيدة	تؤامرني شراً لأصرم مرثدا
عظيم رماه القدر لا متعبس	ولا مؤيس منها إذا هو أخذها
فقد ظهرت منه بوائق جمسة	وافرع في لومي مراراً وأصعدا

على غير ذنب أن أكون جنيته سوى قول باغ جاهد فتهجدا

وبلغت الابيات مرثداً فكشف عن الامر حتى تبين له ، فطلق امرأته
وعاد على ما كان عليه لابن اخيه .

★ و ذكر هشام بن محمد الكلبي ، عن الحصين بن لييد قال : كان
الخطيئة (١) نازلاً في بني المسند من بني ضبة فرأى لبنة بنت قرطة اخت
العلاء ، وكانت فاسدة ، فأعجبته فكلما فأجابته ، فوقع عليها ، فحملت
منه . ثم ارتحل الخطيئة ، فلما بان حملها ، زوجها العلاء بن غالب بن
صعصعة فولدت الفرزدق على فراشه فنسب اليه . ففي ذلك يقول جرير
ابن الخطفي .

كان الخطيئة جار أمك مرة والله يعلم شأن ذاك الجار
لا تفخرون بغالب ومحمد وافخر بعيس يوم كل فخار

قال : وقدم الفرزدق على عمر بن عبد العزيز ، وهو امير المدينة ،
فاكرمه واحسن ضيافته . فبلغه انه زان فأراد ان يختبر ذلك ، فقال لجارية
له : انطقي إلى الفرزدق ، وعمر في حجرة له ينظر ما يصنع الفرزدق ،
فأنته الجارية بالفسل والدهن ، وذهبت لتغسل رأسه ، فوثب عليها
فركضته وقالت : لعنك الله من شيخ . ثم خرجت فأتت عمر فأخبرته
فنفاه من المدينة . وقال جرير .

نفاك الأعز بن عبد العزيز وحقك تنفي من المسجد

(١) من الشعراء المحضرين من بني عيس . كان هجاء مقذعاً وعابساً متهاكاً .

فقال الفرزدق :

فأوعدني وأجلني ثلاثاً كما وعدت بمهلكم ثمود

★ ودخل الفرزدق يوماً على سليمان بن عبد الملك ، وهو خليفة ، فقال : انشدني يا ابا فراس ! فأنشده قصيدته حتى بلغ إلى قوله :

خرجن إلي لم يطمنن قبلي فلن أصح من بيض النعام
فبتن بجاني مصرعات وبت أفض أغلاق الختام

فقال له سليمان : ما اظنك يا ابا فراس الا قد احللت نفسك ، اقررت عندي بالزنا ، وأنا امام ، ولا بد من اقامة الحد عليك . فقال : يا امير المؤمنين ، ما احللت نفسي ان كنت تأخذ بقول الله وتعمل به . قال سليمان : فبقول الله نأخذ عليك الحد . قال الفرزدق : فإن الله يقول : « والشعراء يتبعهم الغاؤون » ، ألم تر انهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون . « وانا ، يا امير المؤمنين ، قلت ما لم افعل . فتبسم سليمان ، وقال : تلافيتها يا ابا فراس ، ودرأت الحد عن نفسك . وخلع عليه ، وامر له بجائزة .

★ قال ابو عبيدة : هوى ابو العباس الاعمى امرأة ذات بعل فراسلها فأعلمت زوجها ، فقال لها : اطعميه . فأطعمته ، ثم قال : ارسلني اليه فليأتك . فارسلت اليه ، فأتاها ، وجلس زوجها إلى جانبها ، فقال لها ابو العباس : انك وصفت لنا فأمسينا . فاخذت يده فجعلتها على اير زوجها وقد انعظ ، فنثر يده وعلم انه قد كيد ، فخرج من عندها وقال :

أنتيك زائراً فوضعت كفي على أير أشد من الحديد
علي أليّة^(١) مادمت حيا امسك طائعا ألا أعود
فخير منك من لا خير فيه وخير من زيارتكم قعود

* وكان بشار الاعمى يرتع ، فبلغ امرأته ذلك ، فعاتبته مراراً فحلف لها . وانها سألت عن المكان الذي يمضي اليه فدلته على امرأة تجمع بين النساء والرجال ، فبذلت لها شيئاً وسألتها اذا جاءها بشار ان تبعث اليها . ففعلت ، وقالت : أبشار قد وقعت اليوم امرأة من اجمل النساء ووصفتها له فطرب اليها ، فلما خلاها وخالطها ضربت يديها في لحيته وشمته ، وقالت : ابن ايمانك الفاجرة ؟ فقال لها : لعنك الله الا تركتني حتى اقصي حاجتي ، فوالله ما رأيت ابرد منك حلالا ، ولا اطيب منك حراماً !!

* قال اسحق^٢ بن ابراهيم : كان مخارق^٣ يهوى «البهار» جارية ام جعفر وشغف بها حتى افضى غايته في حبها . فبينما هو منصرف ذات ليلة من دار المأمون في دجلة ، وقد عمل الشراب فيه ، وام جعفر جالسة في دارها على دجلة اذ رفع عقيرته يغني شعر عباس^٤ بن الاحنف :

إن يمنعوني بمري قرب داركم ، فسوف أنظر من بُعدٍ الى الدار .
ما ضرَّ جيرانكم ، والله يكلؤهم ، لولا شبقائي إقبالي وإدباري .

(١) قَسَم .

(٢) ربما كان اسحق بن ابراهيم الموصلية وقد مر ذكره .

(٣) من مشاهير المغنين في أوائل الدولة العبّاسية تعلم على ابراهيم الموصلية .

(٤) شاعر هارون الرشيد وقد مرّ ذكره .

لا يقدرّون على منعي ، وإن جهدوا

إذا مررت ، وتسليمي بأجماري .

فسمعت أم جعفر صوته فامرت خدامها فصاحوا بملاحة فقدم وصعد
ليها ، فدعت له بكرسي وصينية فيها نبيذ فشرب ، وخلعت عليه وقالت
لجوارها : اضربن معه . فكان أول ما تغنى به :

أغيب عنك بود لا يغيره نأي المحل ولا صرف من الزمن
فإن أعش فلعل الدهر يجمعنا وإن أمت فبطول الشوق والحزن
قد حَسَّنَ الحبُّ في عيني ما صنعت
حتى أرى حسناً ما ليس بالحسن

قال ، فاندفعت « البهار » تباريه في الصوت وتغني :

تعتل بالشغل عنا لا تكلمنا والشغل للقلب ليس الشغل للبدن

فضحكت أم جعفر ، وقالت ، ما رايت ولا سمعت قط بأحسن من
مذا . ووهبت له الجارية فاخذها وانصرف .

★ قال إبراهيم بن الخطيب : حدثني مخارق قال : كنت عند الرشيد
فلما أراد الانصراف قال لي : يا مخسارق بكر علي . فقلت : نعم يا أمير
المؤمنين . فلما أصبحت بكرت أريد ما ذكره ، فاذا جارية راكبة وهي
أحسن الناس عينين في النقاب ، فنظرت إليها ، ونظرت الي ، فلم املك
نفسي وتمسقتها وتبعتها حتى دخلت منزل المعبدي الهاشمي ، فقلت لفلاني :

اذا كان المغرب فصيروا الي ، فاذا كنت في الدنيا خرجت اليكم ، واذا كنت مت فقد قضيت وطراً . قال : واقتحمت ودخلت الدار ، فاذا جماعة مجتمعون وقد احضروا طعاماً فاكلت معهم ، واحضر الشراب ، وغنت الجارية فاذا هي احذق الناس وأطيبهم ، فغنيت ، فقال المعبدي : ما أحسنه وأبهاه ، فمن هو؟ فقال له القوم : ما نعرفه . فقال : ما اظرف هذا يدخل منزلي بغير امري ابغوا الي صاحب الشرطة . وكل ذلك بسمعي ، قالت الجارية : يا مولاي لا تفعل ، لعل له عذراً . فبحياتي هب لي جرمة فقد رحمته ، واحسب ان هذه صناعته . قال : فطابت نفسي فلما خرجت قال لي : يا فتى تغني؟ فقلت : نعم . فغنيت ، فطرب القوم وقال المعبدي : ان كان في الدنيا مخارق فانت هو ! قلت : نعم انا مخارق وحدثته حديثي والسبب في دخول منزله ، فسر وفرح ودعا بدواة وقرطاس واقبل يكتب ويعود اليه الجواب ، ثم وزن مالا ووجه به ، فلما كان بالعشي قال : يا غلام هات تلك العتيدة^(١) : فاحضر عتيدة مملوءة طيباً ، وقال : هات ذلك التخت . فاحضره اياه ، فقال : اتدري ما نحن فيه : قلت : لا . قال : قد اشتريت لك الجارية باربعين الف دينار ، وهذه عتيدة فيها طيب ، وتخت ثياب . فاخذت بيدها وانصرفت بها عروساً ، فلما اصبحت بكرت على الرشيد فقال لي : يا ابن الفاعلة اين كنت؟ فحدثته الحديث فسربه ، وقال : ما توهمت ان في اهلي مثل هذا . وامر من ساعته ان يحمل اليه اربعمون الف دينار .

★ وكان ليوسف بن القاسم ، وهو ابو احمد بن يوسف ، وزير المامون ، غلام اسود متأدب نشأ في الاعراب فهوى جارية لرجل قرشي ، فشكاه القرشي لمولاه ، فضربه وحبسه ، وحلف ان لا يطلقه إلا بعد شفاعة من شكاه ، فقبل له : ويحك اتحبك كما تحبها؟ فقال :

(١) وعاء تجمل فيه العروس ما تحتاج إليه من طيب ومشط ونحوهما .

كلانا سواء في الهوى غير أنها تجلد أحياناً وما بي من تجلد
تخاف وعيد الكاشحين وإنما جنوني عليها حين أنني وأوعد

فبلغ مولاه شعره فقال : وان فيه لهذا الفضل ! فركب من وقته
إلى القرشي فقال له : أسألك ان تبيني هذه الجارية باي ثمن شئت .
فقال : ما افعل حتى اعرف السبب في ذلك . فعرفه الخبر وأنشده البيتين ،
فقال : اشهدك اني قد وهبت له الجارية ، وانا اعطي الله عهدا ان
اخدت لها ثمناً ابداً ، لشفاعتك وادب الغلام . ووجه الجارية معه فدفعها
إلى الغلام .

★ قالوا كان المتوكل^(١) جالساً يوماً في القصر الذي يقال له المختار
إذ مر خادم اسود لفتيحة مبادراً يريد الدخول إلى دار النساء ، فسقط
منه كتاب مختوم ، فأمر من جاءه بالكتاب وفتحته فإذا فيه مكتوب :

أكثرني المحو في الكتاب ومحّه بريق اللسان لا بالبنان
وأمرني الختام فوق ثنايا كالعذاب المفلجات الحسان
إنني كلما مررت بجرف فيه محو لطعته بلساني
فأراها تقبيلة من بعيد أهديت لي وما برحت مكاني

فقال : يا فتح ما ترى ؟ لقد اجترأ علي من كتب هذا الشعر ! علي
بالخادم . فأتى به ، وقد علم الخادم ان الكتاب سقط منه فطار عقله

(١) الخليفة العباسي العاشر . كان متقلباً يتبع مراه اضطهد المعتزلة وعامل
المسيحيين بالعرف .

خوفاً ورعباً ، فقال له : من دفع هذا الكتاب اليك وانت آمن ؟ فإن صدقت نجوت ، وان لم تصدق ضربت عنقك . قال : يا مولاي ان مولاتي فتحة وكيلة يتصرف في امرها من ابناء البرامكة وهو يجب جاريتها نسيم الكاتبة ، وانا اسمى بينها بالكتب التي يتكاتبان بها . فقال له : امض بلا خوف عليك . ثم قام المتوكل فدخل على فتحة وقال لها خذي في امر جاريتك نسيم الكاتبة فاني قد زوجتها من فلان وكيلك وأنقذت عنه عشرة آلاف درهم . وامر باحضار الوكيل فقال له : هل لك في نسيم ؟ فذهب عقله ، وطار قلبه ، وخاف خوفاً شديداً ، فقال له : تكلم وانت آمن ، فقد زوجتك بها ، ومهرتها عشرة آلاف درهم وأمرت لك بعشرة آلاف تولم بها . وسأل فتحة تمجيل زفافها اليه ففعلت .

★ وحكى الهيثم بن عدي ، عن ابن عباس ، قال : كانت عاتكة بنت يزيد بن معاوية تحت عبد الملك بن مروان ، وكان يحد بها ويحبها حباً شديداً ، فغضبت عليه ، فطلب رضاها بكل أمر ، فأبت حتى أضرّ به ذلك وشكا إلى خاصته . فقال له عمر بن الأسدي : مالي إن أَرْضيتها ؟ قال له : حكك . قال ، فخرج فألأها وجلس بين يديها يبكي . فقالت له حاضنتها : مالك يا أبا حفص ؟ قال : قد جئت إلى بنت عمي في أمر مهم عظيم ، فاستأذني لعلها تقضي حاجتي . فقالت : ما بالك ؟ فقال لها : قد عرفت حالي مع أمير المؤمنين عبد الملك ، ولم يكن لي غير ابنين ، فتعدى أحدهما على الآخر فقتله . فقلت : أنا ولي الدم وقد عفوت . فقال أمير المؤمنين : ما أحب أن أعود رعيتي هذا . وهو قاتله بالعداء فنشدتك الله ألا كلمته فيه ، وسألته في إيقائه لي ، فإنك تجمعين في ذلك إحياءه واحياء نفسي . فإنه إن قتلته قتلت نفسي . فقالت : ما اكلمه . فقال لها : ما أظنك تكسين شيئاً أحب من إحياء نفسيين ... وبكى بكاء شديداً : فلم يزل بها صواحبا وخدمها وحاشيتها حتى قالت . علي بثيابي . فلبست ، وكان بينها وبينه باب قد ردمته .

فأمرت بفتحه ثم دخلت . فأقبل أحد الغلمان ففسال : يا أمير المؤمنين هذه عاتكة . قال : ويلك رأيتها ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . وإذا هي قد أقبلت وعبد الملك على سريره . فسلمت ، فسكّت ، فقالت : أما والله لولا مكان عمر بن بلال ما فعلت ، ولا أتيتك والله . إن عدا أحد بنيه على الآخر فقتله ، وهو الولي وقد عفا عنه ، لتقتله ؟ قال : أي والله ، وهو راغم . قالت : أنشدك الله أن لا تفعل . فدنت فأخذت بيده ، فأعرض عنها ، فأخذت أرجله فقبلتها ، فأكبّ عليها وضما إلى نفسه ورفعها إلى سريره ، وقال : قد عفوت عنه . فتراضيا .

وراح عبد الملك فجلس مجلس الخاصة ، فدخل عمر بن بلال ، فقال : يا أبا حفص ألفت الحيلة في القيادة فلك حكك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، ألف دينار ومزرعة بما فيها من الرقيق والآلة . قال : هي لك . قال : ومرابض لولدي وأهل بيتي . قال : وذلك كله لك ... وبلغ عاتكة الخبر فقالت : ويلى على القواد خدعني .

★ وروى أن معاوية بن أبي سفيان ، رحمه الله ، رأى ، كاتباً له يكلم جارية لامرأته ، فاختة بنت قريظة ، في بعض طرُق داره ، فقال له : أتجسبها ؟ قال : أي والله ، يا أمير المؤمنين . قال : اخطبها من فاختة . فنخطبها . وكتّم معاوية فاختة فأجابته ، فزوجها منه ، فدخل معاوية وبين يديه عتيدة من المطر لمرس جاريتها ، فقال : هوني عليك يا بنت قريظة ، إني أحسب الاتفاق كان بعد حين .

★ قال عمر بن شبة : كان الأحنف بن قيس يوماً جالساً مع معاوية ، إذ مرت بها وصيفة فدخلت بيتاً من البيوت ، فقال معاوية : يا أبا بجر ، أنا والله أحب هذه الجارية وقد أمكنتني منها لولا الحياء من مكانك . فقال الأحنف : فأنا أقوم . بل تجلس لثلاث تريب بنا فاطمة . فقال

الأحنف : شأنك . فقام معاوية إليها . فبينما هو يماجنها إذ خرجت بنت قريظة فقالت للأحنف : يا قواد ، أين الفاسق . فأوماً الأحنف إلى البيت الذي هو فيه ، فأخرجته وحيته في يدها ، فقال لها الأحنف : ارفقي بأسيرك ، رحمك الله . فقالت : يا قواد ، وتكلم أيضاً ؟ فقال معاوية : يغلبن انكرام ويغلبهن اللثام .

★ قال ابن شبة : كانت بالمدينة امرأة يقال لها صهباء ، من أحسن الناس : وكانت من هذيل . وكانت رتقاء^(١) . فتزوجها ابن عم لها . فمكثت حيناً لا يقدر عليها لشدة ارتقاقها ، فابغضته بغضاً شديداً ، فطلبت منه الطلاق فطلقها . ثم إنه أصاب أهل المدينة مطر شديد ، في الحريف ، وسيل عظيم . فخرج أهل المدينة ، وخرجت صهباء مع أهلها ، وخرج ابن جحش وأصحاب له للنزهة . فلما انتصف النهار وخلا الوادي ، خرجت صهباء واستنقعت في السيل ، وخرج ابن جحش ولم تشعر به صهباء ، فرآها وأحبها وتمالك عليها . وكان بالمدينة دلالة على النساء يقال لها قطبة . وكانت تداخل القرشيين بنسائهم : فلقبها ابن جحش فسألها عن صهباء فقال : اخطيها علي . قالت : قد خطبها عيسى بن طلحة بن عبيد الله ، وأنعم له بها أهلها ولا أراهم يتخطون عيسى إليك .. فشتها ابن جحش وقال . كل مملوك لي حر لوجه الله إن تحتالي فيها حتى أتزوجها ، لأضربنك ضربة بالسيف . - وكان مقداماً جسوراً - . ففزعت منه فدخلت على صهباء وأهلها ، فتحدثت معهم ، ثم ذكرت ابن عمها ، فقالت لعمة صهباء : ما باله فارقهها ؟ فأخبرتها خبره فأصغت إلى عمتها فقالت لها ، وأسمنت صهباء : أما والله لو كان ابن جحش لنقبها نقب اللؤلؤة . ثم خرجت من عندهم .

(١) رتقاء : ملتصق موضع ختانها فلم تتل .

فأرسلت إليها صبياء ان مري ابن جحش فليخطبني . فلقيت قطبة
ابن جحش فأخبرته الخبر . فخطبها ، فأنعمت له ، وأبى أهلها إلا عيسى
ابن طلحة . وأتت صبياء إلى ابن جحش فتزوجها وأفتضاها من ساعته .
وفيهما يقول :

دار الصبياء الذي لا ينتهي عن ذلها أبداً ولا ينساها
صفراء يطويها الضجيع لطاقه طي الجمائة^(١) ليئناً مئناها
نعم الضجيع إذا النجوم تغورت بالقرب اخراها على اولها .

★ قالوا : كان رجل من تجار أهل المدينة من ذوي النعمة ، في ليلة
من شهر رمضان ، في المسجد يصلي إذ عرض له في منزله بعض الأمر .
فانصرف من التراويح^(٢) فأصاب بابه مفتوحاً ، وإذا رجل مع ابنته في
محلها يتحدثها . فأخذ بيده وذهب به الى منزل ابن أبي عتيق . فدق
عليه ، فأشرف عليه ، فقال : أردت أن أكلمك ، جعلت فداك . قال ،
فانحدر إليه فقال له : إن هذا الفتي وجدته في منزلي على حال كذا . فسألته
فزعم أنه ابنك . فأقبل ابن عتيق فأخذ بيد التاجر فشكره وجزاه
خيراً ، وقال : لن يعود إلى شيء تكرهه أبداً إن شاء الله . فأخذ الفتي
ولكزه وشمته . فلما ولي الرجل قال للفتي : من أنت وبيك ؟ قال :
أنا ابن فلان التاجر وابتليت بابنة هذا التاجر فدخلت عليها هذه الليلة
أتحدث عندها . فما راعني إلا أنه واقف على رأسي . فلم أجد ملجأ إلا

(١) اللؤلؤة .

(٢) واحداً ترويحة « مأخوذة من الراحة » وهي صلاة شهر رمضان سميت به
لاستراحة القوم بعد كل أربع ركعات . وهي عشرون ركعة .

أن اعتزيت إليك ، لما علمت من قدرك وشرفك وكرمك . قال : أخبرني عن الجارية ، أتحبك ؟ قال : نعم . قال : فهل يمكنك أن تأتي بها إلى منزلي هذا ؟ قال : نعم . قال : فعدّها وأت بها . وأمر غلاماً له ، وقال : إذا جاءت المرأة التي يأتيك بها هذا الفتي فادخلها ، واجلس أنت مع الفتي ، وارسل إلى من يعلمني . ففعل الفتي ، وأتى بالجارية إلى المكان . وأرسل إلى ابن أبي عتيق فعرفه . فأرسل إلى أبي الجارية : إنك قد اصطنمت إلى فتاناً يداً ، وقد أحببنا أن نصنع إليك مثل ذلك في فتاتكم .

فادخله عليها ، فلما رآها استرجع ، فقال له ابن أبي عتيق : ما هذا ؟ أهون عليك هذا الأمر واقبل وصية رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حين قال : « الحقوق النساء باكفأهن » . إن هذا الفتي ليس والله بولدي ، ولكن هو قد انتسب إلي لما أدرك من النجاة منك ، وهو فلان بن فلان التاجر ، وهو من نظرنا وأكفأنا . فهل لك أن تزوجه أياها واصدقها عنه من مائة دينار ؟ قال : نعم .

ولم يبرحوا حتى زوجها منه وصدقها وأخرج المهر من عنده ، وسأله التعجيل بزفافها إليه .

وحكي عن ابن أبي ورقاء الجبلي قال : خرجت من الكوفة أريد بغداد . فلما صرت بأول مرحلة نزل غلماننا ففرشوا بسطهم ، وهيئوا غداءهم ، ونزلت . ولم يحمي أحد بعد . فرمانا الطريق بوجع حسن الهيئة ، فاره (١) البرذون (٢) فصمت بالغلان . فأخذوا دابته . ودعوت بالغداء فبسط يده غير محتشم .

(١) نشيط خفيف .

(٢) غير العرواب من الخيل . وتعرف باسم الكديش ، وهذه لفظة دخيلة تطلق على الخيل التي يؤتى بها من بلاد الأتراك والروم .

وجعلت لا أكرمه بشي إلا قبله . وكنا كذلك ساعة ، اذ جاء غلماناه . ثم تناسبنا فقال الرجل : انا طريح بن اسماعيل الثقفي . فلما ارتحلنا كنا في قافلة لا تدرك طرقها . فقال لي طريح : ما حاجتنا الى زحمة الناس ، وليست بنا اليهم وحشة ولا مخافة . فتأخر بنا بعد القوم . فنزلنا إلى جانب نهر مظلل بالشجر فتعدينا ثم قمنا إلى النهر نستقع فيه . فلما نزع ثيابه اذ آثار داهية ^(١) في جنبه يلج فيها الكف ، فوقع في نفسي منه شيء ، فنظر الي وفطن وتبسم ، وقال لي : قد رأيتُ عجباً منك لما رأيتَ ما بي وانا أحدثك حديثه اذا سرنا العشية .

فلما ركبنا قلت له : الحديث ؟ قال : نعم ، قدمت من عند الوليد ابن يزيد بالدنيا وما فيها ، وركبت إلى يوسف بن عمر ، مع قرابتي منه ، فلأ يدي . فخرجت من عنده إلى الطائف . فلما اشتد بي الطريق ، وليس يصحبني فيه خلق ، عن لي اعرابي على قموذ ^(٢) له ، وهو حسن الحديث قد روى الشعر ، وانشدني لنفسه . فقلت له : من اين أقبلت ؟ قال : لا ادري والله . قلت : فالى اين يمت ؟ قال : لا ادري والله . قال ، فقلت : ما قصتك ؟ فقال : انا عاشق يجارية من قومي ، قد أفسدت عيشتي وتلفت ، فانا استريح بأن انحدر في الطريق مع منحدره ، واصعد مع مصعديه . قال ، فقلت له : واين هي ؟ قال : غداً تنزل بازائها . واخذ يحدثني بحديثه معها . فلما جئنا الى الموضع قال لي : انزل ذلك المكان فانها عنده منقطعة . فادركتني أريجية الحدائة ، واخذت منه علامة ما بينها ، وقصدت حيث اشار لي . فإذا بيت جديد على الطريق ، واذا امرأة جميلة حديثة ظريفة . فذكرته لها ووريت رسالته وأمارته . فزفرت زفرة كادت تتفتت اضلاعها ، وقالت : أوّ حياً هو ؟ قلت :

(١) المصيبة .

(٢) البكر من الابل حتى يثني أو التي تستعمل في كل حاجة .

نعم تركته في رحلي وراء هذا الجبل ونحن بايتون ومصطبحون^(١) .
 قالت : فاني ارى لك وجها يدل على الخير ، فهل لك في الاجر ؟
 فقلت : فقير اليه . قالت : فالبس ثيابي وادخل في اريكتي ودعني حتى
 آتية . فانك تحيي نفسين ، وتغنم اجراً عظيماً . قلت : افعل ما تريدن .
 قالت : انك اذا اصبحت اناك زوجي في هجمته فقال يا فاجرة ،
 فاوسعك شتماً ، فاوسع صمتاً ولا تجعل انك سمعته فانه يقول في آخر
 كلامه : اقمي^(٢) سقاك يا عدوة . فضع المقمع في هذا السقاء الآخر فانه
 منخرق . قال : ومضت . فجاء زوجها ففعل ما قالت . وقال اقمي
 سقاك فحبيبي الله ان تركت الصحيح وقعت الواهي ، فما شعر إلا واللبن
 يتسبب^(٣) بين رجليه . فعدا إلى زاوية البيت فتناول حبلاً ثم ثناه على
 اثنين فصار على ثمان ، فجعل لا يتقي به رأساً ولا وجهاً ولا جنباً
 فخشيت ان يبدو له وجهي فالزمته الارض ، فعمل يجني وظهري ما
 ترى ، ومضى عني .

فلما كان الصباح جاءت فرأت ما حل بي من الشر فاكبت علي وقال :
 بابي احببت نفسي بقتل نفسك . ودخلت تعتذر وتتلطف لما بي ، وتدعو
 لي وتتضرع . فاخذت ثيابي وانصرفت ولا يعدل ظفرهما عندي شيء .
 (قد قدمنا في اخبار قيس بن ذريح كيف كان سبب تطليقه لبني
 وندمه عليها) ثم ساءت حاله ، وتلف عقله ، واشتد مرضه ، واشرف
 على حتفه . فقال اهله : لوزوجتموها اياه ليس منها ، وسلا عنها . فخطبها
 رجل من قريش وحكم اباها في المهر . فزوجه اياها ، فحملها معه إلى
 المدينة . فقال قيس :

(١) مسرجون : أي متهينون للرحيل .
 (٢) أزيلتي قمعه ، وهو ما يوضع على فم الإناء فتصب فيه السوائل .
 (٣) يسيل .

وقالوا تَرَاهَا فَتَنَّةٌ كُنْتَ قَبْلَهَا بخيرٍ ، فلا تَتَدَمَّ عَلَيْهَا وَطَلَّقِ
فَلَيْتَ ، وَوَيْدُ اللَّهِ ، أَنِّي عَصَيْتَهُمْ فَأَنْبَتَ فِي رِضْوَانِهَا كُلَّ مَوْثِقِ
وَكَلَّفْتُ خَوْضَ النَّارِ سَبْعِينَ حِجَّةً وَكُنْتُ عَلَى أَثْبَاجِ^(١) الْبَحْرِ مَغْرَقِ
كَأَنِّي أَرَى النَّاسَ الْمُقِيمِينَ بَعْدَهَا نُقَاعَةَ مَاءِ الْخَنْظَلِ الْمُتَعَلِّفِ^(٢)
وَتَكَرَّهُ عَيْنِي بَعْدَهَا كُلَّ مَنْظَرٍ وَيَكْرَهُ سَمْعِي بَعْدَهَا كُلَّ مَنْطِقِ .

قال : وخرج أبي عتيق يريد العمرة . فزل بجي قيس بن ذريح فسألهم عنه ، فقال : دلوني عليه . فدلوه فلما رآه قيس أقبل عليه ورحب به وقال : من أنت ، حياك الله وعافاك ؟ قال ، فانتسب له ابن عتيق وقال له : بين حديثك لي تجدني معينا لك على امرك ان شاء الله . فاستحى قيس من ذلك وامتنع ساعة ، ثم جعل يحدثه حتى بلغ الى خبر القرشي . فقال : يا هذا ، اني خرجت من منزلي أريد العمرة التاسا للثواب . وقد عزمت ، عندما سمعت ، ان اترك ما خرجت اليه فارجع معك احتسابا للأجر ؛ فبكر فامض معي ايها الرجل ، واكتم شأنك ، ولا يعلم احد من اهلك . فحمله معه وأقبل راجعا نحو المدينة فاستقبله اهله واخوانه يسألونه عن سبب رجوعه . فجعل يعتذر وهو يقول لهم : عاقني عن ذلك عائق . واخفى قيسا في منزله اياما ثم سأل عن منزل القرشي فدل عليه . فبعث مولاة له عجوزا إلى ابني تخبرها بقيس وبما صار له من عشقها . فقالت : يعز علي ، وما حيلتي له . اطاع اباه وفارقني في غير جرم . وقد صرت الآن عند غيره ولا سبيل لي على نفسي . وان كبدي عليه لحرا ، وان عيني لغبرا مذ

(٤) أثباج : واحدا ثبج ؛ وثبج البحر معظمه .

(٢) النقاعة : ما يحصل في الماء الذي ينقع فيه شيء . الخنظل : نبات ثمره كالبطيخ لكنه اصفر وهو مر الطعم .

فارقتة وانها لما علمت بمكانه اشد ولها حتى انكر زوجها شأنها فسألها عن خبرها وهل رأت شيئاً تنكره . فجعلت لا تجيب جواباً . وجعل يمتذر اليها ، فقال لها : ما أراك إلا ذكرت قيساً . فقالت له : هيات وابن انا من قيس ، وابن قيس مني ؟ ألهُ عن هذا الحديث .

قال :

وبلغت المعجوز ابن ابي عتيق ما سمعت من لبني فقال لها : هودي اليها فقولي لها : ان كنت على العهد فانك ستصلين إلى ما تريدن . قالت : اي والله لا ازال على عهده مقيمة او يفارق روحي جسدي ؛ ولا اكافئه بسوء فعل كان منه اليّ .

قال :

واقبل ابن ابي عتيق ومعه جماعة من اشراف قريش وغيرهم حتى اتوا منزل القرشي زوج لبني فأكبر مجيئهم . فقالوا : انا جئناك في حاجة ولا سبيل الى ردنا عنها . قال لهم : قضيت حاجتكم . قال ابن عتيق : كائنة ما كانت ؟ قال له : نعم . قال فإن حاجتنا ان نجعل امر لبني في يدي . قال القرشي : وهل رأيت احداً سأل مثل هذا ؟ قال : فهي حاجتنا ، وقد جئت اليها . قال : فإني قد فعلت . قال : فيشهدون عليك ان امرها في يدي ؟ قال : نعم . قال ابن عتيق : فاشهدوا انها طالق ثلاثاً . قال : قد اجزت :

قال :

فما برحوا حتى نقلها ابن ابي عتيق إلى منزله . فلما انقضت عدتها زوجها من قيس واصدق عنه وجهها بأحسن جهاز ، وحمها معه إلى منزله . فما لبثت عنده إلا يسيراً حتى نهشته الافعى - كما قدمنا في حديثه فمات وماتت بعد .

(مكذرا رواه احمد بن ابي طاهر . ولست ادري صحة هذا الحديث ،
لأنا كنا قدمنا في حديثه ما يخالف هذا من انه لم يتزوج بها ثانياً) .

★ حكى الهيثم بن عدي ، عن الكلبي قال : كان ملك النعمان بن
المنذر أربعين سنة لم ير منه في ملكه سقطة غير هذه :

وذلك انه ركب يوماً فنظر الى امرأة خارجة من الكنيسة فاعجبه
جمالها وحسنها وهيتها فقال : علي بعدي بن زيد ، وكان كاتبه وخاصته -
فقال له : يا عدي ، قد رأيت امرأة لئن لم اظفر بها انه هو الموت .
فلا بد في ان تتلطف في الجمع بيني وبينها . قال : ومن هي ؟ قال :
قد سألت عنها فقيل لي امرأة حكم بن عوف ، رجل من اشراف اهل
الحيرة . قال : فهل اعلمت بذلك احداً ؟ قال : لا فاكتمه ، فاذا
اصبحت فجد بكل كرامة لزيك ، يريد حكم بن عوف . فلما أذن
للناس بدأ به وأكرمه واجلسه معه على سريره . فاعجب الناس حاله ،
وتحدثوا به . فلما امسى فاذن للناس بدأ به فاكرمه واجلسه معه وكساه
وجله . ففعل به ذلك اياماً . ثم قال له عدي : ايها الملك عندك عشر
نسوة فطلق اقلهن عندك منزلة ثم قل له فليتزوجها . ففعل . فلما دخل
عليه قال له : يا حكم اني قد طلقت فلانة لك فتزوجها . فقال حكم لعدي :
ما صنع الملك بأحد ما صنع بي ولا ادري بما اكافئه ؟ فقال له عدي
طلق امرأتك كما طلق امرأته . ففعل . وحظي عدي بها عند الملك :
وعلم الرجل انه مكر به في امرأته . وفيها يقول بعض اهل الحيرة :

ما في البرية من انثى تعادها إلا التي أخذ النعمان من حكم

★ وحدث الزبير : انه كان فقي من عنزة يقال له عمرو بن عود ،
وكان عاشقاً لجارية من قومه تسمى ريا بنت الركين . فتزوجها رجل

منهم يقال له دهم . فابت ربا إلا حب عمرو بن عود ، و ابي إلا حبها
وقول الشعر فيها ، والوجد بها حتى اتى اليمن فنزل في بني الحارث بن
كعب فطلبها عمرو ، فخفي عليه امرها ولم يعلم لها خبرا ولا موضعا .
فمكث حيناً لما به ، يبكي له من عرفه ، لولاه وشدة ما اصابه . فخرج
به اهله الى مكة لعله يتعلق باستار الكعبة عسى ان يرحمه ربه ويذهب
ما في قلبه من حبها . فلما كان بمنى نظر اليه فتى من بني الحارث بن
كعب فتعجب مما به ، وجلس يتحدث معه ، وسأله عن حاله ، فشكى
اليه عمرو وجده بها ، وانشد ما قال فيها ، فرق له الفتى ورحمه .
وسأله عن صفتها وصفة زوجها . فوصفها له . فقال له الفتى : عندي
خبر هذه المرأة وهذا الرجل منذ سنين قليلة . فخر عمرو ساجدا ثم
سأله عن حالها ، فاخبره انها سالمة وانها باكية حزينة لا يهينها شيء من
العيش . قال عمرو : فهل لك في صنيفة عندي ؟ فقال له الفتى : اذن
افعل ما بدا لك . قال : تتخلف عن اصحابك ، واتخلف عن اصحابي
حتى لا يكون عند احد منهم علم . ثم امضى معك متنكراً حتى تخفيني
في موضع ؟ ثم تعلمها بكافي . فقال الفتى : لك ذلك في عنقي .

فلما كان السفر ، تخلف كل واحد منهما عن اصحابه . فجهد اصحاب
عمرو أن لا يتخلف وان يمضوا به فأبى عليهم فودعوه ومضوا . ثم
مضيا حتى وصل به الفتى فادخله مع اخته وامراته في سترهما . ومضى
الى ربا فاخبرها . فكانت تجيء اليه كل يوم فيشكوان ما كانا فيه من
البلاء ، ويتحدثان . فاستراب زوجها غشيانها ذلك البيت . ولم تكن
تغشاه ولا تعرف اهله ، واستراب ايضاً تطيب نفسها وانها ليست كما
كانت . وخرجت رفقة له الى حران فاخبرها انه خارج معها . فخرج
واقام ليلتين مختلفياً في موضع . واقبل راجعاً في الليلة الثالثة ، وقد
امناه وظننا انه قد خرج ، فاتى عمرو الى ربا فبسطت له بساطاً قدام البيت

وتحدثنا حتى غلبها النوم ، وهي مضطجعة الى جانب البساط وعمرو الى الجانب الآخر . واقبل الرجل حتى وجدها على تلك الحال . فنظر في وجه عمرو ، فانتبه فزعاً . فقال له : ويلك يا عمرو ، وما ينجيني منك بر ولا بحر ! فقال : يا ابن عمي ، ما انا والله على ريبة ، ولا يسألني الله عن اهلك عن قبيح ؛ ولكن نشأت انا وهي والفتها ونحن صبيان ، ولست استطيع عنها صبرا ، وما بيننا اكثر من هذا الحديث الذي ترى . قال : اما انا فلم اهرب الى هذا البلد إلا منك .

فانصرفا راجعين وهي معها حتى قدما على وطنها ، فأقاما بعده بيسير .

★ حكى سنة بن عقال ، عن الشعبي ^(١) قال : حدثني رجل من بني اسد ، قال : اني لذات يوم في الحي اذ اقبل فتى نظيف الثوب ، حسن الوجه ، حتى وقف بي ، فقال : يا فتى ، هل نزل بك حي من بني عذرة ؟ قال ، قلت : نعم ، وتيك بيوتهم . قال : وهل احسست لي بكرة صفتها كذا وكذا ؟ قال ، قلت : لا . فنزل ثم قال : أنت منشدتها لي في ابيات الحي ؟ قال فخرجت وانا انشدها حتى مررت بالبيوت وانا انشد . فقالت لي جارية : عند الائمة . فاشرفت على الائمة فلم ار شيئاً فاخبرته ، فاخرج سفرة معه ودعاني فاكلنا ، ثم نام . وجملت أراعيه حتى ظن اني قد نمت . فاخرج من رحله فلبسها ، ثم اشتمل على سيفه وخرج حتى اتى الائمة وانا اتبعه من حيث لا يراني . فاذا بها قاعدة كأنها مهرة عربية . فسلم عليها وسلمت عليه ثم قال لها : يا بثينة قلت فيك كذا ، ولقيت فيك كذا .

ولم يزل يحدثها وينشدها ، وتحدثه حتى اذا كان في السحر وضع

(١) هو ابو عامر بن شراحيل علامة الكوفة ، محدث ومستشار . (٦٤٢-٧٢٣)

رأسه في حجرها فنام ساعة . فلم يشعر إلا بالفجر قد برق . فقالت :
مَ يا جميل ، لا يفضحنا الصبح .

قال : فرجعت مبادراً حتى رميت بنفسي في الرحل . وجاء
فايقظني ، ثم عمد الى ثوب من ثيابه فكسانيه ، فلم يزل جميل يغشاني
في كل نهار وليل ، فاطير الى الحي وآتيه فأخذ ميعاد بثينة الى موضع
يجمعان فيه ويتحدثان الى ان فطن بعض الحي بامري . فقالت لي
بثينة . انج بنفسك ، فان الحي قد شعروا بك ، وقل لجميل موعداك
« وسكن البطن ^(١) » . واتيته فاخبرته ، فمضى وانقطع عني خبره .

★ وروي عن يحيى بن خالد بن برمك قال : كنت اهوى جارتي
دنانير ، وهي لمولاتها زهراء ، فلما وضع المهدي الرشيد في حجرني
اشتريتها ؛ فلم اسر بشيء من الدنيا مثل سروري بها وبملكها ، فما لبثت
إلا يسيراً حتى وجه المهدي ابنه الرشيد غازياً الى بلد الروم ، فخرجت
معه ، فعظم علي فراقها ، فأقبلت لا اتنها بطعام ولا شراب صباية بها
وذكرها لها . فانا ليلة في مضربي ، وقد اصابني برد شديد وثلج كثير ،
وانا اتقلب علي فراشي اذكر الجارية ، اذ سمعت غناء خفياً وصوت
عود بالقرب مني . فانكرت ذلك وجلست علي فراشي فاشجاني الصوت
من غير ان افهم حتى ابكاني . فقامت ، ولم اوقظ احداً من العسكر ،
حتى انتهيت إلى خيمة صغيرة من خيام الجند ، فإذا فيها سراج ،
فدنوت منها ، فإذا فتى جالس ، واذا بين يديه ركوة فيها شراب وفي
حجره عود يضرب عليه ويتغنى بهذا الصوت :

ألا يا لقومي أطلقوا غلَّ مُرْمَنَ
ومثوا على مستشعر الهم والحزن .

(١) موضع خارج المدينة .

ألم ترها بيضاء ، روداً شبابها لطيفة طي البطن كالشادن الأغن^(١)

قال : فكلما غنى بيتاً بكى وتناول قدحاً فصب فيه من ذلك الشراب ، وشرب ، ثم يعود الى مثل ذلك .

قال : فأقمت طويلاً ارى ما يفعل وابي لبكائه ، ثم سلمت فرد سلام ، واستأذنت فاذن لي فدخلت ، فلما رأني اجلني واوسع لي . فقلت : يا فتى خبرني بخبرك ، وما انت فيه ، وما سبب هذا البكاء ؟ قال : انا فتى من الانباء^(٢) ، لي ابنة عم قد نشأنا جميعاً فعلقتها وعلقنتي ، ثم بلغنا فحجبت عني ، فسألت عمي ليزوجنيها فأجاب ، فكثت حيناً احتال لمهرها حتى تهبأ فاديته ، فدخلت بها ، فلما أن كان يوم سابعها ضرب علي البعث وخرجت وبني من الشوق اليها ما لا اجده ، فحملت معي هذا العود ، فإذا اصبت شراباً في بعض هذه القرى اخذت منه شيئاً ، ثم افعل ما ترى تذكراً اليها .

فقلت : فهل تعرفني ؟ فانكرني ، فما ادري اتعهداً ام حقيقة .

قال فقلت له : انا يحيى بن خالد . فلما قلت له ذلك نهض قائماً . فقلت : اجلس ، فاذا كان غداً فالقني ، فهذا مضربي بالقرب منك ، فاني اصير منك الى ما تحب .

قال : ووافق ذلك رسولاً قد هبأناه الى المدينة ، فما كان اسرع شيء حتى دنا الصبح وتهيأ الناس للرحيل ، فاول من لقيني ذلك الفتى ،

(١) الرود : اللين . طي البطن : الحصر أو الكشح . الشادن الأغن : ولد الظبية المدرك أو المصوت .

(٢) قوم من المعجم سكنوا اليمن . (ن . ر)

فأثبت وجهه وقلت له : من انت ، وفي قيادة من انت ؟ فخبرتني ، فضيت حتى دخلت على الرشيد ومعي المؤتمرات ، فكنت أمرها على سمعة من عنوان يكون له فيها ، فقلت وفقى من الانباء فلان بن فلان يطلق سراحه ويعطى عشرة الاف درهم معونة له ويصحب فلاناً الرسول . ففعل ذلك وانصرف إلى اهله .

★ وحكى ابراهيم بن اسحاق الموصلي^(١) ، عن ابي السائب الخزومي قال : تعشق العرجي^(٢) امرأة من قريش فجعلني رسولاً اليها ، فاتيتها برسالة واخذت موعدها لزيارته إلى موضع سماه ، ثم بكرت انا فانت على أتان ومعها جاريتها ، وجاء على حمار ومع غلام . فتحدثنا ساعة ثم قتت عنها ، فوثب عليها ، ووثب الغلام على الجارية ، والحمار على الاتان ، وقعدت اسمع النخير^(٣) من كل ناحية .

قال ، فقال لي العرجي : يا ابا السائب ، هذا يوم غابت عواذله . قال ابو السائب : فما لي حسبة ارجو ثوابها رجائي لذلك اليوم وثوابه . ★ وقال : كان عمر بن ابي ربيعة يتعشق امرأة يقال لها اسماء ، فوعده ان يزورها ، فتنها لذلك يوماً فابطأت عليه ، فنام ، فلم يلبث ان جاءت ومعها جارية ، فضربت الباب فلم يستيقظ ، فانصرفت وحلفت ان لا تأتيه حولا . فقال عمر فيها قصيدته التي اولها :

ظَلَّ لَيْلِي وَتَعَنَّي الطَّرْبُ وَاعْتَرَانِي طَوْلُ هَمٍّ وَنَصَبُ

(١) المفضي المعروف ابن اسحاق من مفضي العصر العباسي الاول .
(٢) شاعر عربي ينسب الى العرج قرية قرب في نواحي الطائف وهي اول تهامة .
(٣) النخير : مد الصوت والنفس في الخيانتهم .

أشهد الرّحمانَ لا يَجْمَعُنا سقْفُ بيتِ رَجَباً حتّى رَجَبٌ^(١)
فَبَعَثنا طَبَّةً عالِمةً تخلطُ الجَدَّ مراراً باللعب^(٢)
ترفعُ الصوتَ إذا لانت لها وتراخي عند سورات الغضب
فأجابت نافتى وابتسمت عن منيف اللون صافٍ كالثُغْب^(٣)

فلما سمع ابن ابي عتيق هذه الابيات قال له الناس في طلب امام
مثل قيادتك هذه منذ قتل علي ، فما يقدرون عليه .

★ قال حماد الراوية^٤ : استنشدني الوليد بن يزيد شعراً كثيراً فما
استعادي إلا هذه الابيات . وقال لي : يا حماد اطلب لي مثل هذه
وارسلها الى سلمى .

★ ويروي عن حماد قال : اتيت مكة فجلست الى جماعة في حلقة
فيها عمر بن ابي ربيعة المخزومي ، وإذا هم يتذكرون العذريين وعشقمهم
وصياتهم ، قال عمر : احديثكم عن بعض ، وذلك : انه كان لي خليل
من بني عذرة ، وكان مشتهراً بحديث النساء فيتشبه بهن وينشد فيهن ،
على انه لا عاهر الخلوّة ولا سريع السلوة وكان يوافي الموسم في كل
سنة ، فإذا ابطأ ترجمت له الاخبار وولفت له الاشعار حتى يقدم
فيتحدث حديث محزون كئيب . وانه راث - اي ابطأ عني خبره -
ذات سنة ، حتى قدم وفد عذرة ، فاتيت القوم وانا انشد عن صاحبي

(١) رَجَباً : استحياء . رجب : الشهر العربي السابع من الشهور القمرية .

(١) الطبة : الحافقة الماهرة بعملها .

(٣) الثُغْب : الغدير في ظل جبل لا تصيبه الشمس فيبرد ماؤه .

(٤) أحد رواة الشعر المشهورين عند العرب .

وإذا غلام قد تنفس الصعداء ثم قال : عن ابي المسهر تسل ؟ قلت : نعم
عنه سألت . قال : هيهات هيهات اصبح والله ابو المسهر لا ميؤوسا
فيهمل ولا مرجوآ فيعمل ؛ اصبح والله كما قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا حَيَّي لَأَسْمَاءُ تَارِكِي صَحِيحاً وَلَا أَقْضِي بِهِ فَأَمُوتُ

قلت له : وما الذي به ؟ قال لي : هو ميت موله ! قلت : ومن
انت يا ابن اخي ؟ قال : انا اخوه . قلت وما يمنعك ان تركب طريق
اخيك الذي ركبه ، وتسلك مسلكه . ألا إنك واخاك كالوشي والنجار
لا ترفعه ولا يرفعك .

ثم انصرف وانا اقول :

أرأيت حجاج عذرة روحةً ولما يرح في القوم جعد بن مهجع
خيلانٍ نشكو ما نلّاق من الهوى متى ما يقل أسمع ، وإن قال يسمع
فلا يُبعدنك الله خلاً ، فإنني سألقى كما لاقيت في الحب مصرعي

فلما كان في العمام الآتي وقفت في الموضع الذي كنا نقف فيه
بمعرفات ، فاذا شاب قد اقبل وقد تغير لونه ، وساءت هيئته فما عرفته
إلا بناقته ، فاقبل حتى اعتنقني وجعل يبكي . قلت : ما هذا وما
دهاك وما غالك ؟ قال برح الغرام وطول السقام . واخذ يشكو الي
فقلت : يا ابا مسهر ، انها ساعة عظيمة ، فلو دعوت الله كنت تظفر
بجأجتك . فجعل يدعو حتى اذا بدت الشمس للغروب وهم الناس ان
يفيضوا ، سمته بهم بشيء ، فاصغيت اليه مستمعا فجعل يقول :

يا ربُّ كلِّ غدوةٍ وروحَةٍ
من نَحْرَمٍ بعد الضحى واللوحَةِ
أنت حسيب الخُطب يوم الموحَةِ .

قلت : يا اخي ، وما الدوحة ؟ قال سأخبرك ان شاء الله . فلما قضينا حجبنا واحللنا قلت له : حدثني بخبرك ! قال : نعم ، أعطك أني امرؤ ذو مال كثير من نعمٍ وشاءٍ ، واني خشيت على مالي التلف فأتيت اخوالي فاوسعوا لي عن صدر المجلس فكنت في عز اخوالي ، فخرجت يوماً الى مالي وهو بيعض مياهمم ، وركبت فرسي ، وعلقت معي شراباً أهدي الي . فانطلقت حتى اذا كنت بين الحي ومرعى النعَم رفعت لي دوحة عظيمة فقلت : لو نزلت تحت هذه الشجرة وتروحت مبرداً ! فنزلت وشدت فرسي بفصن من اغصانها ، ثم جلست وقدمت شرابي ، فاذا بفبار قد سطع من ناحية الحي فبدت لي ثلاث شخص ، واذا فارس يطرد عنزاً واثاناً ، فلما قرب مني اذا عليه درع اصفر وعمامة خز سوداء ، واذا فروع شعره تنال كعبه . فقلت في نفسي : غلام حديث السن راكب على فرس اعجلته لذة الصيد ، فأخذ ثوب امرأته ونسي ثوبه . فما لبث ان لحق بالعنز قطعنه ثم عطف على الاثان فقتلها ، ثم قال :

نظعنهم سلكاً ومخلوجة كرك الامين على نائل^(١) .

فقلت له : إنك قد تعبت واتعبت فرسك ، فلو نزلت . فثنى رحله ،

(١) السلك : من السلكى وهي الطعنة المستقيمة تلقاه الوجه . المخلوجة : الطعنة التي تذهب ينة ويسرة .

وشد فرسه بغصن من اغصان الشجرة ، ثم اقبل حتى جلس قريباً مني
فجعل يحدثني حديثاً كأنه الدر ، ذكرت به قول الشاعر :

وإن حديثاً منك لو تبذلينه جنى النحل في ألبان عود مطافل^(١)

قال ، فيينا هو كذلك اذ نقر بالسوط على ثنيته ، فرأيت والله خلل
السوط بينها فما ملكت نفسي ان قبضت على السوط وقلت : اخاف
ان تكسرهما فانها رقيقان . وقال : وهما مع ذلك عذبتان . قال ،
ثم رفع عقيرته وجعل يغني :

إذا قَبَّلَ الانسانَ مِنْ يُجْبَهُ ثنـايـاه لم يأثم وكان له أجرا
فإن زاد زاد الله في حسناته مثاقيلَ يحو الله عنه بها وزرا

ثم قال لي : ما هذا الذي علقت على سرجك ؟ قلت : شراب اهداه
الي بعض اهلي ، فهل لك فيه ؟ قال : وما اكره منه ؟ فاتيت به
فوضعت بين يديه . فلما شرب منه نظرت إلى عينيه كأنها عينا هاة
قد اضلت ولداً فاذعرما قانص . فعلم نظري فرفع عقيرته وجعل يغني .

إنَّ العيونَ التي في طَرْفِها حَوْرَ قتلنا ثم لم يحين قتلانا
يَصْرَعْنَ ذا اللب حتى لا حراك به وهنَّ أضعفُ خلقِ الله إنسانا .

قلت له : من اين لك هذا الشعر ؟ قال : وقع رجل منا باليامة
فانشدني .

قال ، ثم قت لاصح شيئاً من امر فرسي ، فرجعت وقد حسر العمامة

عن رأسه ، فإذا غلام كأنما وجهه الشمس حسناً ، فقلت : سبحانك اللهم ما اعظم قدرتك ، واجل صنعك . قال : فكيف ؟ قلت له : مما راغني من نورك وبهرني من جمالك . قال : وما الذي يروعك من رهن تراب ورزق دواب ثم لا تدري أينعمُ بعد ذلك ام لا ؟ قلت : بل يصنع الله بك خيراً ان شاء الله .

ثم اقبل على فرسه ؛ فلما اقبل برقت لي بارقة من الدرع ، فإذا ندي كأنه حق ، فقلت : نشدتك الله امرأة ؟ قالت : أي والله امرأة تكره العهر وتحب الغزل . فقلت : وانا والله كذلك . فجلست والله تحدثني ما أفقدُ من أنسها شيئاً حتى مالت على الدوحة سكرى ، فاستحسنت ، والله يا ابن ابي ربيعة ، الغدر ، وزين في عيني ، ثم ان الله عصمني . فما لبثت أن انتبهت مرعوبة ، فلاثت عمامتها برأسها واخذت رمحها وجالت في متن فرسها ، فقلت : زوديني منك زاداً . فاعطتني ثوباً من ثيابها ، فشممت منه كالروض المطور . ثم اني قلت : اين الموعد ؟ فقالت : إن لي اخوة شوساً واباً غيوراً ؛ والله لأن أسرك أحب اليّ من ان أضرك .

قال ، ثم مضت فكان والله آخر العهد بها إلى يومي هذا . فهي التي بلغت بي هذا المبلغ ، واحلنتني هذا المحل . قلت له : والله يا ابا المسهر ، والله ما كان يحسن الغدر إلا بك . فإذا به قد اخضلت لحيته بدموعه باكياً . فقلت : والله ما قلت هذا إلا مازحاً . ودخلتني له رقة . فلما انقضى الموسم شددت على ناقتي وشدت وحملت غلاماً لي على بعير وحملت عليه قبه آدم^(١) حمراء كانت لابي ربيعة ، واخذت معي الف دينار ومطرفاً^(٢) ثم خرجنا حتى اتينا كلباً فسألناه عن الشيخ فإذا هو في

(١) الجلد .

(٢) رداء من الخبز فز اعلام .

نادي قومه ، فسلمت فقال : وعليك السلام ، من انت ؟ قلت : عمر بن ابي ربيعة المخزومي . قال : المعرف غير المنكر ؟ فما الذي جاء بك ؟ قلت : خاطباً . قال : انت الكفاء الذي لا يرغب عن حسبه ، والرجل الذي لا يُردّ عن حاجته . قالت له : اني لم آتكَ عن نفسي ، وان كنت موضع الرغبة ، ولكن اتيتكم في ابن اخيكم العذري . وقال : والله انه لكفاء الحسب ، غير ان بناتي لا يقعن إلا في هذا الحي من قريش . فعرف الجزع في نفسي وتبين له في وجهي ، وقال : انا اصنع لك شيئاً لا اصنعه لغيرك . قلت : ما هو ؟ قال : اخبرها لانك انت تختار لغيرك . فأوماً اليّ صاحبي ان امره أن يخبرها . فقلت : افعل . ثم مضى الشيخ . وقد اتى وقال لي انها قالت : ان الامر امرك والرأي للقرشي يختار لي ما رأى . فحمدت الله عز وجل وصليت على نبيه ، صلى الله عليه وسلم وقلت : قد زوجت الجارية يمحمد بن مهجع ، واصدقتها الف دينار ، وهي هذه ، وجعلت كرامتها الغلام والبعير والقبة وكسوت الشيخ المطرف فقبله ، وسألته ان يبني بها من ليلته ، فاجابني إلى ذلك . وضربت القبة في وسط الحي واهدت اليه ليلاً . وبت عند الشيخ خير مبيت . فلما اصبحت غدوت فقممت بباب القبة ، فخرج الي ، فقلت له : كيف كنت بعدي ؟ وكيف هي ؟ فقال : ابدت لي كثيراً مما اخفت يوم رأيتها . فقلت : عليك اهلك ، بارك الله لك فيهم . وانطلقت إلى اهلي وانا أقول :

كفّيتُ أخي العذريّ ما قد أصابه ومثلي لأثقالِ النوائبِ أحمل
أما استحسنست مني المكارمِ انها إذا عرضت إني أقول وأفعل .

★ وحكى المدايني : ان رجلاً من بني عقيل كان يسمى صخرًا ، وكانت له ابنة عم تدعى ليلي ، فكان بينها حب مبرح ولم يكن احدهما

يصبر عن الآخر ساعة واحدة ، وكان لها مكان يجتمعان فيه للحديث في كل ليلة . ثم ان ابا صخر زوج صخرأ لأمرأة من الازد ، وصخر لذلك كاره ؛ فلما بلغ ايلي الخبر قطعته ، فمرض مرضاً شديداً . فكان اهله يقولون سحرته ليلى ، لما كانوا يرونه يصنع بنفسه . وكانت ليلى اشد وجداً به وحباً له . فارسلت جاريتها اليه وقالت لها : اذهبي إلى مكاننا وانظري هل تري صخرأ ، فاذا رأيته فقولي له :

تَعْساً لِمَنْ بَغِيرُ ذَنْبٍ يَصْرُمُ قَدْ كُنْتَ ، يَا صَخْرَ ، زَمَاناً تَزْعُمُ
إِنَّكَ مَشْغُوفٌ بِنَا مَقِيمٍ حَتَّى بَدَا مِنْكَ لَنَا الْمَجْمُومُ^(١)

قال : فأتته الجارية فابلغته قولها ، ووجدته كالشن البالي وجدأ وحزناً ، فقال : قولي لها :

فَهَمْتُ الَّذِي عَبَّرْتِ ، وَاللَّهُ شَاهِدٌ لَمَّا كَانَ عَنْ رَأْيِي وَلَا كَانَ عَنْ أَمْرِي
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ سُمِّيتُ صَخْرَأً فَإِنِّي لِأَضْعَفُ عَنْ حَمْلِ الْقَلِيلِ مِنَ الْهَجْرِ
وَلَسْتُ ، وَرَبُّ الْبَيْتِ ، أَبْغِي سِوَاكُمْ
حَبِيباً وَلَوْ عَشْنَا إِلَى مَلْتَقَى الْحَشْرِ .

فقالت له الجارية : يا صخر ، ان كنت كارهاً لتزويج ابيك لك فاجعل امر إمرأتك بيدي لتعلم ليلى انك لغيرها قال ولعدها راع ، وانك مكرها . قال : قد فعلت . قالت : فهي طالق منك ثلاثاً . واخبرت ليلى ، فظهرت من ذلك جزعاً وتراجعا إلى ما كانا عليه من

(١) المجمع : الخفي .

اللقاء ، والجارية تختلف بينها . ولم يُظهر صخر طلاق امرأته حتى قال له ابوه : يا صخر ألا تبتني باهلك ؟ قال : وكيف وقد بانت مني في عين حلفت بها . فاعلم ابوه اهل المرأة فقالت المرأة تهجو ليلى :

ألا بُلِّغَا عني عقيلاً رسالةً ، فما لعقيل من حياءٍ ولا فضل :
نساؤكم شر النساء ، وأنتم كذلك ، إن الفرع مجري على الأصل .
أما فيكم حُرٌّ يَغَارُ باخْتِه ؟ وما خير حر لا يغار على الأهل !

قال ، وهجتها ليلى حتى شاع خبرها ، وسعت الجارية إلى اهل صخر واهل ليلى وما هما عليه ، وانها يخاف عليها من لؤم الفعل . ولم تزل حتى جمعت بينها وتزوجها .

★ وحكى الاصمعي قال : خرج المهدي حاجاً ، حتى اذا كنا ببعض الطريق ، اذا اعراي يقول : يا امير المؤمنين ، جعلني الله فداك ، انا عاشق . - وكان المهدي يجب ذكر العشاق وحديثهم - موكل به بعض الغلمان . فلما نزل امر باحضاره ، قال : انت المتادي ؟ قال : نعم ، يا امير المؤمنين . قال له : ما اسمك ؟ قال : ابو ميثاس . قال امير المؤمنين : من عشيقتك ؟ قال له : ابنة عمي ، وقد ابى علي ابوها ان يزوجنيها . قال : لعله اكثر منك مالا ؟ قال : انا اكثر منه مالا ! قال له : فما قستك ؟ قال له : ادن رأسك مني . فجعل المهدي يضحك ، واصفى اليه برأسه . قال له : اني هجين . قال له : ليس يضرك ذلك اخو امير المؤمنين واكثر اولاده هجناه ! ثم قال له واين عمك ؟ قال له : على ثلاثة اميال .

قال : فارسل امير المؤمنين في طلبه فجيء به فقال له : مالك لا

تزوج ابامياس ، فاني ارى عليه نعمة ؟ قال : متاع سوء ، وليس مثلي
يزوج مثله .^{٣٣} قال : فان الذي كرهت ليس مما يعاب به عندنا ، وانا
معط صدق ابنتك عشرة آلاف درهم ، ومعوضك مما ذكرت عشرة
آلاف درهم ! قال : فذلك لك ! قال فخرج ابو مياس وهو يقول :

واتبعت ظبية بالغلاء وإنما يعطي الغلاء لمثلها أمثالي
وتركت أسواق القباح لأهلها إن القباح وإن رخصن غوالي .

★ قال سعيد الصغير : كان المنتصر بالله ^(١) في أيام إمارته وجهني الى
مصر في بعض امور السلطان ، فاعترضت عند بعض النخاسين جارية
تامة المحاسن حاذقة بالغناء . فابى مولاها ان يأخذ مني إلا الف دينار .
ولم تكن تحضرني ، ولا وجدت ان اقرضها ، وازعجني الشخص ، وقد
علقها قلبي ، واخذني المقيم المقعد من حبها . فلما قدمت الى المنتصر
وعرفته ما بعثني فيه ؟ سألتني عن حالي وخبري . فاخبرته بمكان الجارية
وكلفي بها ، وقصتي مع مولاها . فاعرض عني وصار ما بي يزداد . ولم
املك صبراً . وجعل المنتصر ، كلما دخلت وخرجت من عنده ، يذكرها
ويهيج اشواق اليها ، ويميرني بقلة الصبر عنها . وكان قد امر ابن
الخصيب ان يكتب الى مصر في سراها وحملها اليه من حيث لا اعلم
ولا ادري .

فلما سارت اليه ، وعرضت عليه امرها ، ففنت وعذرتني ، فامر
قيمة جواريه فاصلحت من شأنها . فلما ذهب عنها ألم السفر استجلسني
بروماً وهو على فراشه . فلما غنى جواريه كانت آخرهن . فلما سمعتها

(١) الخليفة العباسي الحادي عشر مات مسموماً بعد مبايعته بستة أشهر .

عرفتها وكرهت ان اعلمه حتى ظهر علي ما كتمت ، وغلب علي الصبر ، فقال لي : ما لك ياسعيد ؟ قلت : خيراً ايها الامير !

قال ، فاقترح عليها صوتاً كنت اعلمته اني سمعته منها فاستحسنه من غنائها ، فغنته ، فقال : هل تعرف هذا الصوت ؟ قلت : إي والله ايها الامير ، فما تكون المعرفة وقد كنت اطمع في صاحبتة ! فاما الآن فقد يئست منها وكنت كقاتل نفسه بيده ، وجالب حنقه الي حياته . قال : والله ياسعيد ما اشتريتها إلا لك ، وما يعلم الله اني رأيت لها وجهاً الا الساعة التي ادخلت علي ، وانا تركتها حتى استراحت من تعب السير ، وهي لك .. فأكبيت علي رجله ، ودعوت له بما امكنني من الدعاء ؛ وشكره عني من حضر من الجلساء ، وامر بها فحملت الي منزلي . فما احد احظى عندي منها ، ولا لي ولد احب من ولدها .

من احاديث المؤلفين

من احاديث المؤلفين :

★ ما حكاه ابو الحسن المدائني ، قال : كان بمكة سفيه يجمع بين النساء والرجال علي اقبح الريب ؛ وكان من قريش ، ولم يذكر اسمه ، قال : فشكا اهل مكة ذلك الي الوالي فنفاه الي عرفات . فأخذ بها منزلاً ، ودخل مكة مستتراً . فلقي حرفاءه من الرجال والنساء فقال لهم : وماذا يمنعكم مني ؟ قالوا له : واين بك وانت بعرفات ! قال لهم : حمار بدرهمين وقد صرتم الي الأمن والنزهة والحلوة واللذة . . قالوا : نشهد بأنك صادق . فكانوا يأتونه ، فكثرت ذلك حتى افسد علي اهل مكة احداثهم وسفاههم ، فعادوا بالشكاية علي اميرهم ، فارسل وراهه ، فاتي

به فقال : اي عدو الله ، طردتك من حرم الله عز وجل فصرت الى المشعر الاعظم تفسد وتجمع بين الخبائث !! فقال : اصلح الله الامير يكذبون علي ويحسدونني . فقالوا للوالي : بيننا وبينه واحدة تجمع حمير المكارين وترسلها نحو عرفات ، فان قصدت داره لما اعتادت من السير اليها ، فالقول كما قلنا ، وإلا فالقول كما قال ... فقال الوالي : ان في ذلك دليلا . وامر بحمير المكارين فجمعت ثم ارسلت فقصدت نحو منزله ، وجاءه بذلك امناؤه . فامر بتجريده . فلما نظر الى السياط بكى ، فقال له : ما يبكيك يا عدو الله ؟ قال : والله ، اصلح الله الامير ، ما من الضرب جزعت ، ولكن يسخر منا اهل العراق ويقولون إن اهل مكة يحيزون شهادة الحمير . فضحك الوالي وامر بتخليته .

★ قال المدايني : كان يزيد يسبق الحجاج في كل عام الى الحج ، وكان يأتي إلى المدينة في ثلاثة أيام على راحلته . فتأخر مرة عن وقته الذي كان يجيء فيه لعله أصابته ، وكان لامرأته صديق صوَّاف . فلما تأخر ظن الصوَّاف أنه قد مات فأقام عندها ولم يبرح ، وجاء يزيد فدخل على الوالي فأخبره ودنا إلى منزله . فلما رأى أنه قرب من الباب تطلع من كوة وإذا الصوَّاف مع امرأته في البيت ، فلم يستفتح ، فمضى إلى الخنثين فدعاهم ، فأتوا معه ، فوقفوا على بابه ، وأمرهم فضربوا طبولهم وزمروا ، فاجتمع الناس من كل ناحية ، فأقبلوا يقولون له : يا أبا اسحق ، أشيء حدث ؟ فيقول لهم : تزوجت امرأتي . فقالوا له : ما بك : وما هذه القصة ؟ فلم يخبرهم بشيء . فوقف الصوَّاف خلف الباب وقال : يا أبا اسحاق أذن أكلمك . فدنا منه فقال : إتق الله في الفضيحة ، وأنا أفتدي منك . فقال له : أردد علي مهرها ونفقتي عليها فقد أفسدتها . قال : وكم ذلك ؟ قال : خمسون دينارا . فكتب رقعة إلى غلامه في السوق فبعث بها من قبض المال وجاء به . فقال : أي بني تفرقوا . إنما

كنت أمزح . فقتع رأس الصواف وأنزله ، وقعد مع امرأته وسكت .
 ★ قال أبو عثمان الجاحظ : كان عندنا بالبصرة مخنث يجمع بين
 الرجال والنساء في منزله . وكان بعض المهالبة يتعشق غلاماً . فلم يزل
 المخنث يتلطف له حتى أوقعه . قال : فلقيته من غد ، وقد بلغني الخبر ،
 فقلت له : كيف كانت وقعة الجعرانة ، فقد بلغني خبرها ؟ قال : لما
 تدانى الأقدام وقع الالتزام ، ورق الكلام ، والتفتت الساق بالساق ،
 ولطخ باطنها بالبصاق ، وجعلت الرماح تمور ، وقرع البيض بالذكور ،
 وشفيت حرارات الصدور ، ومال كل واحد فأصيبت مقاتل كل هجر ،
 وانعقد الوصل واتصل الجبل . فلو كان أعد هذا الكلام لمسألتي قبل ذلك
 بدهر كان قد أجاد وملح .

★ وحكى محمد بن سلام ، عن يونس ، قال : حج سليمان بن عبد
 الملك فاشتري حباية بألف دينار ، وكان اسمها العالية ، فلما رحل بها
 قال الحرث بن خالد الخزومي :

ظَعَنَ الأميرُ بأحسنِ الخَلْقِ وغدا بليلى مطلعُ الشرقِ
 وَبَدَتْ لنا من تحتِ كِلْتها كالشمسِ أو كغمامةِ البرقِ

قال : وبلغ خبرها يزيد بن عبد الملك فقال : لقد همت أن أحجر
 على سليمان . فبلغ سليمان ذلك فاتقاه وردها على مولاها ، فاشتراها رجل
 من أهل مصر من مولاها بأربعة آلاف دينار ورحل بها إلى مصر ،
 وكانت في نفس سليمان إلى أن ولي الخلافة . فقالت له يوماً سعدى بنت عبد
 الله بن عمر بن عثمان زوجته : يا أمير المؤمنين ، هل بقي في نفسك شيء
 تتمناه ؟ قال : نعم ، حباية . فأرسلت سعدى رجلاً إلى مصر فاشتراها
 بخمسة آلاف دينار وسار بها إلى سعدى ، فاستأذنت سليمان أن تنتزه في

بستانه بالغوطة ، وأن يزورها إذا استزارته . فأذن لها ، فصيّغت حباية وهياتها وأعلمتها بمكانها من قلب سليمان ، وضربت له قبة وشي وفرشتها . ثم أرسلت إلى سليمان تستزيه ، فزارها . وقد أجلست حباية وراء سرير وقالت له : يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك شيء تتمناه ؟ قال : نعم ، حباية . قالت : يا أمير المؤمنين إني قد أخذت لك جارية ذكرت أنها قد أخذت عن حباية ، فهل لك أن تسمعها ؟ فقال : إن شئت . قالت : غني بإجارية . فغنت سليمان صوتاً كان سليمان قد سمعه منها بالمدينة .

قال ، فلما سمعه قال : حباية ورب الكعبة . فقالت : هي حباية ، ولك اشتريتها ، فشأنك بها . فقامت وانصرفت وختلتها ، فكان سليمان لا يزال يشكر سعدى على ذلك .

★ وذكر أبو عبيدة^(١) معمر بن المثنى : أن علياً عليه السلام ولى زياداً فارساً حين أخرج منها سهل بن حنيف فضرب بعضهم ببعض حتى غلب عليها ، وما زال يتنقل في كورها حتى أصلح أمر فارس . ثم ولاه على اصطخر^(٢) ، وكان معاوية يتهدده ، ثم أخذ بشر بن أرطاة^(٣) ابنته وكتب إليه يقسم عليه ليقتلها إن لم يدخل في طاعة معاوية . وتوفي علي عليه السلام ، فكتب معاوية يدعوه إلى طاعته وأن يقره على عمله ويستخلفه إذا كان أبو مريم السلولي شهد عنده أنه جمع بين أبي سفيان وسمية في الجاهلية على الزنا . وكانت سمية من الزانيات بالطائف تؤدي الضريبة إلى الحرث بن كلدة^(٤) . وكانت تنزل بموضع ينزل فيه البغايا

(١) كان شعوبياً ذم الأهل . ولد في البصرة من أصل يهودي . روى الكثير من أخبار العرب ،

(٢) مدينة في إيران .

(٣) أحد ولاة معاوية .

(٤) عاش في الجاهلية ومن أطباها .

بالطائف . فقال له : كره ترك المشورة من العي . فشاور زياد المغيرة بن
شعبة قال : إرم الغرض الأقصى ودع عنك الفضول ، فإن هذا الأمر
لا يمد أحد إليه يداً إلا الحسن بن علي . وقد بايع لمعاوية ، فخذ
لنفسك ، وانقل أصلك إلى أصله ، وصل حبلك بحبله ، وأعر الناس منك
أذنًا صماء ، وعينًا عمياء . فقال له زياد : يا ابن شعبة ، لقد قلت قولاً
لا يكون غرسه في غير منبته ، لا أصل يغذيه ولا ماء يسقيه . وعزم على
ذلك ، وقبل رأي المغيرة ، وقدم على معاوية . فأرسلت إليه جويرية ،
عن أمر معاوية ، فأتاها ودنت له وكشفت شعرها بين يديه وقالت :
أنت أخي ، أخبرني بذلك أبي .

ثم أخرجه معاوية إلى المسجد وجمع الناس ، فقام أبو مريم السلولي
فقال : أشهد أن أبا سفيان قدم علينا بالطائف ، وأنا خمار في الجاهلية ،
فقال : ابغني بغيًا فأتيته فقلت له : لم أجد إلا سمية جارية الحرث بن
كلدة ! فقال : إئتني بها على ذفرها^٥ ، وقذرها . فقال زياد مهلاً ، إنما
بعثت شاهداً ولم تبعث شامئاً . فقال أبو مريم : لو كنتم أبغضتموني كان
أحب إلي ، فما شهدت إلا بما عاينت ورأيت ، فوالله لقد أخذ بكم^٦
درعها وأغلق الباب عليها ، وقعدت ، فلم ألبث أن خرج علي يمسح
جبينه ، فقلت : مه يا أبا سفيان ؟ فقال : ما أصبت مثلها يا أبا مريم ، لولا
استرخاء من ثديها وذفر مرفقيها . فقال زياد : أيها الناس ، هذا الشاهد
قد ذكر ما سمعتم ، ولست أدري حتى ذلك من باطله ، ومعاوية والشهود
أعلم بما قالوا . فقام يونس بن الثقفي فقال : يا معاوية ، قضى رسول الله ،
صلى الله عليه وسلم ، بالولد للفراش ؛ وشهادة أبي مريم على زنا أبي سفيان .
فقال معاوية : والله يا يونس لتنتهين أو لأطيرن بك طيرة يطيب وقوعها ، هل
إلا إلى الله أقم ، قال : نعم ، فاستغفر الله . فقال ابن مفرغ ، ويقال

(١) تنتها وراحتها . (ن . ر)

أنا لعبد الرحمن بن أم الحكم ونحلها ابن مفرع :

ألا أبلغ معاوية بن صخرٍ مُغْلَغَلَةً عَلَى الرَّجُلِ الْيَمَانِي
أَتَغَضَّبُ أَنْ يُقَالَ: أَبُوكَ عَفٌّ وَتَرْضَى أَنْ يُقَالَ: أَبُوكَ زَانٍ
فأشهد أن آلك من زيادٍ كآل الغيل من وُلْدِ الْأَثَانِ

★ وروى الهيثم بن عدي ، أن الحسن بن علي تزوج حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وكان المنذر بن الزبير يهواها ، فبلغ الحسن عنها شيئاً أنكره فطلقها ، فخطبها المنذر فأبت أن تتزوجه ، وخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجته ، فرمى إليه المنذر بن الزبير عنها شيئاً فطلقها ، وخطبها المنذر فأبت أن تتزوجه فدرس لها امرأة من قريش ، فأتها فتحدثت معها ثم ذكرت لها المنذر ، وأعلمتها أنه قد شهر بحبها ، فقالت : قد خطبني فأليت أن لا أتزوجه . قالت : ولم ذلك ؟ فوالله إنه لفتى قريش وشريفها وابن شريفها . قالت : شهرني وفضحني ! قالت لها : والآن ينبغي أن تتزوجه ليعلم الناس أن كلامه كان باطلا . فوقع في نفسها كلامها ، وجاءت المرأة إلى المنذر فقالت : اخطبها فقد أصلحت لك قلبها . فخطبها فتزوجته ، فعلم الناس أنه كان يكذب عليها .

وكان في نفس الحسن منها شيء ، وكان إنما طلقها لما أبلغه عنها الزبير . فقال الحسن يوماً لابن أبي عتيق : هل لك في العميق ؟ قال : نعم . فعدل الحسن إلى منزل حفصة فدخل عليها ، فتحدثا طويلاً ، ثم خرج ، ثم قال لابن أبي عتيق يوماً آخر : هل لك في العميق يا ابن أبي عتيق ؟ فقال له : ألا تقول هل لك في حفصة فتصير إليها على علم ، وأسعى لك منها فيما تحب ؟! فقال الحسن : استغفر الله .

★ وُروى أن عبد الله بن أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، تزوج عاتكة بنت زيد بن عمر بن نقييل فمشقها وأحبها حباً شديداً حتى منعه عن حضور الصلوات في جماعة . فأمره أبو بكر ، رضي الله عنه . بطلاقها ، ففارقها ، فوجد عليها وجداً عظيماً ، فأمره أن يراجعها ، فراجعها وكانت عنده حتى توفي عنها . وكان قد أخذ عليها يمينا أن لا تتزوج بعده ، فجاءها عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، فأفتاها أن تنكح ، فقالت : لست أقبل في هذا كلامك وحدك . - لأنه قد بلغها أنه يريد أن يتزوجها - فجاءت بعلي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فأفتاها بذلك ، فخطبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتزوجته ، فبعث إليها بعشرين ديناراً كفّرت بها عن يمينها ، ثم توفي عنها فخطبها طلحة ابن عبيد الله ، فلقى الزبير بن العوام هناد بن الأسود ، وكان لهناد امرأة كانت صديقة لعاتكة فقال له الزبير : ما أنا عنك براض حتى تزوجني عاتكة بنت زيد . قال ، فحلف هناد لامرأته إن هي لم تزوج الزبير لعاتكة ليجلدنها مائة جلدة . فانطلقت امرأة هناد لعاتكة ، وكانت عندها حتى آتاها رسول طلحة بن عبيد الله فقالت له : فديتك ومن يردّ طلحة لقدمه وشرفه وسخائه ؟ ولكن ردي رسوله اليوم فإنه سيزيدك ضعفاً ما أراد أن يعطيك . فردته ، فقالت امرأة هناد لهناد : إلقِ طلحة فقل له : أما تستحي أن عاتكة ردتك وحلفت أن لا تتزوجك ؟ ففعل ذلك ، فقال طلحة : لا أتزوجها أبداً . فأمرت الزبير أن يرسل إليها ، فجاءها رسوله وهي عندها فقالت لها امرأة هناد : قد بلغك ما في حق الزبير من الشدة ؛ أما والله لو تزوجته ثم غلبت عليه ليكون لك بذلك الشرف في نساء قريش .

ثم لم تزل بها حتى تزوجت الزبير . وسنذكر بقية خبرها بعد هذا إن شاء الله .

★ قال اسحق بن ابراهيم الموصلي : كان ابن زهير المدايني مخشاً ، وكان يؤلف بين الرجال والنساء ، وكانت له قبة خضراء وكان قتيان قريش يقولون من يدخل قبة ابن زهير لم يصنع في الفتوة شيئاً .

قال : فواعد رجل صديقة له إلى قبة ابن زهير فجاءت بعد العتمة ، وجاء الرجل ، فتمشياً ، فقالت المرأة : أشتهي نبيذاً . فقال صاحبها لابن زهير : اطلب لنا نبيذاً . قال : من أين لنا النبيذ في هذه الساعة؟! قال : لا بدت منه . فلما ألح عليه عمد إلى حضض فضربه بماء وصيره في قنينة ثم جاءه به فقال : والله ما وجدنا غير هذا فصب الرجل منه في قدح فذاقه فوجده مرأً فكره أن يعيبه فيكرمه إليها فشرب ثم صب فسقاما . فلما صار في بطنه تحرك . فقال لابن زهير : أين المخرج ، فصعد إلى أن حركها بطنها فصعدت إلى أن تحرك بطنه فصعد ، فلم يزالا كذلك ليلتها . فقال ابن زهير : امرأته طالق إن كان التقيا إلا على الدرجة حتى أصبعا مما يختلفان ، وجاء الصبح ولم يقضيا حاجة لأنها يطلبان النبيذ في منزل ابن زهير القواد بعد العتمة .

★ وكان جميل أيضاً لما اشتهر في بئنة توعده أهلها ، فكان يأتيها سراً فجمعوا له جميعاً يرصدونه ، فقالت بئنة : يا جميل ، احذر القوم . فاستخفى وقال في ذلك :

ولو أنّ ألفاً دون بئنة كلّمهم غياري وكلّ حاربٍ مُزْمِعٌ قتلي ؟
لحاولتها ، إما نهاراً مجاهراً ، وإما سرى ليلٍ وإن قطعوا رجلي .

فالتقى جميل وكثير فشكا كل واحد منها إلى صاحبه أنه محصور لا يقدر أن يزور . فقال جميل لكثير : أنا رسولك إلى عزّة . قال : فأتهم فأنشدهم ثلاث نوق سود مررن بالقاع ، ثم احفظ ما يُقال .

لاك . قال فأناهم جميل ينشدم فقالت له جاريتها : لقد رأينا ثلاثاً سوداً
مررن ، عهدي بين تحت الطلحة^١ فانصرف حتى أتى كثير فأخبره . فأقاما ،
فلما نَصَفَ الليل أتيا الطلحة فإذا عزة وصاحبة لها . فتحدثا طويلاً ،
وجعل كثير يرى عزة تنظر إلى جميل . وكان جميل جميلاً وكان كثير دميماً
فغضب كثير وغار ، وقال لجميل : انطلق بنا قبل أن نصبح . فانطلقا : ثم
قال كثير لجميل : متى عهدك ببثينة ؟ قال في أول الصيف ، وقعت سحابة
بأسفل وادي الدوم^٢ فخرجت معها جارية ترخص^٣ ثياباً .

قال ، فخرج كثير حتى أناخ بآل بثينة فقالوا : يا كثير حدثنا كيف
قلت لزوج عزة حين أمرها بسبك قال كثير : خرجنا نرمي الجمار
فوجدني قد اجتمع الناس بي فطالمني زوجها ، فسمع مني انشاداً ، فقال
لعزة : اشميه . فقالت : ما أراك إلا تريد أن تفضحني ! فألح وحلف
عليها ، فقالت مكرهمة : المنشد يمضُ بظر أمه : فقلت :

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلحت .

فقالت بثينة : أحسنت يا كثير . وقلت أبياتاً لعزة أعاتبها فيهن وأنشدتها :

فقلتُ لها يا عزُّ أرسل صاحبي على بُعد دار والموكلُ مرسلُ
بان تجعلي بيني وبينك موعداً وأن تأمريني بالذي فيه أفعلُ

(١) شجر الطلح وهو نوع من شجر العضاه . أو الطلع .

(٢) لعله الدام وهو موضع وقد قال جرير : يا حبذا الخرج بين الدام والأدمى .

(٣) تليّن وتنعّم .

وآخرُ عهدٍ منك يوم لقيتكم بأسفل وادي الدوم والثوب يُغسلُ.

فقالت بثينة : يا جارية ، أبغنا حطباً من الدومات لنذبح لكثير غريضاً^(١) من البهم : فراح إلى جميل فأخبره .

ثم إن بثينة قالت لبنات خالتها ، وكانت اطمانت إليهن وتطلعن على حديثها : أخرجن بنا إلى الدومات فإن جميلاً مع كثير ، وقد وعدته . فخرج جميل وكثير حتى أتيا الدومات ، وجاءت بثينة وصواحبها . فما برحن حتى برق الصبح . وكان كثير يقول : ما رأيت مجلساً قط أحسن من ذلك المجلس ، ولا فهماً أحسن من فهم أحدهما من صاحبه ، ما أدري أيهما كان أفهم !

★ قال أبو عثمان الجاحظ : إذا ابتلى الرجل بمحبة امرأة لنظرة نظر إليها ، ولحة منها ، لم يكن يزوج مثله مثلها وكانت ممتعة ، فالحيلة في ذلك أن يرسل إليها امرأة قد كملت فيها سبع خصال ممنهن : أن تكون كتومة السر ؛ وأن تكون خداعة لها معرفة بالمكر ؛ وأن تكون فطنة متيقظة ؛ وأن تكون ذات حرص ؛ وأن تكون ذات حظ من مال ولا تحتاج إلى الناس ولا ينكر الناس اختلافها ودخولها عليها ، بأن تكون إما بياعة طيب ، أو قابلة ، أو صانعة لآلة العرائس ، وتقدم إليها أرق وألطف ما تقدر عليه ، ولا تدع شيئاً من الشكوى واللفظ ، وتجبرها أن نفسه في يدها ، وأنها متمثلة بين عينيها ، وأنه لا ينسى ذكرها ، وأنه يراها في المنام كل ليلة تضربه وتخاصمه ، أنه إن لم ير منها نظرة أو خلوة هلك ، وإنه لم يمنع من خطبتها إلا خشية الامتناع من أهلها إن كان دونهم في الحسب والجاه والمال ، وخوف التمتع منها

(١) اللين الطري اللحم . (ن . د)

هي أيضاً . فإنها إذا سمعت هذا وأمثاله مرة أو مرتين لم تدع أن
تكنه ببال ان قدرت عليه وأذنت له في خطبتها من أوليائها ، فإذا شاوروها
في ذلك . رضيت ، وقد تمكن قوله من قلبها ، توصل منها إلى ما أراد
بجلال الترويح دون حيلة من حيل الحرام .

★ وقال هارون بن المنذر : رأيت عطيطا المقي يضرب جواربه على
أنه ليس له من يعشقه . فقلت له : ويحك ، أما تتقي الله ؟ أي ذنب
لهن في هذا ؟ ما أهون عليك ! قال : إذا أردت أن اشتري كسوتهن
أين ؟ قلت : تكسوهم لأنك مولاهن ! فقال : وما لهن الزواني ألا تجعلن
كسوتهن عليهم ؟ ! فقلت : إنكن سمعتن ما قال ؟ قلن : نعم ، والله ،
ونجعل له أولاداً ! قال : فتنفس وقال : يقولون ما لا يفعلون !

★ قال الزبير بن بكار : خرج أبو السائد الخزومي وعبد الله بن جندب
إلى موضع يتزهان فيه ، فلقي ابن المولى الشاعر ، فصاح به ابن جندب .
فقال : ما شأنك ؟ وأنشد :

وأبكي فلا ليلي بَكَتْ من صَبَابَةٍ لِمَا بي ولا ليلي لِذِي الودِّ تَبَدُّلُ
واخضع للعُتْبَى إذا كنتُ مَذْنِباً وإني إذ نبتُ كنت الذي أَتَنصَلُ
وقد زعمت أني سلوت وأنني ثباتي عن إتيانها مُتَعَلِّلُ .

قال ابن جندب : من ليلي هذه ؟ امرأته طالت إن لم أفدها . قال :
هي والله يا أخي فرسي سميتها ليلي .

★ قال الزبير بن بكار : قال عمر بن ربيعة الخزومي :

أحْنُ إذا رأيتُ حِجَالَ سَعْدَى وأبكي إن سَمِعْتُ لها حِينَا

وقد أزفَ المسيرُ فقلُّ لسعدى فديتُك أخبري ما تأمرينا .

قال ، فسمعه ابن أبي عتيق فخرج حتى أتى الحيان من أرض غطفان ، ثم أتى خيمة سعدى ، فاستأذن عليها وأنشدها البيتين ثم قال لها : ما تأمر به ؟ قالت : أمره بتقوى الله .

★ ابو غسان المهدي قال : مرَّ ابو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، في خلافته بطريق من طرق المدينة ، فإذا جارية تطحن وتندشد :

وعَشِيقُهُ من قَبْلِ قطعِ تَمَائِي (١)
وكانَ نورَ البدرِ سُنَّةً وجهه ينمى ويصعد في ذؤابة هاشم (٢)

فدق عليها الباب فخرجت إليه ، فقال : ويحك أحرّة أم مملوكة ؟ قالت : مملوكة يا خليفة رسول الله . قال : فمن هو ؟ قال فبكت ثم قالت : يا خليفة رسول الله بحق الغير ألا انصرفت عني ؟! قال : وحقه لا أريم (٣) مكاني أو تعلميني !. فقالت :

وأنا التي لَعِبَ الغرامُ بقلبيها فَبَكَتْ بحبِّ محمدِ بنِ القاسم ،

قال ، فسار إلى المسجد وبعث إلى مولاها فاشتراها منه : وبعث إلى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وقال :

(١) جمع تيمة وهي خزرة أو ما يشبهها كان الاعراب يضعونها على أولادهم وقاية من العين ويريد هنا من قطع تمائي أي قبل أن يكبر .
(٢) من المتقدمين .
(٣) اترك .

هؤلاء فِتَنَ الرجال ، فكم مات بين كريم ، وعطب عليهن سليم !!.

★ وكان فتى من أهل الكوفة عاشقاً لجارية ، وكان أهلها قد أحسوا به فتوعدوه ورسدوه ، فلم يقدر على الوصول إليها فواعدهما في ليلة مظلمة أن تسير إليه . وأتى فتسور عليها حائطاً . فعلم به أهلها فأخذوه وأتوا به خالد بن عبد الله القسري^(١) وقالوا له : إنه لصٌ تسور علينا من الحائط . فسأله خالد عن ذلك فكره أن يحدد السرقة فيفضح الجارية ، فقال : أَسارق أنت ؟ قال : نعم ، أصلح الله الأمير . فأمر بقطع يمينه . وكان للجارية ابن عم من أهل الفضل قد اطلع على بعض شأنه فأخذ رقعة وكتب فيها هذه الأبيات :

أخالدُ قد ، والله ، أوطئت عشوة^(٢)

وما العاشق المظلوم فينا بسارق

أقرُّ بما لم يجن عمداً لأنه

رأى القطع خيراً من فضيحة عاشق

ولولا الذي قد خفتُ من قطع كفه

لألقيتُ في أمر الهوى غير ناطق

إذا مدَّت الغابات في السبق للعلی

فأنت ابن عبد الله أول سابق

(١) حاكم العراق سنة ٧٢٤ وقد تقدم الشرح عنه .

(٢) أول ربع من الليل أو الظلمة .

ثم حذف الرقعة فوقعت في حجر خالد فقرأها ثم أمر بالفتى الى السجن ، وصرف القوم . فلما خلا مجلسه دعا به فسأله عن قصته فعرّفه ، فبعث الى أبي الجارية فقال : قد عرفت قصة هذا الفتى فما يمنعك من تزويجه ؟ قال : خوفُ العار . قال : لا عار عليك في ذلك ، والعار أن لا تزوجه فتكشف أمره ! . فسأله أن يزوجه ففعل ، فدفع إليه عن الفتى خمسة آلاف درهم ، وأمره بتعجيل اهدائها إليه .

★ سأل رجل بعض العلماء عن الواصلة ، فقال : إنك لمنفر . قال ، قالت عائشة ، رضي الله عنها : ليست الواصلة كما تعنون ، لأنهم كانوا يقولون : الواصلة هي أن تكون المرأة بغياً في شبيبته فإذا شابته وصلته بالقيادة . وكانت « كلمة » التي يضرب بها المثل في القيادة صيبة في الكتاب تسرق أقلام الصبيان فلما شبت قادت ، فلما أقعدت اشترت تيساً وكانت تنزيه^(١) بين يديها .

★ ذكر المدايني أن بعض عمال البصرة كان لا يزال يأخذ قوادة فيحبسها ، فيأتي من يشفع فيها فيخرجها . فأمر صاحب شرطته وكتب رقعة يقول فيها : فلانة القوادة تجمع بين النساء والرجال ، لا يتكلم فيها إلا زان . فكان إذا كلمه فيها أحد قال : اخرجوا قصتها . حتى إذا قرئت قام الرجل مستحياً .

★ وحكى يقظان بن عبد الأعلى قال : رأيت القين يضرب جاريته سلمى المغنية ويقول : ما جئتني بهدية ، ما جئتني بخلعة قط ، هل هو إلا هذا الكرى ؟ فهبك لم تقدرني على شيء ، فما تقدرين على ولد؟ . فقالت : هذه المرأة أجيئك باين . فقال : يا زانية إن لم تصدقي لأضربنك ألف سوط . فرأيتها بعد ذلك ولها ابن متحرك تخدمه . فقلت لها :

(١) يسفد بين يديها أن تهرق ماءه بين يديها . (ن . ر)

وقد وفيت لمولاك؟ قالت: نعم، ولكن ما ناكني رجل حتى جاءني هذا الولد! فقال مولاها: صدقت، فهل ينبت الحب إلا أن يزرع؟ فمعبت من كسختة^(١) المولى وطيب نفس الجارية.

— وهذا باب، أعزك الله، أكثر من أن يحاط به. ولكني اختصرت لك من ملاح أحاديثهم ما فيه مستمتع. وستقف في الأخر التي أفردناها من أخبار القيان على كثير منه. وقد قالت الشعراء في الرسل في الجاهلية والاسلام. ومن ذلك قول حميد بن ثور الهلالي:

خليلي إني مشتك ما أصابني
أمنتكما، إن الأمانة من يخن
فلا تفشياً سرِّي، ولا تخذلاً أحمأ
للتخذالي، بارك الله فيكما،
فإن كان ليلاً، فألوانه هديتاً،
وقولا: خرجنا تاجرين فأبطأت
فان انتا أطمأنتنا وأمنتنا
وقولا لها: ما تأمرين بصاحب
أبيني لنا إنا رحلنا مطيننا
ألا هل صدا، أم الوليد مكمم

صداي، إذا ما كنت رهساً وأعظما

(١) الديانة وهي أن تؤتى امرأة الرجل وهو يعلم فلا يفار. (ن. ر.)

وقال المأمون لرسول بعث به :

بَعَثْتُكَ مُرْتَاداً ، فَفَزْتَ بِنَظْرَةٍ
وَنَاجَيْتَ مَنْ أَهْدَى وَكُنْتَ مَقْرَباً .
وَرَدَّدْتَ طَرَفَا فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهَا ،
أَرَى أَثْرَا مِنْهَا بَعِينِيكَ لَمْ يَكُنْ ،
فِيَا لَيْتَنِي كُنْتَ الرَّسُولَ فَأَشْفِي ،
وَكَنْتُ الَّذِي يَعْصِي وَكُنْتُ الَّذِي أَدْنِي .
وَأَغْفَلْتَنِي ، حَتَّى أَسَأْتُ بِكَ الظَّنَّ ،
فِيَا لَيْتَ شَعْرِي ، عَنِ دَنُوكَ مَا أَغْنِي ؟
وَمَتَعْتَ بِاسْتِمْتَاعِ نَعْمَتِهَا الْأَذْنَا .
لَقَدْ سَرَقْتُ عَيْنَاكَ مِنْ وَجْهِهَا حُسْنَا .

وقال أبو الطيب المتنبى في مثل ذلك :

مَا لَنَا كَلْنَا جَوِي ، يَا رَسُولَ ، أَنَا أَهْوَى ، وَقَلْبِكَ الْمَتْبُولُ ^(١)
كَلَّمَا عَادَ مِنْ بَعَثْتُ إِلَيْهَا ، غَارَ مِنِّي ، وَخَانَ فِيَا يَقُولُ .
أَفْسَدَتْ بَيْنَنَا الْأَمَانَاتِ عَيْنَاهَا وَخَانَ قُلُوبَهُنَّ الْعُقُولُ
وَإِذَا خَامَرَ الْهَوَى قَلْبَ حَبٍّ فَعَلِيهِ لِكُلِّ قَلْبٍ دَلِيلُ .

وقال بعض المحدثين :

يَا سَوْءَ مُنْقَلَبِ الرَّسُولِ مَخْبَرَاً بِخِلَافِ ظَنِّي
أِنِّي أُعِيدُكَ أَنْ تَكُونَ شَغَلْتَنِي وَشُغِلْتَ عَنِّي

وَأَنشُدُ لِأَبِي نَوَاسٍ :

(١) المتبول : السقيم أو المتيمم .

يا مَنْ أتى مِنْ دون حاجته باباً ، واحراس به وُكِلوا :
شمرُّ ثيابك ، قد سُغلتَ بما لو عَمَّ خلقَ الله لاشتغلوا ،
وانظر رسولاً ذا ملاطفةٍ لولا مرارة عَمِّه عَسَلُ
يَمِّن عليه غباوةً ، وترى أفعاله كالنار تشتعلُ
لا يحفلون به اذا خرجوا الابتذالَ ولا اذا دخلوا

وأنتد احمد بن عيسى الأهوازي في قوادة :

تَكَادُ لو لم تكن أنسيَّةً تجري من الانسان مجرى الدَّمِ
لا يَعَصِمُ المِقْدَارَ من كيدها محلُّه في الموضع الأَعْظَمِ^(١)
وأنتد لآخر أيضاً :

اذا أردت أن تُناجيَ غادةً من الغواني صعبةَ المنقادهُ
فادسس لها عجيزاً قوادةً أدبٌ في الظلماء من جَرادة
قد انْحَمَّت من شدة العِبَادَةِ تلوح في جبينها السجادة
كالحسن البصري ، أو قتادة في يدها سُبْحَتُهَا الصيَّادَةُ
قد أَحْكَمَتْ من شدة المرادة قد ألفتْ غرائبَ القِيَادَةِ
فإنها تَدْخُلُ ، كالمرتادة ، بذكر كلِّ غافلٍ مَعَادَةِ

(١) المقدار من الرجال : ذو القوة والقدرة .

وتَصِفُ الشَّقَاءَ وَالسَّعَادَةَ
 وَلاَحِظْ عُمَّلَهُ وَقَادَةَ
 تَرُوضُهَا بِاللُّجْمِ الْمُقَادَةَ
 حَتَّى إِذَا نُصِبَتْ لَهَا الْوَسَادَةَ
 ثُمَّ خَلَتْ بِالْعَادَةِ الْمُرَادَةَ
 حَتَّى تَرَى طَاعَتَهَا سَعَادَةَ

وقال احمد بن أبي طاهر (١) :

فَأرسلتُهَا أمْضَى مِنَ السَّيْفِ مَقْدَمًا
 تَدبُّ دَيْبِ النَّمْلِ فِي كُلِّ مَفْصَلٍ
 يَذِلُّ لَهَا الصَّعْبُ الْجُمُوحُ قِيَادَهُ
 يَرَى الْفَطْنَ الدَاهِيَّ عَلَيْهَا عِبَادَةَ
 يُؤَلِّفُ بَيْنَ الْأَسَدِ وَالشَّاءِ لَطْفَهَا
 وَلَوْ أَنهَا شَاءَتْ ، بِأَهْوَنِ سَعِيهَا ،
 وَلَوْ جَبَلٌ رَامَتْ إِزَالَهَ رُكْنَهُ
 يَغْرُ الْعَيُونَ زَهْدَهَا وَخَشُوعَهَا
 تُسَهِّلُ مَا قَدَ كَانَ وَعَوًّا طَرِيقَهُ
 وَأَسْرَعُ مِنْ سَيْلِ بَلِيلٍ إِذَا احْتَفَلَ (٢)
 لَطَافَتُهَا فِي الرَّأْيِ وَالْقَوْلِ وَالْحَيْلِ .
 وَتَهْدِي إِلَى طُرُقِ الضَّلَالِ فَلَا تَضِلُّ
 إِذَا مَا رَأَاهَا وَهِيَ أَخْتَلُ مَنْ خَتَلُ (٣)
 وَيَسْتَنْزِلُ الْعَضَاءَ مِنْ شَعْفِ الْقِلَلِ (٤)
 لِأَلْفَتِ الذَّنْبِ الْإِزْلَ مَعَ الْحَمْلِ (٥)
 بِرِقِيَّتِهَا يَوْمًا لَزَلَتْ بِهَا الْجَبَلِ
 وَتَسْبِيحُهَا عِنْدَ الشَّرُوقِ وَفِي الْأَصْلِ
 وَتَفْتَحُ مَا قَدَ كَانَ غِلْفًا وَمَا قَفَلِ .

(١) لعله ابو الفضل احمد بن أبي طاهر طيفور أديب مؤرخ ايراني الأصل ولد في بغداد وتوفي فيها (٨١٩ - ٨٩٣) .
 (٢) احتفل : جاء بملء جاني الوادي .
 (٣) ختل : خدع .
 (٤) شَعْفٌ : لجمع شَعَفَه وهي رأس الجبل . القِلَلُ : أعلى الجبل .
 (٥) الازل ، الخفيف الوركين الضميمة .

وأنشد لابن بشير :

وزولةٌ في الذي رامت يتاح لها
لا تحزر الخود منها أن تدبّ لها
كأن في قلب من يصغي لمنطقها
أخفى من الروح في تأليف معصية
قد ناطت الدهر مصباحاً بمعصمها
خلت بواضحة الخدين مخطفة
باتت تعامها في طول ليلتها
رفقاً ، وتقلب عين عند كل فتى
ما زلت أسألها حظاً وترفع لي
لبذل أصغر ، دهرأ كنت أذخره ،

من التجارب أسباب المقادير
مشيد محكم البنيان والسور
من حرّ ما نعتت لسب الزنابير^(١)
إذا تأملت من لطف وتقدير
تسيمها بذوات البر والخير
كغصن بان رشيق القدم مطور
تقارب الخطو في ميل وباطير
يرنو بمقلتها أنفاس مبهور
في السوم ، حتى أجابت بعد تعسير
أزهو برويته زهو المياسير .

وأنشد لاسحاق بن خلف البصري :

لو أن رُقَيْتَهَا فِي صَخْرَةٍ نَطَقَتْ
اخفى من الروح إذ دبت لحاجتها
أو اذن خرساء أضحت غير خرساء
ولو تشاء مشت رفقاً على الماء .

وأنشد الحمّار :

(١) لسب : لدغ . الزنابير : واحدها زنبور وهو ذباب أليم اللسع .
(٢) المياسير . جمع موسر وهو الغني ذو الثراء . (ن . ر)

ظَلَمَ النَّاسَ ، حَسَبْنَا ، وَرَمَوْهُ بِالْكَبَائِرِ
مَا لَهُ عَيْبٌ سِوَى ، اِصْلَاحِهِ بَيْنَ الْعَشَائِرِ

وَأَنشَدَ لِعَبْدِ بْنِ وَهَبٍ :

قَالُوا ابْنَ عَثْمَةَ قَوَادٍ . فَقُلْتُ لَهُمْ : كَذَبْتُمْ ، مَا أَبُو حَفْصٍ بِقَوَادٍ
لَكِنَّهُ رَجُلٌ يُخْلِيكَ مِنْزَلَهُ بِالدَّرْهَمِينَ وَمَا يَبْقَى مِنَ الزَّادِ

وَأَنشَدَ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ :

هَلْ مِنْ رَسُولٍ لَطِيفٍ إِلَى غَزَالٍ عَنِيفٍ
لَهُ سَرِيرَةٌ ذَنْبٍ وَسَمْتٌ قِسٌّ عَضِيفٍ
تَكَامَلَ الظَّرْفُ فِيهِ فَفَاقَ كُلَّ ظَرِيفٍ

وَمِنْ مَلْحٍ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ الدِّمِينَةِ (١) :

خَلِيلِيَّ سِيرًا مَسْعِدِينَ فَسَلِّمًا عَلَى حَاضِرِ الْمَاءِ الَّذِي تَرِدَانِ
وَمُرًّا فَقُولَا : نَحْنُ نَطْلُبُ حَاجَةً . وَمُرًّا فَقُولَا : نَحْنُ مَنْصَرِفَانِ

(١) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الدِّمِينَةِ شَاعِرٌ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ تَيْمِ اللَّهِ فَإِذَا كَانَتْ هُوَ الْمَذْكُورُ
بِالطَّبْرِيِّ وَالَّذِي ذَكَرَهُ صَاحِبُ الْأَغَانِي فَيَكُونُ حَاكِمَ مَكَّةَ عَلَى أَيَّامِ الرَّشِيدِ . لَهُ شِعْرٌ
عَنْ مَسْتَطَابِ عُنْتِي بِهِ . (ن . ر)

(باب خَلْق النساء)

إذا كانت المرأة ضخمة في تعمد وعلى اعتدال فهي : رمجلة . فاذا زاد ضخمها ولم تُتقبح فهي : مَسْبِجَة . فاذا كانت طويلة قيل : جارية سبطة وعيطبول . فاذا كانت بها مسحة من جمال فهي : جميلة ووضيئة . فاذا أشبه بعضها في الحسن بعضاً فهي : حَسَّانة . فاذا استغنت بجيهاها عن الزينة فهي : غانية . فاذا كانت لا تبالي أن تلبس ثوباً حسناً ولا قلادة فاخرة فهي : معطال . فاذا كان حسننها ثابتاً كأنها وسمت به فهي وسيمة . فاذا قسم لها حظ وافر من الحسن فهي : قسيمة .

وقالوا :

وقال الصبابة في الوجه الوضاعة في البشرة . الجمال في الأنف . الخلاوة في العينين . الملاحاة في الفم . الظرف في اللسان . الرشاقة في القدر . اللباقاة في الثمائل . كمال الحسن في الشعر .

والمرأة الرعبوبة : البيضاء . الزهراء : التي يضرب بياضها إلى صفرة كلون القمر والبدر . والهجان : الحسنه البيضاء .

والمرأة طفلة ما دامت صغيرة ؛ ثم وليدة إذا تحركت ؛ ثم كاعب إذا كعب ثديها ؛ ثم تاهد إذا زاد ؛ ثم معصر إذا ادركت ؛ ثم خود إذا توسطت الشباب .

والزجاج : الدقيقة الحاجبين الممتدتها حتى كأنها خطا بقلم . والبلج : ان يكون بينها فرجة ، وهو يستحب ، ويكره القرن وهو اتصالها . والدعج : أن تكون العين شديدة السواد مع سعة المقلة . والبرج : وشدة سوادها وشدة بياضها . والنجل : سعتها . الكحل : سواد جفونها من غير كحل . الجور : اتساع سوادها .

الشبب : رقة الاسنان واستواؤها وحسنها . الرتل : حسن تنضيدها واتساقها . التفليج : تفرج ما بينها . الشنت : تفرقها في غير تباعد في استواء وحسن يقال منه ، ثغرثيت . الأشر : تحديد في أطراف الثنايا يدل على الحدائة . الظلم : الماء الذي يجري على الأسنان من البريق . الجيد : طول العنق . التلع : إشرافها .

وإذا كانت المرأة شابة حسنة الخلق فهي : تُخود . فإذا كانت جميلة الوجه حسنة المعرى فهي : بهكنة . فإذا كانت دقيقة المحاسن فهي : مملودة . فإذا كانت حسنة القد ، لينة العصب : فهي : خرعبة . وإذا كانت لم يركب بعض لحمها بعضها فهي : مبتلة . فإذا كانت لطيفة البطن فهي خمصانة . فإذا كانت لطيفة الكشحين فهي : هضم . فإذا كانت لطيفة الخصر مع امتداد القامة فهي : ممشوقة . فإذا كانت طويلة العنق في اعتدال وحسن فهي : عطبول . فإذا كانت عظيمة العجيزة فهي : رداح . فإذا كانت سمينة ممتلئة الذراعين والساقين فهي خدلجة . فإذا كانت سمينة ترتج من سمها فهي مرمادة . فإذا كانت ترعد من الرطوبة والغضاضة فهي برهرة : فإذا كانت كأن الماء يجري في وجهها فهي : رقراقة . فإذا كانت رقيقة الجلد ناعمة البشرة فهي : بضة . فإذا عرفت في وجهها نضرة النعيم فهي : نظرة . فإذا كان فيها فتور عند القيام لسمها فهي : أناة ووهنائة . فإذا كانت طيبة الريح فهي بهنائة . فإذا كانت عظيمة الخلق مع جمال فهي عهررة . فإذا كانت ناعمة جميلة فهي : عبقرة . فإذا كانت مثنية للين وتعمد فهي : غيداء وغاده . فإذا كانت طيبة الفم فهي : رشوف .

فاذا كانت طيبة ريح اليد فهي : أنوف . فاذا كانت طيبة الخلوة
 فهي : رصوف . فاذا كانت لعوباً ضحوكاً . فهي : شموع . فاذا
 كانت تامة الشعر فهي : فرعاء . فاذا لم يكن لمرقبيها حجم من سمنها
 فهي : درماء . فاذا ضاق ملتقى فخذها لكثرة لحمها فهي : لفَاء .
 فإذا كانت حيية فهي : خَفِرَة وخريفة . فإذا كانت منخفضة الصوت
 فهي : رَخِيمة . فاذا كانت محبة زوجها متحبة اليه فهي : عَرُوب . فاذا
 كانت نفوراً من الريبة فهي : نَوَار . فاذا كانت تجتنب الاقدار فهي :
 قذُور . فاذا كانت عفيفة فهي : حِصان . واذا كانت عاملة الكفين
 فهي صنّاع .

فاذا كانت كثيرة الولد فهي : بَنُون . فاذا كانت قليلة الولادة
 فهي : نَزُور . فاذا كانت تلد الذكور فهي : مِذْكار . فاذا كانت تلد
 الاناث فهي : مِثْنات . فاذا كانت تلد مرة ذكراً ومرة أنثى فهي :
 مَهَاب . فاذا كانت لا يعيش لها ولد فهي : مِقلات . فاذا كانت تلد
 النجباء فهي : مِنجاب . فاذا كانت تلد الحُمقاء فهي : مُحَمِّمة .
 فاذا كانت يغشى عليها عند الجماع فهي : رَبُوخ^(١) . والمكورة :
 المطوية^(٢) الخلق . واللدنة : اللينة الناعمة . والمُقصدَة^(٣) : التي لا
 يراها احد إلا اعجبته . والخبرنجة : الجارية الحسنة الخلق في استواء .
 والمُسَبِّطَة : الجسيمة . والعجزاء : العظيمة العجيزة . والرُعْبُوبَة :
 الرطبة . والرَّجْرَاجَة : الدقيقة الجلد . والرتكة : الكثيرة اللحم ؛
 والطفلة الناعمة . والرُّود : المثنية اللينة . والأملُود : الناعمة ؛ ومثلها
 الخرع - مأخوذ من نبت الخروع وهو نبت لين - والبارقة : البيضاء

(١) في الأصل ريوخ وهو غلط .

(٢) في الأصل المطوية وهو غلط .

(٣) او المُقصدَة ؛ وفي الأصل المقصد وهو غلط . (ن . ر)

الثغر . والدهشمة : السهلة . والعاتق : التي لم تتزوج . والبلاء : الكريمة ،
 والمفضلة عن الشرة الغريرة ^(١) . والعيطموس : الفطنة الحسنة .
 والسهلة ^(٢) : الخفيفة اللحم ، والمجدولة المشوقة . والشرعوفة : الناعمة
 الطويلة . والفيصاء والعفاء : الطويلة العنق . والتهنأة ايضاً : الضحكة
 المتلهلة . والغيلم : الحسنة . والخليق : الحسنة الخلق ؛ وقال الفراء ^(٣)
 هي احسن الناس حيث نظر ناظر ، اي هي احسن الناس وجهاً . وقال
 ابو عمرو ^(٤) : ويقال للمرأة اذا كانت حسنة : كأنها فرس شرهاء
 - والشرهاء : الحديدة النفس - وامرأة حسنة المعارف - ومعارفها :
 وجهاً - والمتحرية : الحسنة المشية في خيلاء . والشموس : التي لا تطمع
 الرجل في نفسها ، وهي الذعور . وامرأة ظمياء : اذا كانت سمراء ،
 وشفة ظمياء كذلك . ويقال انها لحسنة العطل اي الجسم . ويقال
 عبيقة ^(٥) اي التي يشاكلها كل الناس .

ونذكر اختلافات الناس في الثدي والعجز والمجدولة من النساء والضحمة
 الطويلة ، والغضيضة . واختلاف شهواتهم في المسوحة والمفلكة والكاعب
 والناهد والمنكسرة . ومن استحسنت الثدي الضخم الذي يملأ الكفين ،
 ومن ذم ذلك .

ومن وصف الشحم عبد بنى الحسحاس حيث يقول :

توسدني كفاً وترفعُ معصماً عليّ وتحنو رجلها من ورائيا

-
- (١) في الأصل العزيرة وهو غلط .
 (٢) هكذا في الأصل وأظنها السلبية .
 (٣) يحيى الفراء الديلمي لفوي كوفي تلميذ الكسائي ومؤدب ابني المأمون .
 (٤) ابو عمر زيان أحد واضعي فقه اللغة علم الخليل وسيبويه وأخذ عنه الاصمعي .
 (٥) في الأصل عبقه وهو غلط (ن . ر)

أميلُ بها مَيْلُ الزيف ، وأتقي بها القطر ، والشقان من عن شماليا

فسحيم لم يتخذها هدفاً تستر عنه الريح والقطر إلا وهي في غاية الضخم .

★ وقال ابو عبيدة : دخل مالك الاشر على علي بن ابي طالب ، رضي الله عنه ، في صبحة بنائه على نسائه فقال : كيف وجد امير المؤمنين أهله ! قال كالحخير من امرأة ، لولا انها خنثاء ^(١) قبّاء ^(٢) قال : وهل يريد الرجال من النساء إلا ذلك يا امير المؤمنين ؟ قال : كلا ، حتى تدفء الضجيع ، وتروي الرضيع .

وهذا يدل على العجب بالضخم والشحم . واكثر البصراء بجواهر النساء الذين هم جهابذة هذا الامر يقدمون المجدولة ، فهي تكون في منزلة بين السمينه والمشوقه مع جودة القدّ وحسن الخراط ^(٣) . ولا بد ان تكون كاسية العظام . وانما يريدون بقولهم مجدولة جدولة العصب وقلة الاسترخاء ، وان تكون سليمة من الزوائد والفضول ، لذلك قالوا خصانة وسيفانة ، وكأنها جدل عنان وغصن بان وقضيب خيزران .

والتثني في مشية المرأة احسن ما فيها . ولا يمكن ذلك الضخمة والسمينه . ووصفوا المجدولة فقالوا : اعلاها قضيب ، واسفلها كتيب .

وقال بعض الاعراب :

لها قسمة من خوط بانٍ ومن نقيٍّ ومن رشاً الغزلان جيد ومذرف ^(٤)

(١) الفَنّاه .

(٢) الضامرة الحميصة البطن أر من لحقت خاصرتهاا بمجالها .

(٣) الدّاق .

(٤) الخراط : الفصن الناعم . المذرف : يعني به العين .

يكاد كليل الطرف يَكَلُّه خَدَّها إِذا ما بدت من خدرها حين تطرف^(١)

وقال آخر :

ومجدولة جدل العنان إِذا مَشَت تَنوُّهُ بِخَصْرِها ثَقَالُ الرِوَادِفِ

وقال آخر :

ومجدولةٌ ، أَمَاجالٌ وشاحها ففَضُ ، وأما رَدْفها فكثيبٌ ؛
لها القدر الساري نصيبٌ ، وإِنها لَتَطَّلَعُ أحياناً له فيغيب .

وقال ابو نواس . وقد احسن ما شاء :

أَحَلَّتْ من قلبي هِوَالِكِ مَحَلَّةٌ ما حَلَّها المشروب والمأْكُولُ .
بِكَمالِ صورَتِكَ التي في مثلها يَتَحَيَّرُ التَّشْبِيهُ والتَّمثِيلُ .
فوق القصيرة ، والطويلة فوقها ؛ دُونَ السَّمينِ ، ودُونها المَهزولُ .

وأما قول الأعشى^(٢) حيث يقول :

غَرَّاءُ فَرَعاءُ مَصقُولٌ عِوارِضُها تَمشي الهِوينا كما يَمشي الوحي الوَجَلُ^(٣)

(١) كَلِّه يَكَلُّه الشيء : حرسه وحفظه . (ن . ر)
(٢) ميمون بن قيس لقب بصناجة العرب ومدح الأمراء والملوك . من أشهر الشعراء في الجاهلية .
(٣) غَرَّاءُ : بيضاء . فَرَعاءُ ، كثيرة الشعر . الوحي : المشي السريع .

كَأَنَّ مِشِيَّتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرَّ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلٌ^(١)

فقد وصفها كما ترى بالضخم ، ولكنه يذكر أفراطاً .

وقال الاحوص^٢ :

مِنَ الْمُدْمَجَاتِ اللَّحْمِ جَدَلًا كَأَنَّهَا عَنَانٌ ضَاعَ انْعَمَتْ أَنْ تُجَوِّدَا

★ قال أبو عثمان الجاحظ : كان أبو معمر بن هلال يقول : عذرت الرجل الطويل الأير حتى يتمناها ضخمة . ولكن ما عذر الصغير الأير في ذلك ؟

وفي اختلافهم في الثدي

أنشد للمرار بن سعد :

صَلْبَةُ الْحَدِّ طَوِيلٌ جَيِّدُهَا سَجْمَةُ الثَّدْيِ وَلَمَّا يَنْكَسِرُ^(٣)

وقال النابغة^٤ في النهود :

-
- (١) الريث : البطء .
 - (٢) علي الأنصاري ولد في المدينة وتوفي في دمشق . شاعر حجازي شيب في النساء الشريقات فنفي وسجن .
 - (٣) سجمة الثدي : درورة الثدي ، كناية عن أنها مرضع .
 - (٤) النابغة الذبياني من فحول شعراء الجاهلية أصحاب المعلقة كان من حكام سوق عكاظ .

يَحْطَظْنَ بِالْعِيدَانِ فِي كُلِّ مَقْعِدٍ وَيَحْبُأْنَ رِمَانَ الثَّدِيِّ النَّوَاهِدِ

وَأَنشَدَ لِمُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ (١) :

فَأَقْسَمْتُ أَنْسَى الدَّاعِيَاتِ إِلَى الصَّبِيِّ وَقَدْ فَجَّأَتْهَا الْعَيْنُ وَالشَّرُّ وَاوَقَعَ
فَغَطَّتْ بِأَيْدِيهَا ثَمَارَ صَدُورِهَا كَأَيْدِي الْأَسَارَى أَثْقَلَتْهَا الْجَوَامِعُ (٢)

★ وذم اعرابي امرأة فقال : والله ما بطنها بوالد ، ولا شعرها بوارد ،
ولا ثديها بناهد ، ولا فوهها ببارد .

★ وكتب الحجاج بن يوسف الى الحكم بن أيوب قال : اخطب على
عبد الملك امرأة جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، شريفة في قومها ،
ذليلة في نفسها ، ، أمةً لبعْلِها .. فكتب إليه : أصبتها ، وهي خولة
بنت مسمع ، لولا عِظَمَ ثدييها ! فكتب إليه الحجاج : لا يحسن بدنُ
المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفي الضجيع ، وتروي الرضيع .

★ وقال آخر يذم عِظَمَ الثدي :

لِعَمْرِي لَيْبِضٌ يُحْتَلِلُنَّ بِقَفْرَةٍ لَطَائِفُ ثَدْيِ الصِّدْرِ غَيْدُ السَّوَالِفِ
أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ ضَخَامِ بَطُونِهَا لَا بَاطِهَا تَحْتَ الثَّدْيِ تَعَاطِفِ

وقال آخر في المسوحة التي لم يبد بصدرها شيء :

(١) ربما كان مسلم بن الوليد الأنصاري الملقب بصريع الغواني من شعراء العصر
العباسي الأول .
(٢) الجوامع : جمع جامعة وهي النمل أو القيد ؛ وهي ما يطلق عليه اليوم كلبجة .

وَعُلِّقْتُ لَيْلِي وَهِيَ بِكْرٌ خَرِيدَةٌ
وَلَمْ يَبْدُ لِلْأَتْرَابِ مِنْ ثَدْيِهَا حِجْمٌ
صَغِيرَيْنِ نَزَعَى الْبَيْهَمَ، يَا لَيْتَ انِّي
إِلَ الْيَوْمِ لَمْ نَكْبِرْ وَلَمْ تَكْبِرِ الْبَيْهَمُ

وقال نصيب :

ولولا أن يُقال : صَبَا نصيبٌ .
بنفسي كلُّ مهضومٍ حشاهَا
لقلت : بنفسي النَّشْوُ الصَّغَارُ ؛^(١)
إذا ظلمت فليس لها انتصار .
إذا ما الزُّلُّ ضاعفن الحشايَا
كفاها أن يُلاث بها الإزارُ^(٢)

وقال ذو الرمة^(٣) :

بعيدات مهوى كلِّ قرط عقدهه
لطاق الحشا تحت الثديِّ الفوالك^(٤)

وذكر آخر ابتداء النهود فقال :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظْرَةً وَهِيَ عَاتِقٌ
عَلَى حِينَ شَبَّتْ وَاسْتَبَانَ نَهْوُهَا^(٥)

وليس في الحيوان شيء واسع الصدر غير الانسان . ولا في جميع

(١) النشو : الذين كبروا وشبوا ولم يتكاملوا .

(٢) الزُّلُّ : جمع ازل وزلاء ، وهي الخفيفة الوركين . لاث : لفت .

(٣) لقب غيلان بن عقبة ، شاعر بدوي عاصر جرير والفرزدق ؛ اغرم بحب
سَمِيَّةَ والحرقاء .

(٤) فلكٌ ثدي الجارية : استدار .

(٥) العاتق : الجارية الشابة أول ما أدركت أو البكر التي لم تتزوج (ن . ر)

الحيوان انشى في صدرها نديي إلا المرأة والفيضة ، وكذلك الرجل .
والعرب تمدح الرجال والنساء بطول الأعناق . قال الشاعر :

ومن كل شيء وقد قضيتُ لبانتي سوى ضنخم أعجازِ ثقالِ الروادفِ
وهضري أعناقاً تلين وتثني كما كان خيطان الأراك الصعائفِ

★ وقيل لابراهيم بن النظام^(١) : أي مقادير النديي أحمسدُ؟ قال :
وجدت الناس يختلفون في الشهوات ، وسمعت الله تبارك وتعالى حين
وصف حور العين جعلهن كواعب أترابا ، ولم يقل فوالك ولا نواهد .
وقالت العرب : يسار الكواعب . ولم تقل يسار النواهد ولا يسار الفوالك .
ولم أرهم يختلفون في مدح عظم الركب كما اختلفوا في مقادير النديي
في طول الأعناق . يقول الشمردل^(٢) .

ويُشبهون ملوكاً في مهابتهم وطول أنصبية الأعناقِ والأئم^(٣)

وقال آخر :

طوال أنصبية الأعناقِ لم يجدوا ريح الاماء إذا راحت بأذفارِ .

وهو حسنٌ ما لم يطل جداً ، فإذا أفوط كان عيباً . كما عيب بذلك
واصل بن عطاء رئيس المعتزلة فسمي عنق نعامة ، وعيب بذلك جعفر

(١) ابراهيم بن سيار بن هاني النظام من المعتزلة له مكانة خطيرة في تاريخ الفكر
الاسلامي لأنه بدأ النضال ضد المذاهب الفلسفية المانية واليونانية .
(٢) من شعراء العصر الأموي له رثاء اخوته الثلاثة الذين قتلوا في الحروب .
(٣) الأئم : جمع الأمة وهي القامة .

ابن يحيى البرمكي ، وكذلك قال فيه الحسن بن هانئ :

ذاك الوزيرُ الذي طالَتِ علاوَتُهُ كأنَّه فَاخِرٌ في السيفِ بِالطُّولِ (١)

وقد زعموا أنه أول من اتخذ هذه الأطواق العراض ، فاستحسنها
الناس بعده ، فاتخذوها .

وفي صفة الأعكان يقول يزيد بن معاوية :

لها عَكَنٌ بِيضٌ كأنَّ غَضونِها إذا شَفَّ عنها السابري فداح (٢)

وقال أبو الطيب المتنبي :

يضمها المسك ضمَّ المستهامِ بها حتى يصير على الأعكان أعكانا

وقال آخر :

غراء واضحة أقراب خرعبة طوعَ العناق فلا بِكْرٌ ولا نَصَفٌ

وقال النابغة الذبياني :

والبطن ذو عَكَنٍ لطيفٍ طيه ، والنحر ينفجه بِشَدِيٍّ مُعَقِدٍ (٣)

(١) العِلاوة : أعلى الرأس أو العنق .

(٢) السابري : درع دقيقة النسيج محكمة . فداح : مثقلة .

(٣) نفجه : رفعه وعظَّمه . (ن . ر)

مخطوطة المتنين غير مفاضة رياً الروادف بضة المتجرّد
وإذا لمست ، لمست أجثمّ جائماً متحيزاً بمكانه ملء اليد
وإذا نَزَعْتَ ، نَزَعْتَ عن مستحصف

نَزَعَ الحزورَ بالرشاء المخضد^(١)

وأنشد لأعرابي آخر :

لما رأيت أن الرحيل قد حانُ قامت تهادى في رقيق الكتان
بواضح الوجه قليل الخيلان وعُكُن مثل متون الغزلان

وقال الفرزدق :

إذا بَطَحَتْ فوق الأثافي رَفَعَتْهَا بثديين في صدر عريض وكعشب

فزعم أنها إذا بَطَحَتْ على وجهها لم تمس الأرض بشيء من سائر
جسدها إلا نهود ثدييها وعظم ركبها فصارت لبدنها كأثافي القدر .

وقال عبد بنى الحساس :

من كل بيضاء لها كعشب مثل سنام البكرة المائل^(٢)

وحلّف ابن مطيع الليثي الشاعر أن جاريته خردانة كانت تستلقي
على ظهرها فتشخص كتفاها ومنكبها حتى لقد كان يتدحرج الرمان

١ (المستحصف : الحكم المقتول . الحزور : الغلام إذا اشتد وقوي .

٢ (الكعشِبُ : الركب الضخم الناتيء . البكرة : الفتية من النوق .

والأترج من تحت خصرها .

قالوا : كانت الزباء بنت عبد الله تصب جرّة الماء على رأسها فلا يصيب فخذها للبد عجيزتها .

وقال الشاعر :

نَفَجَ الْجَفِينَةَ لَا تَرَى لِكَعُوبِهَا حَجْمًا وَلَيْسَ لِسَاقِهَا ظُنْبُوبٌ^(١)
عَظَمَتْ رِوَادِفَهَا وَسَهَّلَ وَجْهَهَا وَالْوَالِدَاتُ نَجِيبَةٌ وَنَجِيبُ

ومن مליح ما قيل في هذا ، قول الاعرابي :

أَبَتْ الرِوَادِفَ وَالشُّدْيُ لِقَمَصِهَا مَسَّ البَطُونِ وَإِنْ تَمَسَّ ظُهورَا
وَإِذَا الرِيَّاحُ مَعَ العِشِيِّ تَنَاحَتْ نَبِيْنِ حَاسِدَةٍ وَهَجْنِ غَيُورَا

والعرب تمدح الملوك بسعة العيون كما يصفون ذلك النساء ويستحسنونه

قال ذو الرمة :

وَمُخْتَلِقٌ لِلْمَلِكِ أبيضَ قَدِ عَمَزَ أَشَمَّ أَلَجِّ العَيْنِ كَالْقَمَرِ البَدْرِ^(٢)

لما أنشد بشار بن برد قول الشاعر :

أَلَا إِنَّمَا لِي عَصَا خَيْرَانَةٍ إِذَا لِمَسْوَمَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ

(١) ظنبوب : حرف عظم الساق من 'مقدم' .

(٢) أَلَجُّ العَيْنِ : شديد سوادها (ن . ر)

ضحك بشار من قوله « عصا خيزرانة » وقال : لو زعم انها
عصارند او عصا ندد لهجتها وكان ذلك خطأ بعد ان جعلها عصا . فبلا
قال كما قلت :

إذا قامت لسبحتها ثنت كأن عظامها من خيزران

وكانت ميمونة عند هشام بن عبد الملك ، خلف عليها بعد العزيز
قال . لو أن رجلا ابتلع ميمونة ما اعترض في حلقه منها شيء لئنها .
وقال بشار .

إذا مشت نحو بيت جارتها خلت من الرمل خلفها حقف
يرتج من مرطها مؤررها وفوقه غصن بانه قصف .

وقد قيل في الضخمة .

قليلة لحم الناظرين يزينا شباب ومحفوض من العيش بارد
أرادت لتنتاش الرواق فلم تقم إليه ولكن طأطأته الولائد .

وقال آخر ايضاً .

ضوء برق بدا لعينيك أم شبت بذني الأثل من سلافة نار
أوقدتها بالمسك والعنبر اللدن فتاة يضيق عنها الإزار

وانشد ايضاً .

وتبدي على المتن من شعرها
ويجري السواك على بارد
وما زانها العقدُ لكنَّها
كشمس الضحى بين أترابها
فكم من قتيل بتلك العيون
فإن يكُ عني قسا قلبُها
أعيدكُ بالله أن تُسميتي
بنا وإشياً أو تطيعي حسودا

وقال جبران العود ، وقد تزوج فلقي منها برحاً ، وكانت حسنة الشعر فقال :

ألا لا يغرب امرؤ نوفليّة
ولا فاحم يشفي الدهان كأنه
على الرأس منها أو ترائب وضح^(١)
أساود يزهاها بعينيك أفتح

وانشد لآخر .

لا تنه قلبك أن يتوق إلى الحيا
فرعاء تسحب من قيام شعرها
إن القلوب إلى سعاد تتوق
فكانه ليل عليها مُغدِفُ
وتغيب فيه وهو جثل مونيق^(٢)
وكانها فيه نار مشرق^(٣)

(١) النوفلية : شيء من صوف تختمر عليه نساء العرب .

(٢) الجثل : المنفوش .

(٣) أغدِف : أرحى سدوله .

وانشد لآخر .

مَقْدُورَةٌ مَا أَنْ لَهَا مِثْلُ لِي عِنْدَهَا الْعِبْرَاتِ وَالْجَبَلِ
فَلشعرها من شعرها زجل ولعينها من عينها كل
إن شئت قلت، إذا هي انصرفت، بين الروادف والحشا نضل

وانشد لآخر وذكر طول العنق .

وأعجبتني فيها غداة لقيتها تبليب أرداف لها ومخاجر
وجيد كاملود الرخامى رعاية بمنه صبت عليه الغدائر

وقد وصفوا الأفواه والريق والشفاه

★ قال بعضهم .

ومقبل عذب المذاق كأنه برد تحدر من غمام ماطر
هنّ اللواء لدائنا، وشفأونا من كل داء باطن أو ظاهر .

وقال ذو الرمة .

لمياء في شفتيها حوة لعس وفي اللثة وفي أنيابها شنب^(١)

(١) في الأصل شنب وهو غلط؛ ومعنى الشنب: اوقة وعذوبة في اللقم أو في الأسنان أو البياض والبريق .

والعرب يزعمون ان اطيب الافواه افواه الأطباء ؛ كما أن ابعارها
اطيب رائحة من سائر الابعار . ويزعمون ان ليس في السباع اطيب
افواهاً من الكلاب ، وفي الناس اطيب افواهاً من الزنج . ويزعمون ان
علة ذلك كثرة الريق ، لأن علة الخلوف ^١ ، جفوف الريق ، والبخر ^٢
يحدثه الكبر وقد اعتري اشرافاً من الناس .

قال : سارر ابو الأسود الدؤلي عبيد الله بن زياد ، فلما ادنى فاه
من انف عبيد الله خمر انفه عبيد الله فجذب ابو الأسود يده فتحاها ،
وقال . انك والله لن تسود حتى تصير لسرار الشيخ البخر . فعجب الناس
من جلده ومراسه . والافواه الموصوفة بالتتن افواه الأسود وأفواه الصقور .

والشعوية وغيرهم ينهون عن السواك . وقالوا : إنما يعتري الخلوف من
يستاك ، والمره ^٣ من يكتحل والشعث ^٤ من يدّهن . وزعموا السواك
يقلل الأسنان ويأكل ما عليها من اللحم ، أعني اللثة ، ويذهب العمور ^٥
التي بينها ويرخيها .

وقال حسين بن مطير .

بمَرْتَجَةِ الْأُرْدَافِ يَهَيْفُ خُصُورُهَا عَذَابُ ثَنَائِهَا عِجَافُ قِيُودِهَا

يريد انها صلاب عجاف غير وارمة ولا مسترخية والسواك يوهنها ويزيلها
عن اماكنها .

١ (الخلوف : تغير رائحة الفم وطعمه .

٢ (البَخْر : نتن رائحة الفم .

٣ (المَرَّة : ابيضاض حاليق العين من ترك الكحل او هو ابيضاض تكومه
عين الناظر .

٤ (للشعث : تلبد الشعر واغبراره .

٥ (جمع عمُر وهو اللحم ما بين الأسنان .

وزعموا ان السواك يجلب ماء الوجه فيغني على الأيام نضرة اللون وحمرة الوجنت ، كما يصنع طول رضاع الطفل في كبة^(١) المرأة وفي لون وجهها فاذا تحلب الماء المستكن في الغلاصم^(٢) والأفواه اعقب ذلك في الافواه جفوفاً ، فاذا جفت لعدم الريق ادرثها خلوفاً . فقال من ردّ على هؤلاء : قد علمنا ان من أعظم الأمم التي عليها مدار الأمور في العقل والعلم والرضا قد اجتمعوا على السواك والخضاب فلو كان السواك يورث البخر لم تكن هاتان الأمتان مع ما فيها من بعد الغور وشدة الغزل بالنساء والتقرب الى قلوبهن والاستهتار بهن ليجهل هذا القدر من العيب الفاحش . فمن أحب أن يعرف إفراط العرب في الغزل والصبابة بالنساء فليقرأ اشعارهم وأحاديثهم الاسلامية ، وليقرأ كتب الهند في الباه^(٣) . ولو تتبعتم اشعارهم في استعمال النساء للسواك لطال به الكتاب .

★ وعن عمر بن دينار ، قال : سمعت الحسن بن علي ، عليها السلام يقول لذريح بن سنة : حل لك ان فرقت بين قيس ولبنى ! اما اني سمعت عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يقول : ما أبالي مشيت الى الرجل بالسيف او فرقت بينه وبين امرأته !

★ قال الزبير بن بكار : دخلت عزة على ام البنين بنت عبد العزيز فقالت : اقسمت عليك بأبي شيء وعدت كثيراً حيث يقول :

قضى كلُّ دَيْنٍ فوقِّي غريمَهُ وَعَزَّةٌ مِمطُولٌ مُعنيٌّ غريمُها

قالت لها : وعدته فطلته سنة ، فلما ألح في التقاضي هجرته ، فضمني واياه طريق بعد حين فاستحييت منه فقلت : حياك الله يا جمل ، ولم أحبه ، فقال :

(١) لَبَّةٌ : موضع القلادة من الصدر .

(٢) جمع غَلَصَمَةٍ وهي اللحم بين الرأس والعنق .

(٣) الباه : النكاح . (ن . ر)

حَيْتَكَ عِزَّةً بَعْدَ الْهَجْرِ وَانصرفت فَحَيٍّ وَنَحْكَ مِنْ حَيَّاكَ يَا جَمَلُ
ليت التحية كانت لي فأجعلها مكان : يا جملُ ؛ حَيَّاكَ يَا رَجُلُ

وهو على تقاضيه الى اليوم . قالت . اقسمت عليك ، ألا قضيته
اياه وائمه في عنقي ؟ .

★ ابو عبيدة قال : كان بارض الحجاز رجل له ابنة جميلة فهبها
ابن عم لها فبذل لها أربعة آلاف درهم ، فابى ابوها ان يزوجها منه ،
واجدبت البادية ، فدخل ابن عمها على عمه ذات يوم فشكا اليه ما
يلقى . فقال له . قد كنت بذلت لنا أربعة آلاف درهم ، فاعطنا
اياها ، فانت احب الينا لقربتك . قال له : اجلني شهراً . فأجله ،
ولم يكن مع الفتى إلا ناقة ، فركبها ومضى الى عبد الملك بن مروان
فطلب الاذن فلم يؤذن له . فقال : اني رسول فلان عامل امير
المؤمنين على الحجاز . فادخل عليه من ساعته . قال : معك كتاب
من فلان ؟ قال : لا ، قال : فرسالة ؟ فانشأ يقول :

ماذا يقولُ أميرُ المؤمنينَ لمنْ أدلى إليك بلا قُرْبى ولا سَبَبِ
مُدَّةً ، عقله من حُبِّ جارِيَةٍ موصوفةٍ بكالِ الحُسْنِ والأدبِ
خَطَبَتْهَا إِذْ رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ لَهَجُوا

بذكرها ، والهوى يدعو إلى العطبِ

فقلت ، لي حَسَبٌ زالكِ ، ولي شرفُ

قالوا : الذراهم خيرٌ من ذوي الحَسَبِ ،

إنا نريد ألوفاً منك أربعة ولست أملك غير الحيس والقتب .
فأمنن عليّ ، أمير المؤمنين ، بها ، واجمع بها شمل هذا البائس العرب
فما وراءك ، بعد الله ، مُطَلَبٌ ، أنت الرجاء وأقصى غاية الطلب

فضحك عبد الملك وامر له بأربعة آلاف درهم ، وقال هذا صدق
اهلك ، وزاده أربعة أخرى وقال له أولم بهذه ، وانفق عليها منها .
فقبضها ومضى ، فتزوج بالجارية .

★ وكان اسحاق بن سليمان بن علي شاباً ظريفاً ، محباً للشعر .
فخرج ذات يوم ، وابوه يلي البصرة ، لأبي جعفر المنصور ، متنزها الى
ناحية البادية . فلقي إعرابياً فصيحاً إلا أنه شاحب اللون ، مصفراً ،
ظاهر النحول فاستنشهده ، فمضى عنه ، فقال له : ما بالك ، فوالله ،
انك لفصيح ! قال له اما ترى الجبلين ؟ قال : قلت بلى . قال : في
طلابها ما شغلني عن انشادك . قلت : وما ذاك ؟ قال : ابنة عم لي
قد تيمنتني ، واذهلت عقلي ، وثالله أنه يأتي علي لا ادري أفي السماء
أنا ام في الأرض . قال : قلت وما يمنعك منه ؟ قال : قل ذات
يدي ! قلت : ومم مهراً ؟ قال : خسون ناقة . قال : قلت : فيزوجونك
إذا دفعتمها ؟ قال : نعم . فقلت له أنشدني مما قلت فيها ! فأنشدني :

سعى العلم الفرد الذي في ظلاله غز الآن مكحولان يرتعيان
أرعتها صيداً فلم استطعهما وخبلاً فقاتاني وقد خبلاني .

قال ، فقلت له : يا اعرابي ، لقد قتلتني بقتلك ، فنفيت من العباس

إن لم أقم بأمرك . فرجع إلى البصرة فأخذ جماعة من أهله وما احتاج إليه ، وحمل معه الاعرابي ، وسار إلى الجارية فخطبها إلى الفتى ، فزوجه ، وساق إليه خمسين ناقة وأقام عندهم ثلاثة أيام كَنَحَرَ فيها ثلاثين جزوراً ، ووهب للاعرابي وللجارية مثل ذلك ، وانصرف إلى البصرة .

★ قال نبطويه (١) : لما فرغ المهدي (٢) من بناء قصره ركب للنظر اليه ، فدخله فجأة وأخرج من هناك من الناس ، فبقي رجلان خفيان عن ابصار الأعوان ، فرأى المهدي أحدهما وهو دهش بما يفعل فقال له : بمن أنت ؟ قال : أنا أنا قال : ويلك : لا أدري ! قال : لك حاجة ؟ قال : لا . قال أخرجوه أخرج الله نفسه فدفع في قفاه ، فلما أخرج قال لبعض الغلمان : اتبعه من حيث لا يعلم حتى يصل الى منزله ، فأسأله عن صنعته فاني اخاله حائكاً . فخرج الغلام يقفوه ثم اتى الآخر فاستنطقه فاجابه بقلب جريء ، ولسان طلق ، قال له : من انت ؟ قال : رجل من ابناء رجال دعوتك . قال : فما جاء بك الى هنا ؟ قال : جئت لانظر الى هذا البناء الحسن ، وأتمتع بالنظر اليه ، وأكثر الدعاء لامير المؤمنين بطول البقاء ودوام العز ، وهلاك الاعداء . قال : ألك حاجة ؟ قال : نعم ، خطبت ابنة عمي فردني وقال : لا مال لك . واني لها عاشق ، وبها وامق ، قال : قد امرت لك بخمسين الف درهم قال : جعلني الله فداك ، يا امير المؤمنين ، قد وصلت فاجزلت الصلة ، ومننت فاعظمت المنة . فجعل الله باقي عمرك اكثر من ماضيه ، وآخر ايامك خيراً من اولها ، وأمتعك بما به انعم عليك ، وأمتع بك رعبتك . فامر ان تعجل صلته ووجه بفلام آخر

(١) ابراهيم نبطويه احد ائمة اللغة في النحو والأدب . ولد في واسط وسكن بغداد .

(٢) ابن المنصور العباسي وثالث خلفائهم . احسن تدبير الملكة وخطب وده ملوك الصين والتبت والهند . وعلى ايامه ظهرت الدعوة لبني امية في الأندلس . (ن . ر)

معه قال : سل عن مهنته فاني اخاله كاتباً : فرجع الرسولان جميعاً فقال الرسول الاول : وجدت الرجل حائكاً ، ولم يرجع اليه قلبه ، ولا ثاب الى نفسه . وقال الآخر : وجدت الرجل كاتباً . فقال المهدي انا ابن المنصور ^(١) لا يخفى عني مخاطبة الكاتب والحائك .

★ قال أحمد بن ابي خثعمة : اخبرتني مولاة ، كانت لآل جعفر ابن ابي جعفر المنصور ، قالت : علق عيسى بن جعفر جارية لام ولده فنعته اياها غيرة عليه ، وتبعته نفسه ، فدست جارية لعيسى يقال لها برير الى مولاتها في ان تبئها منها ، وارغبتها ، فباعته منها ، فأخذتها برير فصنعتهما وكانت لبرير من عيسى ليلة فوجه اليها بخلعة وبقدح غالية ^(٢) تضمخ به شعرها . فلما كانت ليلتها ألبست الجارية الخلعة وضمخت رأسها ووجهت بها اليه ، فلما رآها سأها عن حالها فاخبرته بالخبر ، وانها آثرت هوى نفسه على هوى نفسها . فسر بذلك ودعا ببرير فاعتقها وتزوج بها ومهرها ضياعاً بالكوفة لها قدر . فقالت برير: ان من شكر الله على ما وهب لي من رأي امير المؤمنين ان اجعل ما اعطاني من هذه الضياع قربة الله عز وجل ، تجري للامير ولي اجرها . فأوقفها على اهل بيت من الانصار منهم ابن معاذ ^(٣) فلم يزل ذلك يجري عليهم .

★ قال ابراهيم بن المهدي : حججت مع الرشيد ، فلما كنا بالمدينة خرجت الى العميق اسير على دابتي وليس معي غلام ، فوقفت على بئر عروة وعليها جارية سوداء وفي يدها دلو تملأ قريبة لها ، فقلت :

(١) الخليفة العباسي الثاني ابو جعفر المنصور . على امامه استقل عبد الرحمن الداخل بالخلافة في الأندلس . وثار عليه العلويون فقتل زعيمهم ابراهيم . وهو الذي امر بتأسيس عاصمة بغداد وجعلها عاصمة الملك .

(٢) طيب معروف وهو اخلاط من مسك وعنبر وبان تغلى على النار (ن . ر)

(٣) معاذ بن جبل صحابي انصاري وفقه . حارب في اجنادين واليرموك .

(٤) اخو هارون الرشيد وكان من المغنئين والضاربين ، حسن المنادمة .

يا هذه اسقني . فنظرت الي وقالت : انا مشغولة عنك . فقرعت قروبسي ^(١) بمقرعتي 'موقعا' بها على القربوس ، وغنيت . فلما سمعت ذلك مني ملأت دلوها وبادرت به الي وقالت : اشرب يا عم فشربت ، فقالت : بالله يا عم اين اهلك احمل اليهم هذه القربة ؟ فقلت : بين يدي . فمضت معي حتى اتت المضرب فلما رأت الولدان والخدم ذعرت ، فقلت : لها لا بأس عليك . واخذت الماء وامرت من وصله ، فقال لي الغلمان : قد جاء رسول امير المؤمنين مراراً فضيت اليه ، فقال لي : اين كنت ؟ فاخبرته بخبر الجارية ، فامر بطلبها ، فأتي بها ، فامر بابتياعها من مولاها ، وأعتقها ، وقال لها : هل من تودينه يودك وتخبينه يحبك ؟ قالت : نعم عبد لآل فلان . فامر بابتياعه واعتقه ثم زوجها اياه ، وأمر لها بمال .

★ حج الرشيد سنة احدى عشرة من خلافته ، فلما نزل بالكوفة ، بعد قفوله من الحج ، دعا اسماعيل بن صبيح فقال : اني اردت الليلة ان اطوف في محال الكوفة وقبائلها فتأهب لذلك ، قلت : نعم . فلما مضى ثلث الليل قام وقمت معه ، وركب حماراً وركبت انا آخر ، ومعني خادم ومعني خادم من خاصة خدمه . فلم نزل نطوف المحال والقبائل حتى انتهينا الى النخج ^(٢) فسمعنا كلاماً . فقال الرشيد لاحد الخادمين : أدن من الباب وتعرف ما هذا الكلام ؟ فتطلع من موضع في الباب فرأى نسوة يغزلن حول مصباح وجارية منهن تنشد شعراً وتردد ابياته وتتبع كل بيت برنة وأنة ، وتبدي زفرة : وتفيض عبرة ، والنسوان اللواتي معها يبكين لبكاها فحفظ الخادم من شعرها هذه الابيات :

(١) حنو السرج في مقدمه ومؤخره اي قسمه المقوس .

(٢) اسم موضع .

هل أرى وجه حبيب شفني ، بعد فقدانيه ، افراط الجزع ؛
 قد برى شوقي إليه أعظمي ، وبلى قلبي هواه وفزع .
 ليت دهرأ مر ، والقلب به جدل ، والعيش حلو قد رجع ؛
 وعفت آثاره منه فيا ، ليت شعري ، ما به الدهر صنع ؟
 قد تمسكت على وجددي به بجميل الصبر ، لو كان نفع .

فقال للخادمين : اعرفا الموضع الى غد . ورجعنا الى البصرة ، فلما
 طلع الفجر وفرغ من صلاته وتسيحه ، قال للخادمين : امضيا الى الدار
 فان كان فيها رجل من وجوه الحي فجيئا به حتى اسأله عما اريده .
 فسار الخادمان الى الدار فلم يجدا فيها رجلا ، فدخلوا الى مسجد الحي
 فقالوا لاهله : امير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : احببت ان
 يجيئني منكم اربعة اسألم عن امر . قالوا : سمعاً وطاعة . وقاموا معها
 فدخلوا على الرشيد ، فقريهم وأدناهم ، وقال لهم : طفت البارحة في
 بلدكم تفقداً لاحوالكم ، فسمعت في دار من دياركم امرأة تشد شعراً
 وتبكي . وقد خفت ان تكون مغيبة ، وان نزاع النفس اهون من نزاع
 الشوق ، وقطع الاوصال اهون من قطع الوصال ، وقد احببت ان اعرف
 خبرها منكم . قالوا : يا امير المؤمنين ، هذه البارعة بنت عوف بن سهم
 كان ابوها زوجها ابن عم لها يقال له سليمان بن همام على عشرة آلاف
 درهم ، فهلك ابواها من قبل ان يجتمعا ، فاكتتب زوجها مع عاملك
 الى اليمن لقله ذات يده ، وخرج منذ خمس سنين ، فحزنت عليه ،
 وطال شوقها اليه ، فهي تشد الاشعار فيه وتستريح الى ذكره . فامر
 الرشيد من ساعته ان يكتب الى عامله باليمن في حمل سليمان بن همام
 على البريد الى حضرته الى بغداد . فما مضت ايام بعد وصول الرشيد

حتى دخل عليه اسماعيل بن صبيح ، فقال : يا امير المؤمنين قد وصل
النخعي الذي امرت بحمله اليك . فامر بادخاله عليه ، فنظر الى رجل
معتدل القامة ، ظاهر الوسامة ، ذرب اللسان ، حسن البيان ،
فقال : انت سليمان بن همام ؟ قال : نعم ، يا امير المؤمنين . قال
له : اقصص علي خبرك ! فقص عليه الخبر فوجده مطابقاً لما خبره به
الاربعه نفر ، فامر له بعشرين الف درهم ، فاخذ ذلك من يومه
ورحل الى الكوفة فدخل باهله وكان الرشيد يتعاهده بيره .

— « تم الكتاب بعون الله وتوفيقه » —

فهرست الكتاب

•

صفحة	
٥	كلمة الناشر
٧	محمد ابن قيم الجوزيه
٩	باب في أوصاف النساء
٣٦	باب يذكر فيه من صيره العشق إلى الاخلاط والجنون
٨٢	باب ما جاء في الغيرة
٩٥	باب من هذا الشكل
١٢٥	باب ما ذكر من وفاء النساء
١٤٤	باب ما يذكر من غدر النساء
١٦٨	باب ما جاء في الزنا والتحذير من ألم عقابه
٢٠٨	من أحاديث المؤلفين
٢٢٨	باب خلق النساء

طُبِعَ هَذَا الْكِتَابُ عَلَى مَطَابِعِ
وَارِ مَكْتَبَةِ الْحَيَاةِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ
بِـبِـيـرُوتِـيـةِ شَارِعِ سُورِيَا
تَلِيفُونِ ٢٣١٩٣٠ - ص.ب ١٣٩٠